

مكتبة الدولة المصرية

الادب والشعر

مصر حيا في قلوبنا



الملك هنري الرابع

الجزء الأول والثاني

ترجمة

الأستاذ مصطفى طه حبيب



دار المعارف

0161049



Bibliotheca Alexandrina

مُروحيَات شڪسبېر

جامعة الدول العربية
المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم - القاهرة

الملك هنري الرابع

الجزء الأول والثاني

ترجمة
الأستاذ مصطفى طه حبيب

مراجعة
الأستاذ محمد شفيق غريبال الأستاذ محمد بيدران

الطبعة الثانية



مقدمة

ألف شكسبير مسرحية هنرى الرابع عقب فراغه من تأليف مسرحية ريتشارد الثانى مباشرة . ومن ثم فإن صلة تاريخية تربط بين المسرحيتين ، ذلك أن الجزء الأول من هنرى الرابع يبدأ فوراً فى أعقاب ريتشارد الثانى . بل ما أكثر ما يشير ذلك الجزء إلى أحداث تلك المسرحية . وهكذا فإن الانتظارات والآمال التى تضمناها الجزء الأول من هنرى الرابع نراها كاملة ماثلة فى ريتشارد الثانى . ولما كان شكسبير قد ألف ريتشارد الثانى عام ١٥٩٦ فالمرجح الذى يرقى إلى مرتبة اليقين أنه كتب الجزء الأول من هنرى الرابع عام ١٥٩٧ .

وكانت المسرحية قد أطلق عليها أولاً تاريخ هنرى الرابع فى جميع طبعاتها الأولى . - (وقد وضح الاختلاف بين كل الطبقات الأولى وبين الجزء الثانى عندما صدر الجزآن معاً لأول مرة فى طبعة الفوليو عام ١٦٢٣) - ولم تكن القصة فى طبعها الأولى تدور حول تاريخ هنرى الرابع ليس غير ، فإنه يبدو أن شكسبير عندما كتب هذه المسرحية إنما كان مشغول الفكر بمسائل هامة أخرى . وبما أنه قد أورد فى الجزء الأول من المسرحية بالجزء الثانى منها وبمسرحية هنرى الخامس ، فإنه يتضح أنه كانت تدور فى خلدته فكرة تأليف سلسلة من المسرحيات التاريخية تستمد أصولها من

تاريخ حرب الوردتين وتكون مشابهة أيضاً لسلسلة المسرحيات التاريخية التي دارت حول هذه الحرب نفسها - وهي مسرحية هنرى السادس بأجزائها الثلاثة ومسرحية ريتشارد الثالث التي كان شكسبير قد ألّفها قبل ذلك ببضعة أعوام . غير أنه بالرغم من أن الأسباب الرئيسية التي ثارت من أجلها المنافسة بين النبيلين لانكستر ويورك واحتدمت ، والتي نراها في خلع ريتشارد الثاني ، فقد كانت النتائج المريعة . التي أسفرت عنها تلك المنافسة والتي كان أسقف كارلزل قد تنبأ بها (ريتشارد الثاني فصل ٤ البيت الأول) - كانت هذه الآ ثار قد أسدل عليها ستار من النسيان والزمن الطويل . كما أن الحرب لم تنشب لمدة نصف قرن وطوال هذه الفترة كان يسيطر ذلك الشبح البطول لهنرى أمير مونتماوث منقذ وطنه وعمره ، (أوعلى الأقل منقذ عرش أبيه) باعتباره أمير ويلز ، ثم باعتباره الملك هنرى الخامس فاتح فرنسا وغازيها ، والذي تحاشى طوال سنى حكمه ما قد يمكن أن يسفر عنه عدم ولاء رعاياه له . وحول شخصية هنرى هذه تلور مسرحية هنرى الرابع بجزئها ومسرحية هنرى الخامس . بل إن هذه القصة ليست مأساة تراجيديّة مؤسفة بل هي قصة بطولة انتصارية الخاتمة والنتائج ، وفضلاً عن ذلك فقد تطلبت من شكسبير نهجاً مختلفاً عن نهجه ذاك الذى نراه فى مسرحية ريتشارد الثاني .

فالأمير هال إذن ، هو المركز الحقيقى والشخصية الرئيسية فى الجزء الأول من مسرحية هنرى الرابع ، كما- أنه هو وحده الشخصية الأكثر

نشاطاً بين جميع عناصر الحبكة المسرحية . وإن إصرار شكسبير على أن يقدمه في مسرحيتين (الجزء الأول من هنرى الرابع ومسرحية هنرى الخامس) بدلا من أن يقدمه في مسرحية واحدة ، للدليل على أنه كان إصراراً يستند إلى ذلك الفيض من القصص بل الأساطير التى راجت عن شبابه العابت وهى القصص والأساطير التى امتلأت بها كتب التاريخ . وهذا الأمير الشاب ، بطل معركة أجנקورت الذى كان أكثر ملوك إنجلترا فى العصر الوسيط تديناً وتمسكاً بتعاليم المسيحية - أضفت عليه كتب التاريخ شباباً غائباً مستهتراً ضاع بين قرناء السوء . ولكن الأمير خلع كل هذا عنه لحظة دُعِيَ إلى تولى العرش . والمرحلة الأولى من هذا التطور الغريب هى موضوع هذه المسرحية . . وهى بذلك تعد مقدمة للرؤيا المجيدة التى نراها عندما أصبح هذا الشاب هنرى الخامس بكل أمجاده .

ومع أن الفرق بين هذا الأمير الشارد وبين ذلك الملك العظيم مائل أمامنا فى هذه المسرحية كما هو مائل فى مسرحية هنرى الخامس ، إلا أنه مجرد فرق فى المظهر وليس فى الحقيقة . أما بالنسبة لشكسبير فإن هذا الأمير هو عينه ذلك الملك . والفرق عنده ليس بين أمير سيئ السيرة وملك طيب ، ولكنه بين حقيقة الأمير وطبيعته وبين سمعته ، بين ما يفعله الأمير عندما يدعوه الواجب إلى تأكيد نفسه وبين ما قد يفعله أو يكون عليه مظهره عندما يكون يُضَيَّع وقته سدى . ومن هنا فليس ثمة إصلاح

حقيقى . فإن الأمير يعرف دائماً ما هو صواب وهو يفضلهُ على سواه . ولكن المظاهر وحدها هى التى تقف ضده . وللتوفيق بين هذين النقيضين قلن شكسبير يعتمد إلى تفسير يخالف القواعد السيكلوجية كل المخالفة فيقول إن الأمير كان يعتمد انتظار أحسن الفرص لعلها تسنح فيظهر للناس من أى معدن كان ولكنه اكتفى بهذا القدر . ولكن الواقع أن المسرحية ضمناً ، تقدم سبباً آخر أكثر وجاهة وهو أن الأمير كان يتمتع بصحبة فولستاف . وهكذا فإنه من العسير بل ليس فى وسع أشد المترمتين من دعاة الأخلاق أن يخالف هذا الاختيار .

والمسرحية بعد ذلك قصة واقعية أضفى عليها المؤلف كثيراً من فنه التراجيدى . ويقوم الجزء الأكبر منها على ما سرده الراوية هولنشىد عن حكم هنرى الرابع وهنرى الخامس . ولا شك أن شكسبير كان قد قرأ السيرة الأولى التى كان قد وضعها « هال » والتى يتفق هولنشىد مع الجزء الأكبر منها ، كما أنه قرأ دون شك — أيضاً القصيدة التى كان قد وضعها الشاعر صموئيل دانيال وعنوانها « الحروب الأهلية ١٥٩٥ » . وتشيد هذه القصيدة بالدور الذى قام به الأمير هال فى معركة شروزبرى كما تشير إلى قتاله مع هوتسبر . غير أن ثمة رواية قديمة أخرى عنوانها « أشهر انتصارات هنرى الخامس » كانت قد عالجت الموضوع فبدأت بحادث السرقة فى مكان يدعى « جادزهل » وانتهت بالزواج الفرنسى .

وطالما أن مصدرنا حول ذلك لم يكن سوى نسخة قديمة مشوهة طبعت عام ١٥٩٨ فإنه من العسير أن نقدر مدى استفادة شكسبير منها رغم أنه كان يعلم تماماً صحة ما ذهبت إليه . ولكن شكسبير لم يكن مؤرخاً . لقد كان كاتباً مسرحياً ومن ثم فلم تكن مهمته أن يعيد كتابة التاريخ بل أن يحوّل ما زوّده به التاريخ إلى مسرحيات . وعندما كانت الدراما الجيدة تتفق مع التاريخ كان شكسبير يقدم عرضاً جيداً للتاريخ وفق ما كانت مصادرة تسجله . أما حين كان التاريخ يتناقض مع الدراما فإن شكسبير كان يتجاهل التاريخ كلية أو يعيد صياغته لكي يحقق بذلك غرضه الدرامي . والمسرحية بسبب ذلك كله تربط تفاصيل تاريخية صحيحة كل الصحة مع تفاصيل أخرى خيالية كل الخيال . بل لقد كانت تلك التفاصيل التاريخية بالذات تتطلب تفاصيل خيالية . فشكسبير يتذكر مثلاً أن بولنبورك قد نزل في ريفنسبرج وحلف يميناً في دونكاستر ثم قابل هوتسبر في قلعة بيركلي . ولكن عندما يقدم شكسبير الملك في سن أكبر من سنه وهوتسبر أصغر مما كان ، فإنه لا يفعل ذلك جهلاً بالحقائق التاريخية وإنما إحساساً منه بما يجعل مسرحيته أكثر وقعاً . وبدافع من غريزة المؤلف الدرامي في التركيز واستمرار حركة الحدث ، كان شكسبير يعتمد إلى إلغاء الفوارق الزمنية بين الفترات والمراحل المتوالية في المسرحية لدرجة يبدو معها كل شيء وكأنه قد حدث في بضعة أسابيع . مع أن الواقع فعلاً أنه كان قد مر عام كامل بين هزيمة مورتيمر في ٢٢

يوليو ١٤٠٢ وبين معركة شروزبرى في ٢١ يوليو ١٤٠٣. أما عندما بصمت التاريخ أو يعجز عن تفسير السبب الذى حدا بالأمير إلى القيام بدور المجازف المتهور ، وعن توضيح أية صورة كان يتخذها الأمير في عبثه ولهوه ، وأى نوع من الرجال كان هوتسبر — حين ذلك كان شكسبير يلجأ إلى استخدام خياله إذ ما أكثر ما كان التاريخ يضلله . على أن تكوين المسرحية مع ذلك يمتاز فعلا بالبساطة كما أن الحبكة المسرحية والأحداث تتحرك فيها ببطء . ففي المناظر الأولى تتجمع ثلاث قوى معارضة وهى : قوة الثوار والملك والحزب الموالى ، وقوة هوتسبر والأمير ، والقوة الناجمة عن سمعة الأمير السيئة ومزاجه المتكاسل وقيمة شخصيته الحقيقية التى كانت تعادل ثقلها ذهباً . ولكن كل هذه الأمور والقوى المتعارضة يتم حلها في معركة شروزبرى . ولا تفعل المسرحية في ذلك كله إلا أقل القليل ، بل إنها لا تفعل سوى أنها تمضى قدماً نحو هدفها النهائى . على أن هذه المناظر المتعاقبة وهى تظهر واحدة أو غيرها من تلك القوى المتعارضة التى تمضى قدماً نحو اليوم الذى يُتخذ فيه قرار حاسم — هذه المناظر إنما تشحذ من قوى تلك المعارضات . وعند ما تقترب المعركة فإن المناظر المتتابعة تأخذ في القصر ، كما أن تلك القوى المتعارضة تأخذ في الاندماج . كذلك فإن أحداث المعركة نفسها تقدم الجواب على كل الأسئلة .

فالولاء ينتصر على الفرد ، كما ينتصر الأمير هال على هوتسبر وتنتصر

شجاعة الأمير ورسالته على كل الهواجس والشكوك .

والحبكة البسيطة في هذه المسرحية (والتي تخلو من التعقيدات الحديثة العهد والتغيرات التي تطرأ على اتجاهات العاطفة والتي تجعل الحبكة في مسرحية ريتشارد الثالث أكثر إثارة) — هذ الحبكة البسيطة — إنما تنعش وتحيا بسبب تلك المهارة التي تتطور بها المناظر كل على حدة . فقصة السرقة في « جاذهل » وهى عبارة عن سلسلة من المناظر التي يمكن أن ندعوها حبكة فرعية إذا لم تصل إلى نهايتها قبل أن تنتصف المسرحية ، يتضح أنها تجمع قوة الدفع كلما مضت في تطورها حتى تصل قمتها . على أن بعض المناظر قد جرى تصميمها كما لو كانت مسرحيات صغيرة ؛ وخير مثل على ذلك هو المنظر في بيت جلنداور . وهذا المنظر مفيد للحبكة المسرحية من ناحية واحدة هى أنه يظهر الثوار وهم يمشون قدماً في حبك استعدادهم ويضعون تصميماً شريراً لتقسيم بريطانيا .

ولكن شكسبير يفرض الصيغة الدرامية بأن يخلق خصومة مؤقتة بين هوتسبر وبين جلنداور وتصل هذه الخصومة إلى درجة كبيرة قبيل اللحظة التي يراجع فيها جلنداور . وهكذا فإن الفائدة التي يجنيها بهذه الخصومة (وهى ليست عظيمة القيسة) — فائدة قصيرة العمر لأن جلنداور يعمد إلى تجميد الموقف بأن يخلق الموسيقى التي كان قد وعد بها . والفرصة المؤدية إلى هذه الموسيقى تأتي في أعقاب التطور الذي حدث من التناقض بين أنصار مورثيمر العاطفين وهم ضحايا حاجز اللعبة وبين أنصار بيرسى . على أن

هذا الموقف ملئ بالتوتر الدرامى اللائق به ، ومن ثم يحقق شيئاً شبيهاً بالقرار الدرامى قبل نهايته . أما المنظر التالى وهو من منظر « الحان » والمنظر بين الملك والأمير ، فهو أيضاً يتضمن انعكاسات واضحة للموقف الذى كان فى المقدمة .

أما معارضة أنصار بيرسى لملك وهى الدعامة التاريخية للمسرحية فليس من شك فى أنها كفاح ساذج فى سبيل السلطان ولكنها من الناحية الدرامية تعد على الأقل شيئاً أكثر من ذلك ، لأن الموقف كله يتسم بالسخرية بسبب المطالبة السافرة التى يتقدم بها الملك بأحقية فى العرش وإدراكه لعدم ثبات موقفه أو رسوخه . إن صورته كرجل أحنت السنون ظهره وأثقلته مقارعة الخطوب وأضعفته الأعباء صورة درامية وليست صورة تاريخية . فقد كان فى الواقع رجلاً قوياً فى عنفوان رجولته إذ كان فى منتصف الثلاثين . ولكنه يتوق إلى شن حرب مقدسة للتكفير عن الخطأ والأذى الذى ألحقه بالملك ريتشارد . ومن ثم فهو ينظر إلى مقاومة الأمير باعتبارها سوط السماء لمعاقبته على سوء سلوكه . إن غموض مسلكه — بين عزمه على أن يتمسك بالجائزة التى حصل عليها ووخزات ضميره — أمر غير واضح أو مفهوم كما أنه لم يحسمه بصورة أو بأخرى ؛ بل إن ذلك يجعله أكثر إثارة ومدعاة للتفكير لأنه لم يتم تقديمه باعتباره سياسياً شريراً كما كان هوتسبر يعتقد .

على أن المنافسة بين الأمير وبين هوتسبر هى النبع الدرامى فى المسرحية ،

فإن الضربة القاصمة التي تقتل هوتسبر إنما تزود الأمير بشرف الفوز والتفوق ، كما أنها تقضى على ثورة الأمير وتؤكد ولاءه لأبيه الملك . وهذه الخسومة والعداء يعلنها المنظر الأول من المسرحية ثم تظل باقية بصورة أو بأخرى في كل منظر آخز تقريباً . ولكنها مع ذلك مجرد خيال من اختراع المؤلف . فإن هوتسبر الذي لم يكن من شباب الشمال كان أكبر سنّاً من الملك أبي الأمير ، كما أنه بالرغم من أنه قُتل فعلاً في موقعة شروزبرى فإن أحداً لم يعلم على وجه التحقيق من الذي قتله .

والذي لا شك فيه أن شكسبير قد سعى جاهداً لكي يجعل الأمير يبدو شخصاً أفضل من حقيقته . أما مزاج هوتسبر المتقلب فيؤكده كل منظر يبدو فيه هوتسبر ، كذلك فإن جموده أما يدعو إلى رثاء كل من أبيه وعمه (الفصل الأول المنظر الثالث) وزوجته (كما في الفصل الثاني المنظر الثالث) .

كذلك فإن ورسستر وفيرنون يتحديان زعامته (الفصل الرابع المنظر الثالث) أما نقاد صبره إزاء أى ثناء على خصومه فإنه يهمل إهمالاً مضاعفاً . أما وداعه عشية المعركة فهو مزاج غريب بين البسالة والقدرية . على أن اللمة التي تتزوج هذا كله تضاف إلى غزله في المنظر الذي يقسم فيه إنجلترا ويغالط في تفاصيل التقسيم . والواضح أنه ليست هناك أية بادرة من التعاطف مع إنسان يتنكر لوطنه الأم . على أن الأمير من الناحية الأخرى ينال ما يبرره في كل نقطة . فنحن نتأكد من اتزان والثقة فيه

والاعتماد عليه في المفاجأة التي ينطق بها في نهاية أول منظر يظهر فيه .
فالحزى والعار الذى يسفر عنه عبث انهماكه في شهوات الشباب إنما
ينتقل إلى فولستاف ثم ينتهى إلى الضحك .

وفى منتصف المسرحية نراه يؤكد لأبيه أنه أزرق فعلا بالرغم من
المظاهر ومع أن مجرد الوعد بشئ ى يختلف عن تحقيقه إلا أن التحقيق يتم
في النهاية . فإنه يقدم التقدير الكامل لبسالة هوتسر وسمعته ، كذلك فإن
أعداءه يعترفون بشجاعته واعتداله (الفصل الرابع المنظر الأول البيت ٩٧
والفصل الخامس المنظر الثاني البيت ٥٢) . وفى اليوم الذى يتخذ فيه
قراره نراه يفوز ويفتلى رأيه الضائع .

على أن كل هذا التقدير الدقيق لمختلف الموازين كثيراً ما ذهب
هباء . فإن قراء المسرحية ومشاهديها على المسرح يصبحون من أنصار
هوتسر ، بل إنهم يرغبون في تغيير الصورة إلى نقيضها . فإن عدم ولاء
هوتسر للبلد الذى يرغب في تقسيمه لا لسبب سوى أطماعه الأنانية
كثيراً ما يتجاوزه القراء والنظارة في المسرح . فإننا نجد ثمة عطفاً يتسلل
على الشوار ولاسيما في قصة خيالية . والأمير ينظر إليه باعتباره منافقاً وذلك
لأن إخضاعه طبيعة الملكية الصادقة إنما هو نتيجة للروية والتدبير ،
كما لو لم تكن مثل تلك الروية والتدبير من أولى المهام بالنسبة لرجل
يحسن تقدير الأمور ، وكما لو لم يكن التهور والانفعال ابتداءً وصورة
من صور الفوضى والاضطراب .

أما ما اقترفه الأمير فيما بعد من رفضه فولستاف في الجزء الثاني من هذه المسرحية ومن الزندقة والتظاهر بالتقوى في مسرحية هنرى الخامس فهي كلها تعود بأثر رجعى وتضاف إلى الحكم الصادر ضده . على أن السبب الحقيقى في قلب الحكم هو سبب مسرحى : إن الدور الذى يقوم به هوتسبر دور يتسم بالعدوان والحيوية طوال المسرحية بينما أن الأمير يجب أن يظل تحت الغطاء حتى النهاية تقريباً . على أن الميزة للممثل الذى يقوم بدور هوتسبر والخسارة التى تلحق بالممثل الذى يقوم بدور الأمير تبلغ كل منهما من الضخامة حداً كبيراً . ودور هوتسبر بلاشك هو أحسن الأدوار التى تمثل فى الجانب التاريخى من المسرحية . فإنه يحيرنا بصورة كاملة لدرجة أنه يجرد النقد من أى سلاح . وطالما أن الأمر كذلك فإن شكسبير لا يمكنه الهرب من المسئولية ، ولكن يمكن أن يقال دفاعاً عنه إنه حشد فى الرواية كثيراً من العلامات المميزة التى تظهر لنا أى طريق يجب علينا أن نسلكه .

ومع ذلك فحتى هوتسبر نفسه تطفئ عليه شخصية فولستاف الذى هو حقاً أعظم انتصار لحقته المسرحية . وإلا فإذا اعتبرناها ملحمة رائعة من ملاحم المعارك فإن فولستاف فيها يحوطها إلى شىء فريد يفوق العقل . ولقد صيغت شخصية فولستاف بسخاء ودقة . ومع أن مسرحية « الانتصارات الشهيرة » تتضمن شخصية مماثلة له إلا أنه حتى إذا كان دوره فى تلك الشخصية كما فهمه شكسبير أكثر إقناعاً مما هو لدينا فى هذه المسرحية ،

فإنه من المستحيل تقريباً أنه قدم لشكبير أكثر من مجرد بداية . فليس ثمة شيء يقوله التاريخ سواء عن الشهيد سير جون أولد كاسل (كما كان فولستاف يدعى في التمثيليات السابقة) أو سير جون فاستولف (الجزء الأول من هنرى السادس الفصل الثالث المنظر الثانى والفصل الرابع المنظر الأول) ليس شيئاً من هذا يمكن أن تُعزى إليه تلك الشخصية الخالدة التى خلقها شكبير . إن فولستاف قد تمت صياغته موافقة كل الموافقة للدور المعين له بأقصى حدود الدقة والبراعة . فهو يصبح تجسيداً لانهماك الأمير فى شهورات الشباب .

إن فولستاف هو الذى يخلق جو الفقر والحرمان ويساهم الأمير فى ذلك ولكنه غير مسئول عنه بل يقف دائماً بعيداً عنه . ومن ثم فإن فولستاف ما هو إلا كبش الفداء فهو يأخذ على عاتقه تلك الشرور والآثام التى تلحقها الأسطورة بالأمير . وهو إذ يمضى قدماً فيبرى ساحة الأمير فإن الشوكة تنتزع انتزاعاً من تلك الشرور والآثام ، وذلك بأن يقدمها ، ليس غير ، فى صورة مسرحية مصحوبة بالضحك وباعتبارها البراعة والطهارة الكاملة . إن أقوى درجات ضبط النفس والتحكم فى الذات هى وحدها التى تجعلنا بينما نضحك من مجون فولستاف ومزاحه نتذكر أنه كاذب فعلاً وطفيلى ونهم وسكير عرييد ولص ، بل أكثر من ذلك كله إنه هو الذى نحتقره . إن شخصية فولستاف اختراع درامى ممتاز كعازل لشخصية الأمير . إن التقليد الدرامى هو أن المخرج هو مصدر السخرية والأبله والمجنون

أو المدعى المحتال الذى يتفوق على نفسه فى النهاية ويُعرض علينا ليثير فينا عاصفة من الضحك السافر الذى مرده إلى ما لدينا من صدق الحكم والإدراك ، وهو فى ذلك يشابه فولستاف الآخر الذى نراه فى مسرحية زوجات وندسور المرحات . ولكن فولستاف مسرحية هنرى الرابع ، وبالرغم من كل الهزء الذى يطلقه عليه الأمير والآخرون والذى يتفاداه هو دائماً بمنتهى المهارة - فولستاف هذا قلما نراه وقد فضحته الأحداث أو قهرته أو دحرت أو أهانتة . ذلك أنه يستطيع دائماً أن يربح شيئاً ما على الأقل وأن يحقق شيئاً ما من الانتصار . بل إننا نراه فى نهاية المسرحية فى صورة شخص يدعى دعوى زائفة بأنه انتصر على هو تسير . ولكننا إزاء هذا النجاح لا نملك شيئاً من السخرية . فالواقع أن مثل هذا النجاح ولو فى الخيال إنما يثير فينا شيئاً أعمق هو إلى شعور الشفقة والعطف أقرب . وهكذا يستحوز فولستاف على إعجابنا لوقاحته المتناهية . فنحن عندما نضحك معه إنما نضيع كل فرصة تسنح لنا بأن نجلس إزاءه على منصة القضاء . وهكذا فإن عجز قدراتنا العادية الانتقامية عجزاً تاماً وإسنادنا إلى فولستاف دوراً هو خليط من التعاطف والحرمان ما هو إلا انتصار للخيال الكوميدي .

وفضلاً عن ذلك فإن فولستاف الغامض الملتبس هو فولستاف الحقيقى . فهو لا يكون أبداً على صورة واحدة مرتين متتاليتين . بل هو سلسلة متصلة الحلقات من الشخصيات التى يقوم بتمثيلها . فهو فى ذلك ممثل كوميدي أصيل وكل إنسان آخر إن هو إلا أداة يجب أن ترتفع إلى

وأدواره عديدة يخطئها الحصر وكل دور منها يتبعه نقيضه : الرجل العجوز والشاب المرح الوثاب ، الرجل السمين والرجل النحيل (أو على الأقل الخيالي) ، العظيلي والحامي العظيم لباردولف وأمثاله ، وهو الداعر الفاسق وهو المتزمت وناقد الأخلاق ، وهو الجندى الشهم الباسل وهو الجبان الرعيد ، أو على الأقل هو الذى يعرض تلك البديهة وهى أن التبصر خير سمات الشجاعة (الفصل الخامس المنظر الرابع البيت ١٢١) على أن أشهر أدواره هو الدور الذى يقوم فيه بالمراوغة المتقنة - فهو يقع ثلاث مرات على الأقل فى الحصار ولكن ليتلوى ويتملص فينجو بواسطة عملية ناجحة من المغالطة والمراوغة (ولكن الواقع أنه جبان فيما يتعلق بالغريزة فالأمير مدين له بحبه وحبه يقدر بمليون من الجنيئات أما هو فقد قدم لهوتسبر جرحاً فى فخذه) . على أن أعجب أدواره كلها هو دوره كطالب للشرف . وفى سطور المقدمة التى يبرهن فيها ذلك فقد تبدو كلمة واحدة وكأنها تنسف أساس جميع الأجزاء الجادة فى المسرحية . ولكننا فى ذلك الوقت نصبح وقد ألفنا ما يعتمد إليه فولستاف من تشويه القضايا الحققة وتشويه الأمور الصادقة وتحويلها إلى أمور ضالة خادعة ، فنأخذها كما لو كانت قطعة أخرى من المنطق الكاذب مثل جدله ذاك الذى قال فيه إن السرقة ليست خطيئة إذا كانت حرفة الإنسان (الفصل الأول المنظر الثانى البيت ١١٧) . وهكذا فإن خلقه المتلون الختال يجعل المحاصمة والشجار

حول جنبه يبدوان كأنهما أمراً غير مقبول وفي غير موضعه مما جعل نقاد الأدب يصدقونه ويمضون في تأييد هذا الرأي .

وبالطبع فإن فولستاف جبان عندما يهرب أو يصطنع الموت . ذلك أن الشخص الجريء عندما يهرب أو يصطنع الموت يبدو مضحكاً . ولكن في الوقت عينه فإن امتلاك النفس الذي ينفذ به هذه الاممحات من الحصافة والتمييز إنما تختلف اختلافاً كاملاً عما يعتمد إليه جبان من تحطيم الأسنان أو الركل بل تجعل منه جباناً يختلف عن جميع الجبناء الآخرين ، كما تجله أكثر سخرية وهُزْءاً . إن الضحك الذي تُقابل به نكاته فضلاً عن أنها أكثر من مجرد كونها دلائل براعته — هذا الضحك ما هو إلا اعتراف سعيد بالخذق والبراعة اللذين يستخدمهما دائماً متظاهراً بأنه شيء ليس في حقيقته ولا من طبعه أو أنه على الأقل لم يكن منذ دقيقة أو ساعة أو يوم . إن عينه البراقة وصوته المنقوع في النسيء وجسمه الذي لا يحسن استخدامه تسيطر كلها على كل موقف يجد نفسه فيه ، بل يجعلها جميعاً تتحول إلى طرب وسرور بأن يفترض أى دور يكون آخر ما ينتظره منه أى إنسان . إنه يعصف خلال المسرحية كلها مثل فقهة عالية ويكاد يصل إلى حد يجعل معه مسرحية شكسبير عن تاريخ هنرى تتحول إلى ملهاة فولستاف .

حننا الياس

الملك هنرى الرابع

الجزء الأول

ترجمة الأستاذ مصطفى طه جيب

مراجعة

الأستاذ محمد شفيق غربال الأستاذ محمد بدران

أشخاص الرواية

King Henry IV.	:	الملك هنرى الرابع
Henry, Prince of Wales	:	هنرى (ولى العهد أمير ويلز)
John of Lancaster	ابنا الملك :	لورد جون لانكستر
Earl of Westmoreland	:	إيرل وستمورلند
Sir Walter Blunt	:	سير ولتر بلنت
	توماس برسى :	إيرل ووستر
Thomas Percy, earl of Worcester	:	هنرى برسى
	إيرل نورثمبرلند :	
Henry Percy, earl of Northumberland	:	
Henry Percy, Hotspur	ابنه :	هنرى برسى الملقب هوتسبر
	إيرل مارش :	إدموند مورتيمر
Edmund Mortimer, earl of March	:	
Richard Scroop	رئيس أساقفة يورك :	ريتشارد سكروپ
	إيرل دجلاس :	أرشيبالد
Owen Glendower	:	أدوين جلنداور
Sir Richard Vernon	:	سير ريتشارد فرنون

Sir Michael	: من حاشية رئيس أساقفة يورك	سير ميكل
Poins	: سيد من حاشية الأمير هنرى	إدوارد بوان
Sir John Falstaff	:	سير جون فولستاف
Gadshill	:	جاد شيل
Peto		بيتو
Bardolph	:	باردولف
Lady Percy	: زوج هوتسير وأخت مورتيمر	لادى برسى
	: ابنة جلندور وزوج مورتيمر	لادى مورتيمر
Lady Mortimer		
	: صاحبة حانة رأس الحلوف فى لايس شيب	السيدة كويكلى
Mistress Quickly		
لوردات - ضباط - مأمور - خادم - حاجب - سقاة - حملان -		
مسافرون - أتباع		
إنجلترا		المنظر :

الفصل الأول

المنظر الأول

لندن - القصر

الملك هنرى وبعه سر ولتر بلنت يقابلان وستمورلند وآخرين

الملك : أما من سبيل وقد زلزلتنا الإحن وأوهنتنا الهموم
أن نحمل السلام الذى طاردته حروبنا الأهلية على أن
يطمئن ويهدأ ويتنفس الصعداء من هذا الطراد الطويل ،
وأن يهمس فى عبارات لاهثة شائعات حرب جديدة
تشنها فى شواطئ سحيقة بعيدة عن ديارنا ،
كى لا تعود هذه الأرض الظامئة

الى تدنيس أفواهاها بشرب دماء أبنائها ،
ولنرد يد الدمار عن حياضها التى أضرت بها الخنادق
والمنايريس ،
ولتكف سنابك الخيل المتحاربة عن إهلاك حرثها ونباتها ،
وليوقف هؤلاء المتخاصمون من أبنائها الذين قطعهم
الإحن واندلع بينهم لهيب الحقد

كما يندلع لهيب الشهب في سماء نائرة عاصفة ،
 ليقف هؤلاء الأبناء الذين اشتبكوا أخيراً في قتال
 عنيف وحرب أهلية عاتية
 أثخنت فيها الجراح وأزهقت الأرواح
 مع أنهم جميعاً من جبلة واحدة تجمعهم أرومة مشتركة ،

ليقفوا صفّاً واحداً على اختلاف نزعاتهم
 وبسببوا معاً مؤتلفين إلى هدف مشترك ،
 متناسين خلافاتهم وغير متنكرين لوشائج الدم والألفة
 والحوار التي تربطهم ،
 وهكذا يكف سيف الحرب عن أن يرتد في نحر صاحبه
 كما ترتد السكين التي لم يحسن صاحبها غمدها في يده
 فتجرحها .

فهيا بنا أيها الأصدقاء نجند قوة من الإنجليز
 ونقودها إلى الأرض المقدسة حيث قبر المسيح
 الذي نحن جنده الآن
 والذي تعاهدنا وارتبطنا تحت الصليب المقدس أن
 نحارب في سبيله ،
 هيا نقود هذه الحملة من الرجاك

الذين خلقت أذرعتهم في بطون أمهاتهم لطرد الوثنيين
من الأرض المقدسة

٢٥

التي وطئها أقدام المسيح المباركة
الذي احتل منذ أربعة عشر قرناً مرارة الصلب إيثاراً
لسعادتنا ومصلحتنا ،
ولقد كان إرسال هذه الحملة هدفنا ومرادنا منذ اثني
عشر شهراً ،
ولذلك فنناقل القول أن أناديكم بأننا سندهب إلى
هناك ،

٣٠

فألهذا اجتمعنا ، وإنما اجتمعنا
لأسمع منك يا ابن العم العزيز الكريم وستمولند
ما قرره مجلسنا الخاص ليلة أمس
في شأن إنفاذ هذه الحملة العظيمة الخطر .

وستمولند

: مولاي ، لقد كان إنفاذ هذه الحملة على الفور موضع

٣٥

البحث الجدي

واتخذت عدة من التدابير لمواجهة تكاليف الحملة
وتعيين قوادها

ولكن أمس انقلب الأمر

حين وفد رسول من الغال يحمل أنباء سيئة

لعل أكثرها سوءاً أن مورتيمر النبيل
الذى قام على رأس حملة من رجال هيرفوردشير
لتأديب الثائر الوحشى جلندور
قد وقع أسيراً فى قبضة هذا الغالىّ الخشنة ،
وأن ألفاً من رجاله اذبحوا
ومثل بأجسادهم بعد الموت أشنع تمثيل .
وأن نساء الغال قمن بعملية التشويه هذه بوحشية
وبلا تورع

٤٠

٤٥

مع أن مجرد ذكر هذا الحدث
أو رواية أخباره يتندى له الجبين خجلاً .
: يبدو إذن أن أنباء هذه المعركة
قد أرجأت إنفاذ مشروع حملتنا إلى الأرض المقدسة .
: أخشى أن الأمر كذلك يا مولاي الكريم ،
إذا أضفنا إلى هذه الأنباء أنباء أخرى غير سارة
ولا مرضية

الملك

وست

٥٠

جاءت من الشمال مفادها
أن المغوار هوتسبر الشاب
قد التقى فى عيد الحصاد الرابع عشر من شهر سبتمبر
عند هولدون بايرل دوغلاس الفارس الشجاع ،

هذا الإسكتلندى القدير المحنك

٥٥

وأن معركة حامية دموية دارت بينهما هناك

كما يصفها الرسول الذى استنتج ذلك

مما سمعه من قصص المدافع المتبادلة بينهما ،

ولم يقطع الرسول بنتيجة المعركة ، ولا لمن كان فيها الغلب

لأنه امتطى صهوة جواده ليسرع إلينا بالأنباء

٦٠

بينما المعركة على أشدها حامية الوطيس بين الفريقين .

: ها هو ذا صديق عزيز صادق الحماسة دعوب

الملك

هو السير ولتر بلنت قد ترجل عن جواده لتوه

لم ينفص عنه غبار السفر الذى احتمله

فما قطع من أراض مختلفة من هولدون حتى مقر ملكنا ،

٦٥

وقد أفضى إلينا بأنباء سارة ومطمئنة ،

أنبأنا أن إيرل دوجلاس غلب على أمره ،

وأن عشرة آلاف من الإسكتلنديين الشجعان ومعهم

اثنان وعشرون فارساً

قد تكدست أجسادهم غارقة في دماءها

في سهول هولدون وقد رآها سير ولتر بنفسه

٧٠

ومن بين الأسرى الذين وقعوا في أيدي هوتسبر مورديك

إيرل فايف^(١)

والابن الأكبر للوجلاس المغلوب ولإيرل إيثول^(١)

ومرى وانجوش ومنتيث^(٢)

أليست هذه غنيمة مشرفة وكسباً موفوراً ؟

أجل ماذا تقول يا ابن العم أليس الأمر كذلك ؟

٧٥

: بلى وأيم الحق ،

ستمورلند

لأنه لغنى يحق لأمر أن يباهى به ويفخر .

: صدقت ، ولشد ما يحزننى هؤلاء هذا ويحملنى على أن

الملك

أرتكب خطيئة الحسد ،

الحسد للورد نورثمبرلند

على أن يكون له مثل هذا الابن المبارك

٨٠

الذى يلهج المجد بذكره ،

هذا النبات المستقيم العود وسط الأحرار الملتفة ،

هذا المجدود الذى اصطفته آلهة الحظ خليلاً ، وجعلته

موضع الاعتزاز والفخر ،

إنى لأقرأ آيات حمده بينما أنظر

لأرى ابنى هارى الشاب وقد تلطخت صفحته بالشقوة

٨٥

والعار ،

أواه ليته كان في الإمكان أن نثبت
 إن جنية من خاطرات الليل قد استبدلت
 ابنه بابني وهما في قماط الطفولة حيث يرقدان
 وسمت فتاى برسى وابنه بلانتيجينت (١) !
 إذن لأخذت ابنه هارى ولأعطيته ابني ،
 ولكن ما يجدى هذا فلاأبعد بينه وبين سانحات
 خواطرى ! وبعد يا ابن العم ،
 ما رأيك في هذا المجد الذى أحرزه برسى ؟

إن الأسرى الذين غنمهم في هذه المغامرة
 قد استبقاهم لنفسه لينتفع بهم ، وبعث إلى برسالة
 يقول فيها

إنه لا حق لى في أحد منهم ، اللهم إلا إيرل فايف . .
 : هذه تعاليم عمه ورستر ،

٩٥

وستورلند

هذا الكوكب النحاس الذى يترصدك في كل اتجاهاته ،
 إنه هو الذى يغريه أن يسوى ريشه ويرفع عرفه كما يفعل
 الصقر حين يبدأ الطراد

وأن يتحدى بشبابه جلالاك ووقارك .

: ولكنى بعثت إليه أستجوبه في هذا الموقف ،

١٠٠ الملك

ولهذا أرى أن نرجئ
حملتنا المقدسة إلى أورشليم حيناً من الزمن ،
ولنجتمع أيها العزيز بمجلسنا يوم الأربعاء القادم في
وندسور ،

فأبلغ ذلك إلى اللوردات
وعد إلينا من فورك ثانية ،
فلا يزال لدينا مزيد مما يجب أن نقوله ونفعله في هذا
الشأن ،
ومن الحكمة أن نتدبر ذلك في هدوء لا أن نبت فيه
ونحن في ثورة من الغضب

١٠٥

: سأفعل يا مولاي .

وستمورلند

(يتخرجون)

المنظر الثانى

(لندن - غرفة فى بيت ولى العهد أمير ويلز ، حيث يرقد سيرجون
فلستاف على مقعد فى أحد الزاويا وهو يغط فى نومه . يدخل ولى العهد
ويوقفه)

فلستاف : (وهو يستيقظ) هيه يا هال فى أى ساعة من النهار نحن

يا فى ؟

الأمير : يا لك من غبي تبلد ذهنك من طول معاقرتك للنبيذ
المعتق ، وحل إزارك بعد العشاء ، ونومك على المقاعد
بعد الظهر ، فأנסاك هذا أن تسأل عما تريد أن تعرفه .
فيا للشيطان ، أى شأن لك أنت بالنهار ، حتى نغى
بالسؤال عن الوقت فيه ، اللهم إلا أن تكون ساعاته
كنوساً من النبيذ ، ودقائقه ديكة سمينة ، وعقاربهِ ألسنة
العاهرات ، وميناؤه لافتات للمواخير والحانات ،
وإلا أن تكون الشمس المباركة نفسها امرأة لعباً من
بنات الهوى ، تتبختر فى ثيابها الإرجوانية الصارخة .
مهما يكن الأمر فلست أرى سبباً يدعوك إلى أن تكلف
نفسك مشقة السؤال عن ساعات النهار فى غير ما حاجة .

فولستاف

: لقد أصبت الهدف حقاً ، وكدت تفهمنى الآن يا هال ،
 فنحن الذين نسرق الأكياس ، لا نعمل إلا فى ضوء
 القمر ، ولا نحسب أوقاتنا إلا به وبالنجوم السبعة ،
 ولا نسير قط فى ضوء الشمس ، « هذا الفارس الجميل
 الجوال فى كبد السماء » ، ولذلك أتوسل إليك يا فتى
 العزيز حين تصبح ملكاً ، حفظ الله ملكك يا صاحب
 الساحة ، لا بل يا صاحب الجلالة ، فهذا ما ينبغى
 أن أقول لأن الساحة لن يكون لك منها نصيب .

٢٠

الأمير

: ما هذا الذى لن يكون لى منه نصيب ؟

فولستاف

: أقصد وأيم الحق أنه لن يكون لك نصيب كاف يعادل
 ما فى الدعاء الذى يقال قبل وجبة من البيض والزبد .
 : ماذا تعنى بهذا ؟ أفصح عما تريد وتكلم بوضوح فى
 الموضوع .

٢٥ الأمير

فولستاف

: اسمح إذن أيها الفتى العزيز عندما تصبح ملكاً ،
 لا تدع أحداً يلقبنا — نحن فرسان الليل ورجال
 الطريق — بالمتسكعين المفسدين بهجة النهار ، السارقين
 جماله ، بل لنكن حاشية ديانا الصائدة ، سادة الليل
 وعشاق القمر ، ودع الناس يقولون عنا إننا رجال حسنو
 السلوك ، فنحن كالبحر تحكمنا سيدتنا النبيلة العفة

آلهة القمر ، وفي ظلها نعمل وتحت وجهها نسرق .
 لقد أحسنت القول وأجدت التشبيه ، فإن حظوظنا نحن
 حاشية القمر كالبحر تارة في مد وتارة في جزر ،
 والقمر يتحكم في مصائرنا كما يتحكم في حركة البحر ،
 والدليل على ذلك حاضر الآن ، فكيس الذهب الذي
 ينتهب في إصرار وعزم مساء الاثنين ، ينفق في يسر
 وسرف صباح الثلاثاء ، إنه يُنتهب بصبب اللعنات على
 رؤوس الرحالة والمسافرين وأمرهم بالوقوف وتسليم ما معهم
 من النقود ، وينفق بالصيحات المتكررة على صاحبة
 الحان ، هات لنا مزيداً من النبيذ ، إننا في بحر الحظوظ
 هذا تارة في غيض نقف عند أسفل سلم المشنقة ، وتارة

الأمير

٤٣

في فيض يبلغ بنا أعلاها .

فولستاف

: تالله ، لقد قلت صدقاً يا فتى ، ولكن أليست صاحبة
 الحان امرأة غاية في الملاحاة ، تستحق أن يصرف عندها

٤٦

كيس الذهب ؟

الأمير

: حلوة كعسل هيبلا^١ أيها العجوز العريبد (أولد كاسل)
 يا ربيب الحانات ، ولكن أليس قميص السجن الخشن

(١) Hybla بلد في صقلية .

لباساً متيناً يستحب معه الحبس من أجل دين صاحبة
ألحان ؟

٤٩

فولستاف : وى ، وى أيها الحبيب المجنون ، ماذا تعنى بهذه التوريات
والإيماءات ؟ أى شأن لى بقميص السجن ؟

٥٢

٥٤ الأمير : وى ، ويا للجدرى يا رجل ! أى شأن لى بصاحبة ألحان ؟

٥٦ فولستاف : لقد طلبتها مراراً وتكراراً لتسألها الحساب .

الأمير : وهل طلبت إليك مرة من المرات أن تدفع نصيبك من
الحساب ؟

فولستاف : كلا ، ومن واجبي أن أقر لك بحقوقك ، فأقول إنك
دفعت جميع الحساب هناك .

٦٠

الأمير : بل هناك وفى كل مكان آخر كنت أدفع ما أسعفتنى
النقود ، أما إذا لم تسعفنى ، فقد كنت
أضيفها ديناً على .

٦٣

فولستاف : قد أسرفت فى الديون على هذا النحر ، ولولا أنك ولى
العهد لكان إشفار إفلاسك هو المنتظر ، ولكن أتوسل
إليك يا فتى العزيز أن تجيبني ! هل ستُنصب المشائق
فى بريطانيا عندما تصبح ملكاً ؟ وهل ستتطلب من
الجساسة ثمرة إقدامها ، كما هى الحال فى ظل القاذون
العتيق المضحك الذى انقضى إبانته ، أتوسل إليك

ألا تفعل ذلك يا فتاى . . ولا تقدم على شتى لص
عندما تصبح ملكاً .

٧٠

الأمير : لا ، لن أفعل ذلك ، ولكن أنت الذى ستفعله .

فولستاف : أسيكون ذلك نى ؟ يا لك من رجل عديم النظر ، بالله
لاكونن قاضياً فذاً .

٣٧

الأمير : لقد أسأت فهم إشارتى أيها القاضى المزيف ، إنما عنيت
أنك ستأخذ على عاتقك شتى اللصوص ، وبذلك
تصبح جلاداً عديم النظر .

٧٦

فولستاف : حسناً يا هال ، إن هذا يتفق نوعاً ما مع ميولى، وأنا أحبه
حي للملازمة القصور تماماً ، وأؤكد لك ذلك .

٨٠ الأمير : بل تحبه لتفوز بالخلع والملابس . . أليس كذلك ؟

فولستاف : بلى ، للفوز بالخلع والملابس ، فالجلاد ليس قليل الحظ
من الستر والملابس ، فهو يستولى على ملابس ضحاياها
من المشنوقين ؛ بحق السماء لقد ضقت صدرأ بهذا
الحديث عن المشائق والجلادين وأصبحت محزون النفس
كالقط الذكر أو الدب المقيد فى السلاسل تنبجه
كلاب الصيد .

٨٤ الأمير : بل قل كأسد هرم أو كقيثارة محب !

فولستاف : بلى ، أو كأنغام موسيقى قرب لنكولنشير المملة .

٨٨ الأمير : وماذا تقول في الأرنب المحزون وفي القلب الموحل المقبض؟

فولتاف : إنك تفيض بالتشبيهات القذرة الدنيئة ، ولأنت بحق

أيها الأمير العزيز معين لا ينضب من الاستعارات والتشبيهات
البغيضة ، ولكن أرجوك يا هال أن تكف عن غرورك
وشقوتك ، ولوددت أن أصرع إلى الله أن يهديني وإياك
إلى مكان نستطيع أن نلتمس فيه مدداً من الكلمات
الطيبة فنشتره لأنفسنا ، لقد لامني فيك بالأمس أحد
السادة اللوردات من أعضاء المجلس ، وعنفني في
الطريق العام من أجلك يا سيدي ، ولكني لم ألق إليه
بالا ، رغم أن حديثه كانت تنطق بالحكمة من جوانبه .
أجل لم آيه به وإن نطق بالحكمة وألقى بها في عرض
الطريق أيضاً .

٩٨

الأمير : لقد أحسنت صنعاً ، فالحكمة تستصرخ الناس في

الطريق ، ولكن أحداً لا يأبه لها ولا يصيخ لدعوتها .

١٠٠

فولتاف : إن لك لقدرة ماجنة على ترديد عبارات الكتاب المقدس

وتقطيعها بما يجلب عليك اللعنة ، وفي الحق إنك قمين
أن تفسد العابد الناسك ! لقد أغويتني وقدتني إلى كثير
من المهالك والآثام ، يا هال ، وأسأل الله أن يغفر لك
هذه الزلة . . لقد كنت بريئاً قبل أن أعرفك يا هال ،

لا أدري من المفاصد شيئاً ، والآن أصبحت ، إذا كان
 لإنسان أن يقول الحق ، أقرب ما أكون إلى الأشقياء
 الملعونين . لا بد لي أن أرتدع عن هذا الغي ، وأثوب عن
 هذه الحياة ، لأنفضن يدي منها ، وتالله لئن لم أنته
 عنها ، فما أنا إلا شقي مجرم ، ولتدخلني اللعنة كما لم تدخل
 بابن ملك في العالم المسيحي .

١١١ الأمير

: أين نستولى على كيس من الذهب غداً يا جاك ؟

فولستاف

: في أي مكان تشاه يا فقي ، وسأسلب كيساً ، ولئن

لم أفعل فلك أن تدعوني مجرمًا وأن تمنن قدرى .

الأمير

: إني لأرى فيك توبة طيبة وتحولاً حسناً ، فن الصلاة

والإبتهاال إلى السرقة وانتهاب أكياس النقود .

١١٧ فولستاف

: ويلك يا هال ، إنها مهنتي يا هال ، وليس آثماً من

يعمل في مهنته .

(يدخل بوان) اسمع يا بوان ، أيمكن أن تعرف هل

رسم اللص جادشيل لنا خطة لمغنم جديد (مشيراً إلى

الأمير) يا لله إذا كان الناس تنفذهم فضائلهم وأعمالهم

فأي طاقة من حميم في جهنم يمكن أن تتسع له ، إنه

أقدر مجرم عرفته اللصوصية ، وأكثر الناس

إقداماً على سرقة الشرفاء .

- ١٢٢ الأمير : أسعدت صباحاً يا نند (١) .
- بولان : أسعدت صباحاً يا هال العزيز . ماذا يقول السيد المؤنب الضمير ؟ ماذا يقول السير جون العجوز الفارق في النبذ والسكر ، اسمع يا جاك فيم كان اتفاقك مع الشيطان بشأن روحك ؟ حتى بعته روحك في يوم الجمعة الحزينة السابقة مقابل كأس من نبيذ ماديرا وفخذ ديك باردة ؟
- ١٢٩ الأمير : إن سير جون وفي بعته ، وسيفوز الشيطان بصفتك ، فما عرف عن السير جون أنه يعارض الأمثال أبداً ، ولذلك فهو سيعطي الشيطان حقه .
- ١٣٥ بولان : إذن فأنت ملعون يا سير جون لاستمساكك بوعدك حتى مع الشيطان .
- الأمير : إنه ملعون على أي حال لأنه إن لم يلعن لوفاته للشيطان ، فسيلعن لخداعه آياه .
- بولان : خلطنا من هذا الحديث ، واسمعوا أقول لكم يا فتیان ، مستجبون غداً صباحاً في الساعة الرابعة مع البكور في جاذهيل حجاجاً في طريقهم إلى كانتري ، وقد حملوا معهم قرابين ثمينة ، كما تجلبون تجاراً مسافرين إلى لندن وقد ورمت أكياسهم من النقود . . لقد أعددت

لكم جميعاً أقنعة تستخفون بها ، وما عليكم إلا أن
تعلموا خيولكم وتتجهوا إلى جادزهل وجادشيل يبيت
الليلة في روشستر ، وقد هيأت لكم عشاء غداً مساء
في إيست شيب ، وفي مكتنتنا أن نقدم على هذا العمل
مطمئنين اطمئناننا إلى النوم ، فإن جثم فأننا كفيل أن
أملأ لكم جيوبكم ذهباً ، أما إذا لم تجيئوا فقروا في
بيوتكم ولتتخطفكم المشائق .

١٤٧

: اسمع يا إيوارد: إن أنا بقيت في بيتي ولم أذهب إلى
جادزهل ، لأتسبين في شنقك جزاء على تركك إياي
: أذهب أنت يا ذا الخدين المتفخطين .

فولستاف

١٥٠

: ألا تصاحبنا يا هال ؟

فولستاف

: من ؟ أنا . . أنا أسرق ؟ أنا أصير لصاً ؟ . . ما أنا
بالذي يفعل ذلك وأيم الحق .

١٥٤

: لئن لم تأت معنا فأنت مجرد من الأمانة والرجولة وحق
الصدقة عليك ، منكر لأصالتك ، مثبت أنك
لم تنحدر من دم ملكي ، بل أنت أدنى من الملوكي^(١)
قيمة لأنك لا تستطيع أن تقاوم من أجل عشرة شلنات .
(بوان يقوم بإشارات من وراء ظهر فلستاف موجهة للأمير)

فولستاف

(١) الملوكي عملة إنجليزية تساوي عشرة شلنات .

- ١٦٠ الأمير : إذن لأكون ما جئاً مرة في حياتي .
 فولستاف : بخ بخ . لقد أحسنت القول .
 الأمير : بل لأقبعن في بيتي مهما تكن الأمور .
 ١٦٥ فولستاف : تالله لئن فعلت لأخونتك حين تلى الملك .
 الأمير : لست أبالي .
 بوان : أرجوك يا سير جون أن تخلي بيني وبين الأمير ،
 فسأذكرن له من الأسباب ما سوف يغريه بالذهاب
 معنا . ١٦٩
 فولستاف : أدعو الله أن يهبك قوة الإقناع ، وأن يهبه أذناً
 واعية حتى تؤثر كلماتك فيه ويؤمن هو بما يسمع ،
 ويرضى وهو الأمير الصادق أن يلبس ولو على سبيل
 المرح مسوح اللص المزيف ، فإن مساوى العصر
 الصغيرة أحوج ما تكون إلى من يرعاها ويشجعها ،
 وداعاً وستجلى إن شاء الله في بيت أيست تشيب . ١٧٦
 الأمير : وداعاً أيها الربيع المولى ، وداعاً يا صحوة صيف في
 الشتاء^١ .

(يخرج فولستاف)

(١) الشتاء لا يبدأ حقيقة في ٢١ ديسمبر كما يعلم التلاميذ خطأ ٢١ ديسمبر
 قلب الشتاء في النصف الشمال لأن الشمس في هذا اليوم تتعامد على مدار الجدى ثم تبدأ متجهة
 نحو خط الاستواء فدار السرطان إلخ .

بوان

: والآن يا أميرى المحبوب ، اركب معنا غداً ، فإن لدى
مزحة أريد أن أنفذها ولكنى لا أستطيع أن أقوم بها
وحدى . ستترك فولستاف وباردولف وبيتو وجادشل
يسرقون هؤلاء الرجال الذين أعددنا لهم كميناً من قبل ،
أما أنت وأنا فلن نكون معهم ، فإذا ما استولوا على
الغنيمة ولم نستطع أنا وأنت أن نسليم إياها ، فلك أن
تقطع رأسى هذا من فوق كتفى .

١٨٥

الأمير ١٨٨

بوان

: وكيف نفترق عنهم عندما نبدأ العمل ؟
: نتحرك قبلهم أو بعدهم ونحدد لهم مكاناً للقاء وموعداً ،
ولنا أن نخلف هذا الموعد حسب ما يترأى لنا ، وعندئذ
لا يجدون هم مناصباً من الانقضاض على الغنيمة وحدهم ،
وما أن يفوزوا بها حتى ننقض عليهم نحن فنسليم إياها .

١٩٤

الأمير

١٩

بوان

: ولكن من المحتمل جداً أن يعرفونا بخيولنا وأن يميزونا
بملابسنا وبكل ما عدا ذلك من سماتنا .
: دع عنك هذا ، فخيولنا لن يروها ، فسأربطها في الغابة
أما أقنعتنا فسنغيرها ونلبس أقنعة أخرى حالما نفارقهم ،
وأن لدى يا فتاى سترأ من التيل الحشن المقوى بالغراء
معدة لهذا الغرض ، ونستطيع أن نخفى به مظهرنا
المعروف لهم .

٢٠٢

الأمير : ولكنى أخشى أننا لسنا ندّاً لهم في القوة؛ وأننا سنلاقى من أمرنا عسراً معهم .

يوان : لا عليك يا سيدى ، فائتان من الثلاثة أعرف أنا حق المعرفة أنهما مطبوعان على الجبن والفرار بما يفرق طبع أى جبان ، أما الثالث ، فإذا قاتل أكثر مما تمس إليه الحاجة فلأهجرن سلاحى وأعتزل القتال ما حييت . وخير ما فى هذه المزحة ، الأكاذيب الضخمة التى لا حصر لها والتى سيقصها علينا هذا الرغد السمين المترهل عندما يلقانا فى العشاء ، كيف يبالغ وكيف يقول إن ثلاثين رجلاً على الأقل قاتلوه ، وإنه التقى بعدد من نقط الحراسة ، وما أكثر ما احتمال من ضربات ، وما أشد ما صبر على ما لا يصبر عليه من آلام جاوزت الحد ، على أن طلاوة هذه المزحة رحلاوتها هى فى تفنيد هذه المزاعم .

٢١٢

الأمير : ليكن . لأذهبن معك ، فأعد لنا كل ما تراه لازماً ، ولاقنى غداً مساءً فى إيست تشيب حيث أتناول العشاء ، وإلى اللقاء .

يوان : إلى اللقاء يا سيدى .

(يخرج يوان)

: إني لأعرفكم جميعاً وأعرف سلوككم وسأمسكت فترة ما
على هواكم الجامح ، ونزواتكم الشقية التي هي وحى
الفراغ والدعة .

ولكني بسكرتي هذا أقلد في صنيعى الشمس
التي تسمح للسحاب الوضع الضار
أن يحجب جمالها عن الوجود ،
حتى إذا ما بدا لها أن تستعيد ضياءها ،
وكلما أحست بحاجة الناس إليها ، زاد إعجاب الناس بها
حين تنفذ بأشعتها خلال سحب الضباب القائمة القبيحة
التي خيل إلى الناس حيناً أنها خنقت نورها وكسفت
ضياءها .

لو استحالت أيام السنة كلها مراتع للهو ،
لكان اللهو مملاً كالعمل ، ،
أما إذا كان هذا اللهو لا يجيء إلا نادراً فإن الرغبة فيه
تشتد

وليس أدعى للسرور من الحوادث النادرة التي تأتي غباً .
ولذلك فإني حين أخلع عن نفسي هذا المسلك المألوف
وأؤدى للدين الذى لم أعد به أبداً ،

ليكونن لفعال وقعاً أشد أثراً في النفس مما لو اقتصرت
على مجرد القول ،

وبهذا أخيب ظن الناس في ،

وأبرهن على أن تقديرهم لشأني لم يكن له أساس من
الصحة ،

وهكذا يحجب ضياء صلاحى الباهر ظل خطيئتي ،
ويحيل هذه الظلال القائمة نوراً ويجعلها أكثر إشراقاً
وبهاء

كالمعدن النفيس البراق يزيده لمعاناً وإشعاعاً وجودة على
أرضية داكنة ، والضد يظهر حسنة الضد .

وهكذا تبدو صنائعي أكثر جمالاً وأقوى جاذبية للعيون
من الصنائع التي لا لائم لها يجليها ،

ولا تفرق الخطيئة بحيث أبجل من الذنب حدقاً ومهارة
وأعوض بذلك عن زمن أضعته وذلك في وقت لا يكاد
الناس فيه يصدقون أني فاعل .

المنظر الثالث

وندسور - قاعة المجلس

(يدخل الملك ونورثمبرلند وورستر وهوتسبر وسير ولتر بلنت وغيرهم)

الملك : هأنتم أولاء ترون أنى هادى الأعصاب لم يغل الدم فى

عروقى

ولم تسترئى هذه التصرفات الشائنة التى تم عن تنكر

للولاء ،

وفى الحق لقد استغلتم صبرى عليكم ، ولكنى من الآن

فصاعداً

أؤثر أن آخذ نفسى

بما يقتضيه مكانى

فأكون قوياً مهيباً من أن أصبح لما تمليه على طبيعى

المسالمة

فأكون هادئاً كالزيت أو ناعماً كالزغب .

وبذلك أفقد حقى فى الولاء الذى يفرضه مقامى على رعاياى

والذى قلما تؤديه النفوس المتكبرة إلا قسراً لمن هو أشد

منها أنفة وكبرياء .

١٠ ورستر : إن بيتنا يا مولاي الملك ما كان يستحق بحال
أن تسلط عليه العظمة سياط نغمتها
لا سيما إذا كانت هذه العظمة من صنع أيدينا ،
ونحن الذين عاوننا على أن نزيدها مهابة وجلالا .
نورمبرلند : مولاي .

١٥ الملك : اخرج من هنا يا ورستر ،
فإني أرى في عينك وميض الخطر والمصيان ،
أجل يا سيدي إن بقاءك فيه جرأة وتناول على جلال
الملك

الذي ما ينبغي أن يحتمل بحال
مظهر تهديد أو قتامة غضب تبدو على جبين خادم
من رعاياه .
٢٠ لقد أذنت لك أن تفارقنا، وحين نحتاج إلى خدماتك ومشورتك
فسنبعث في طلبك (يخرج ورستر) ، (غاطباً نورمبرلند)
لقد كنت على وشك أن تتكلم .

نورمبرلند : أجل يا مولاي الكريم ،
إن هؤلاء الأسرى الذين أخذهم هاري برسي في موقعة
هولدن
والذين طلب إليه تسليمهم باسم جلالته ،

لم يحدث قط أن أصر في عناد على رفض تسليمهم على
حد قوله

٢٥

كما أبلغ الأمر إلى مسامع جلالتك .
وابنى ليس مذنباً في هذا الأمر ، وإنما الذنب ذنب
الذى زيف الأنباء التى بلغت مسامعكم ،
إما عن حقد وموحدة وإما عن سوء فهم غير مقصود
لمرامى ابنى .

موتسبر

: مولاي ، إني لم أمنع عنك أى أسير ،

٣٠

ولكن الذى أذكره أنه عندما انتهت الواقعة

وبينا أنا ألث من ثورة النفس وإرهاق العمل ،
وقد بلغ منى الوهن كل مبلغ وتقطعت منى الأنفاس ،
وبينا كنت أتوكأ على سنى مستنداً إليه ،
إذ جاءنى سيد من اللوردات يتخطر فى رشاقة وأناقة
وحسن هندام وجمال بزة
كأنه العروس يوم جلالاته ، قد فرغ لتوه من تصفيف
لحيته ،

٣٥

فبدت كأنها حقل القمح بعد الحصاد
يفوح منه العطر كأنه بائع قفازات ميلان المعطرة ،
وأمسك بين سبابته وإبهامه علبة السعوط

يقربها من أنفه ثم يباعدُها في حركة رتيبة عاجلة ،
 فإذا ما باعد بين أنفه وبين السعوط
 بدا عليه الغضب بحرمانه من رائحته ، فإذا ما أعاده إليه ،
 ملأ به معاطسه ، وهو في أثناء ذلك كله يبتسم ويتحدث .
 وينعت الجذرد وهم يحملون جثث المرقى لينقلوها بعيداً
 بالأوغاد الذين لا يعرفون التهذيب ولا التربية ،
 لأنهم جلبوا هذه الجثث المتحللة الكريهة

٤٠

بين نبالته وبين الريح ،

٤٥

وفي عبارات تذوب رقة ونعومة

حملني على مبادلته الحديث ، وكان من بين ما قاله لي
 أن طلب لي أن أسلمه أسراى باسم جلالتكُم ،
 ولما كنت حينئذ في أشد الشعور بالألم من جروحي التي
 بدأت تبرد

وأحس أوجاعها بحيث لم أكن لأطيق أن أرى فوق ما بي
 بهذا البغاء الثرثار ،

٥٠

ومن ثم فإن آلام جروحي وضيق صدري بهذا البلاء
 جعلاني أجيبه بلا وعى ولا روية ، ولست أعى ما قلته له
 أكان رفضاً أم قبولاً ، فقد أخرجني عن صوابي أن أراه
 وضاء يخطف الأبصار بأناقته ، معطراً يملأ الجو بشمائه ،

رقيقاً في حديثه كأنه وصيفة من وصيفات القصور ،
يتحدث في نعومة عن المدافع والطبول والجروح بلهجة
تبعث على الزرابة ، وفي الله الصليب كل مكروه ،

ثم انثنى يتحدثني عن أن البلم
هو أنجع علاج على الأرض لشفاء الجروح الداخلية
ثم ارتد يلعن ملح البارود ويقول
إنه لشيء يؤسف له كل الأسف ، وفي الحق لقد كان
حديثه يبعث الأسف ،

أن يستخرج هذا الملح الملعون من جوف الأرض المسألة .
ليحطم عدداً كبيراً من الرجال الشجعان
ويقضى عليهم في جبن ونذالة ،
ثم يمضي ليخبرني أنه لولا هذه المدافع الخثون الغادرة
لآثر هو نفسه أن يكون جندياً .

هذا الحديث التافه المقطع الأوصال يا مولاي
حملني على أن أجيبه بلا تمنع وعلى غير هدى كما قلت ،
ولذلك أتوسل إليك يا مولاي
ألا تأخذ أقواله على ظاهرها وتقبلها على أنها صادقة
في اتهام ولائي لجلالتك يا مولاي المعظم .

: لقد محصت المسألة يا مولاي ،

والمرجو أن تنسى كل ما قاله اللورد هارى برسى عندئذ.
لهذا الشخص في ذلك المكان ، وفي ذاك الزمان ،
المرجو أن تنسى هذا جميعه مع كل ما قيل غيره
وإلا يثار هذا القول وألا يتخذ سبباً
في الإضرار به أو الانتقاص من قدره
ما دام هو ينكره الآن .

٧٥

عجباً ، إنه لا يزال يعنى أسراه ،
فهو يتحفظ ويشترط ،

الملك

يشترط لتسليمهم أن نقوم فوراً من جانبنا وعلى نفقتنا
بافتداء أخ زوجه مورتيمر الأحق
ذلك الذى غدر عامداً

٨٠

بحياة أولئك الذين قادمهم في المعركة
التي شنّها ضد الساحر العظيم جلندور الملعون ،
الذى سمعت أن هذا الإيرل مارش

قد تزوج ابنته أخيراً ، فهل نقرغ خزائننا
لنخلص خائناً ونعيده إلى الوطن ؟

٨٥

وهل يستقيم أن نشترى الحياة بأموالنا أو أن نتفاهم مع
الجبنةاء

من أمثال مورتيمر الذى أضاع جنده وخذعهم بجبنه ؟

كلا وأيم الحق . . دعوه يهلك جوعاً فوق الجبال القاحلة
ولن أعد الذى يطالبني بأن أنفق مليماً واحداً
لفدية هذا الثائر مورتيمر وإعادته إلى الوطن ،
لن أعده صديقاً لى أبدا .

موتيمر

: الثائر مورتيمر !

إنه لم يثر أبداً ولا انحاز للأعداء قط يا مولاي الملك
ولكنها الحرب وصروفها . ويكفي للتدليل على صدق قولي
أن تُطَق هذه الجروح التي أثخن بها في المعركة ، يكفي
أن نعيها لساناً واحداً ،
إن هذه الجروح تفتح أفواهها شاهد صدق على
ما أصاب هذا الرجل الأمين
وهو يحارب بجدارة عند أعشاب شاطئ نهر سيفرن الهادي
ويلتحم وجهاً لوجه في نزال عنيف مع جلندور العظيم
ويمضي معظم ساعة في مبادلتها الطعنات الثقيلة ،
وفي خلالها يتفقان ثلاث مرات على هدأة يجمعان فيها
أنفاسهما ،
وثلاث مرات أخرى يشربان فيها من ماء النهر المندفع ،
ذلك النهر الذي ما كاد يرى وجهيهما الداميين
حتى روع واندفع

٩٥

١٠٠

يبحث أمواجه من الخوف وسط الأحراش المرتجفة المرتعدة
ويخفي رؤوس أمواجه الملتفة في جوف الشاطئ
الذي اصطبغ بدماء هذين المحاربين الكريمين .
وما كان للخداع السافر البغيض أن يخفي أساليبه المقيتة
بمثل هذه الجروح الدامية القاتلة .

وما كان مورتيمر الشريف النبيل ليلقى كل هذه
الطعنات الكثيرة

ويحتملها كلها عن رضى وطواعية رياء وخداعاً ،
أما والحال ما ترى فلا تدع يا مولاي مورتيمر يرى
زوراً وبهتاناً بالخيانة والغدر .

: إنك تغزو إليه ما لم يعمل ، وتملحه بما لا يستحق
يا برسى ،

فهو لم ينازل جلندور ولم يلتحم معه ،
وأؤكد لك ذلك ،

ولأهون عليه أن يلقى الشيطان وحيداً
من أن يختصم جلندور ويناصبه العداة ،
ألا تستشعر الحجل من موقفك هذا ؟ فلا تدعنى من
الآن فصاعداً
أسمعك يا هذا تذكر مورتيمر أمامى أو تدافع عنه ،

ووافى بأسراك بأسرع وسيلة فى طوقك
 وإلا فلا تلومن إلا نفسك ،
 إن سمعت منى ما تكره . وأنت يا لورد نورثمبرلند . .
 لقد أذنالك أن ترحل مع ولدك ،
 وابعث إلينا بأسراك ، وإلا فستسمع منا ما تكره .
 (يخرج الملك هنرى وبعه بلنت والحاشية) .

١٢٥ هوتسبر : لن أرسلهم ولو جاءنى الشيطان
 ودوى فى أذنى بصرخانته مطالباً بهم . سألقى به فوراً
 وأبلغه ذلك حتى يسكن جأشى
 ولو تعرض رأسى للمخاطر .

نورثمبرلند : ويك . . هل أخرجك الغضب عن وعيك ؟ قف وتمهل
 قليلا ،
 وها هو ذا عمك قادم . (يعود ورستر) .

١٣٠ هوتسبر : أتكلمون عن مورتيمر ،
 تا لله لأتكلمن عنه
 ولأطلبن الغفران لروحي إذا لم أنضم إليه ،
 أجل لأفرغن من أجله هذه الدماء التى تمتلىء بها شرايئى ،
 ولأطلن دى الغالى قطرة قطرة ليختلط به تراب الأرض

أو أرفع ذكر هذا المضطهد مورتيمر
عالياً في الأفق ليطاول هذا الملك الجحود
هذا الناكِر للجميل ، بولنبروك الخبيث .

١٣٥

نورثمبرلند : (إلى ورستر) أخى لقد أثار الملك ابن أخيك حتى
كاد يجن .

ورستر : من ذا الذ أوقد هذا اللهب بعد خروجى ؟

١٤٠ هوتسبر : إنه يريد وأيم الحق أن يستولى على جميع أسراى ،
وحين حاولت أن أحثه مرة أخرى

على افتداء أخى زوجى اصفرت وجنتاه
وأرسلت عيناه فى وجهى شواظاً يتهددنى بالموت ،
وظفوق يرتعد غضباً لمجرد ذكر اسم مورتيمر أمامه .

ورستر : لست ألومه على ذلك .

ألم يعلن الملك الراحل ريتشارد مورتيمر خليفة له ؟

نورثمبرلند : نعم أعلنه ، وقد سمعت الإعلان بنفسى ،

وكان ذلك عندما بدأ الملك التعيس
— تجاوز الله عن خطاياہ نحونا —

حملته إلى إيرلندا ،

١٥٠

تلك الحملة التى أوقفها وعاد منها

ليواجه العزل وليلقى بعد قليل حتفه .

ورستر

: أجل حتفه الذى نعيش بسببه

مجلين بالعار تنهشنا السنة العالم .

موتسبر

: ولكن مهلا أتوسل إليكما أن تقولاً لى أحقاً أعلن الملك

ريتشارد حيثنذ

أخى آدموند مورتيمر

ولياً للعهد ؟

نورمبرلند

: أجل أعلن ذلك ، وقد سمعت الإعلان بنفسى .

موتسبر

: لا عجب لاذن وليس لى أن ألوم ابن عمه الملك

إذا تمنى له أن يهلك جوعاً فى الجبال القاحلة ،

١٦

ولكن أليق بكم أنتم الذين وضعتم التاج

على رأس هذا الإنسان الجاحد ،

ووصتم أنفسكم من أجله بهذه الوصمة الكريهة

وصمة الاشراك فى جريمة قتل ،

أليق بكم أن تتعرضوا لعنات العالم

باعتباركم فاعلين أصليين لهذه الجريمة أو أدوات ثانوية

حقيرة فى ارتكابها .

١٦٥

فكنتم الحبل والسلم ، أو حتى الجلاد ؟

أوه ، اغفروا لى انحدارى إلى هذا المستوى الوضع

لأكشف لكم عن الدرك الذى انحدرتم إليه
تحت سطوة هذا الملك الجبار .

أليق ، ويا للعار ، أن تلوك الألسنة فى هذه الأيام
وأن تمتلىء صفحات التاريخ فيما يقبل من زمان
أن رجلين لهما مثل محتدكما النبيل ونفوذكما القوى
يقيدان أنفسهما ويسخران مكانتهما ونفوذهما للدفاع
عن قضية ظالمة

كما فعلتما أنتما الإثنين ، سائحكما الله ،
حين نزعتما ريتشارد ، هذه الوردة الجميلة الفياحة
وزرعتما مكانه هذا الحسك ، هذا النبات الشيطاني
بولنبورك ؟

وهل يليق أن تتحدث الألسنة ، ويا للعار المزدوج ،
أنكما رغم ذلك قد خدعتما ونحيتما وأبعدتما ،
نحاكما هذا الذى تحملتما هذا العار من أجله ؟
كلا . . فلا يزال فى الوقت متسع

لتنشعيدا شرفكما المسلوب وتستردا مكانتكما الضائعة
فى نفوس العالم مرة أخرى
ولتنشعما من الاحتقار المهين الساخر الذى صبه عليكما
هذا الملك المتعجرف ،

الذى يعمل دائماً ليل نهار
على أن يتخلص مما لكما فى عنقه من دين ،
ولو كان فى ذلك الخلاص ، الخلاص الدامى من
حياتكما ،
ولذلك دعونى أقول لكما . .

ورستر : اهدأ يا ابن العم ولا تزد ،
فسأكشف لك الآن سرّاً مطوياً ،
وسأقرأ عليك أمراً خطيراً بعيد الأثر
حرف بالخاوف وامتلاً بروح المغامرة
حتى ليحتاج إلى من يستطيع أن يعبر البحر الخضم
الثائر

على صراط كالسيف حدة وضيقاً .
موتير : فإذا ما سقط فعلى الدنيا السلام ، فليغص أو
فليسبح .

٩٥ ابعث الخطر من الشرق للغرب ،
وليأت النيل من الشمال إلى الجنوب ، وعندئذ فليقتيا
أواه إن الدم يندفع فى عروقى بشدة
أحرى بها أن تستنفر أسداً فى طراد من أن تروع أرنباً .
٢٠٠ نورمبرلند : إن تعلق خياله بمغامرة عظيمة

يدفعه إلى ما يجاوز حدود الصبر .

هوتسبر

: بحق السماء إنى لأراها قفزة سهلة
أن أرقى إلى القمر الشاحب الوجه فأنترع منه الشرف
الوضاء ،

٢٠٥

أو أن أنقض إلى أعماق البحر
لأغوص إلى غور مسحق لا تبلغه المسابير
فسأستنقذ الشرف الغريق وأرفعه من جدائله
وعندئذ يستطيع هذا الذى خلص الشرف واستنقذه
أن يتحلى بكل فضائله غير منازع . .
ألا بعداً وسحقاً لحال مهين تقسم فيه فضائل الشرف
وتوزع بين الطامعين .

ورستر

: إنه يتيه فى دنيا من الخيالات والأوهام
لا صلة لها بالموضوع الذى فى أيدينا ، والذى يجب أن
نتعهده ،

٢١٠

هوتسبر

يا ابن العم ألا تعزى سمعك لحظات ؟
: أسألك المذرة .

ورستر

: إن هؤلاء النبلاء الإسكتلنديين أنفسهم
الذين هم فى إسارك . .

موتسبر

: سأحتفظ بهم جميعاً ،

وأقسم لك أنه لن ينال قلامة ظفر من واحد منهم ،
لا لن يأخذ واحداً منهم حتى ولو كان استنقاذ روحه
معلقاً على أخذه ،

٢١٥

: سأحتفظ بهم جميعاً وحتى هذه اليد .

ورستر

: لقد جمعت ثانية

ولم تعرنى سمعك لتسمع إلى معاني أقوالى ،
إن هؤلاء الأسرى سوف تحتفظ بهم .

موتسبر

: أجل لأحتفظن بهم ، ولكن هذا كلام معاد ،

لقد قال إنه لن يفتدى مورتيمر

٢٢٠

وأمرنى أن أكف لسانى عن الكلام فى شأنه ،

ولكنى سأبحث عنه وهو نائم

وأصرخ فى أذنه باسم مورتيمر

وسأعلم ببغاء ناطقة أن تردد اسم مورتيمر

ولا شيء سواه

٢٢٥

وأهديه إياها حتى تورقه

ولا تسمح لغضبه أن يسكن بجأشه .

ورستر

: اسمعنى يا ابن العم أقول لك كلمة .

موتسبر

: كل كلام فى هذا الشأن قد أقسمت على أن أطرحه

ورائى ، ولا آبه له ،
 ما لم يكن مؤدياً إلى إغاطة بولنبروك هذا وتعكير صفوه ،
 أما هذا الأفاق قاطع الطريق ولى العهد ، ٢٣٠
 فلولا ما أظنه من أن أباه لا يحبه
 بل ويسره أن يلتقى بعض العنت والضيق
 لسمته بدن من الجعة .

وَرَسْتَر : وداعاً يا ابن العم ، وسأتحدث إليك فى وقت آخر
 يكون مزاجك فيه أكثر استعداداً لسماع ما أقول . ٢٣٥
 نورثمبرلند : عجباً . . يا لك من مندفع قليل الصبر كأنما لدغك
 زنبار .

أراض أنت عن أن تتخلق بخلق النساء
 فتطوى أذنك وتصمها عن أن تسمع لغير لسانك وحدك .
 مَوْتَسِير : ألا ترى أنى حين أسمع نبأ هذا المخادع الحقير بولنبروك
 فكأنما أحس أن العذاب قد سلط على فأنهالت العصي
 على تجلد جسدى وتفرى لحمى ٢٤٠
 والأشواك تخزنى والنمال تلسعنى ، وتهراً جلدى ،
 وتستثيرنى .

لقد كانت أول مرة انشنت فيها ركبتي
 لهذا الملك المرائى ، هذا البولنبروك ،

في عهد ريتشارد في مكان لست أذكره الآن .

فماذا كنتم تسمونه ،

٢٤٥

ألا فليحل عليه الوباء ، إنه في جلوسترشير

حيث كان يعيش السوق يورك عمه المغامر البوهيمي ،

حينما عدت أنت وهو من ميناء رافنسبرج .

نورثمبرلند :

عند قلعة بركلي .

٢٥٠ هوتسبر : لقد قلت حقاً . . وما الذي حدث عندئذ ؟

لقد كان حديثه معي يتساقط شهداً من رقة الحجامة

التي حبانى بها هذا الكلب المتملق .

فهو يقول « انتظر حتى يبدأ نجمه يتألق »

ويقضى بقوله « أى هرى برسى » و « ابن العم الشفوق » .

أواه ليت الشيطان يتخطف هؤلاء الأقارب الأذعياء

النصابين . ألا فليغفر لى الله

٢٥٥

أيها العم الطيب ، هات ما عندك فقد انتهيت .

ورستر :

بل عليك بالحديث إذا لم تكن أنهيته ،

وسأتلمس أوقات فراغك وهدوء نفسك لأحدثك حديثي .

هوتسبر :

لقد انتهيت حقاً .

إذن لنعد مرة أخرى إلى حديث أسراك الإسكتلنديين ،

ورستر :

أطلق سراحهم فوراً دون انتظار للقدية .

٢٦٠

وأمسك عليك ابن دوجلاس واجعله وسيلتك
لإحراز قوات في إسكتلندا وتجليد القوى فيها إلى جانبك ،
وستنال بغيتك بسهولة . وعندى من الأسباب المتعددة
التي سأبحث بها إليك كتابة ما يكفي لتأييد ذلك
وتأكيده . (إلى نورثميرلند) أما أنت يا سيدى اللورد
ففى الوقت الذى يشتغل فيه ابنك بتعبئة القوى فى
إسكتلندا ،

٢٦٥

حاول أن تكسب سرّاً
ثقة ذلك الراعى النبيل
الأسقف المحبوب وتأييده .

: أتعنى أسقف يورك ؟ أليس كذلك ؟

هوتسبر

: بلى . . هو الذى عنيت ، فهو ممتلىء حفيظة

٢٧٠ ورستر

لموت أخيه اللورد سكروب فى برستول ،

ولست أقول ذلك رجماً بالغيب

أو تخميناً لما أحسبه سيقع ، بل أقول عن علم و يقين

بما يحول فى خاطره ، وبما يدبر ويقدر

وبما يرسم من خطط تنتظر الفرصة السانحة

٢٧٥

لتسفر عن وجهها وتخرج للوجود .

: إنى لأشتم ريحها ، وبجائى لتكونن خيراً لنا .

هوتسبر

نورثمبرلند

: إنك دائماً تطلق الكلاب قبل أن يبدأ الطراد .

هوتسبر

: إنها لن تكون إلا خطة نبيلة ،

تنضم في تنفيذها قوات إسكتلندا وقوات يورك

إلى قوات مورتيمر ، أليس كذلك ؟

٢٨٠

ورستر

: هذا ما سيكون بلا ريب .

هوتسبر

: إنها وأيم الحق خطة أحسن لإحكامها وتسديدها .

ورستر

: على أن ما يدعونا إلى المبادرة ليس أمراً هيناً ،

إذ ينبغي علينا أن نجند جيشاً كيما ننقذ رؤوسنا ،

فهما بالغنا في الكتمان الذي سنحيط به خطتنا ،

٢٨٥

فإن الملك سيظننا على اللوام أصحاب حق عليه ،

ويرى في سكوتنا أننا نظوى أنفسنا على عدم الرضا ،

فيحيط بنا حتى تسح له الفرصة فيأخذنا أخذ عزيز

مقتلر ،

وهأنث ذا ترى كيف بدأت نواياه نحرقنا تظهر

٢٩٠

في تغاضيه عنا وإنكاره إيانا وحرماننا عين الرضا والمحبة .

هوتسبر

: هذا ما يفعله ، هذا ما يفعله ولننتقم منه شر انتقام .

ورستر

: وداعاً يا ابن العم ولا تخط خطوة في هذا الأمر

حتى أزودك برسائلي التي سترسم لك الطريق وتحدد

الهدف .

وحين تنضج الأمور ويؤاتي الزمان ، وسيكون ذلك
سريعاً ،

سأسر إلى جلندور ولورد مورتيمر في الحال
بالمكان الذي ستلتقي فيه أنت ودوجلاس وجميع قواتنا
على أحسن حال

وفق الخطة التي سأرسمها
كيما نمسك أزمة أمورنا بأيدينا ،
ونقرر مستقبلنا الذي لا يزال حتى الآن قلقاً غير مأمون
العواقب .

نورثمبرلند : في رعاية الله أيها الأخ الطيب وتوفيقه ، فإني على تمام
الثقة أننا سنوفق ، وسننجح في مسعانا . ٣٠٠

هوتسبر : مع السلامة أيها العم ، وليت الساعات تدنو ، والزمن
يجري

حتى تشهد الميادين جهادنا وتسجل الطعنات والصيحات
أعجاذنا .

(يخرجون)

الفصل الثانى

المنظر الأول

(روشتر - فناء فندق - يدخل حمال وفى يده مصباح)

الحمال (١) : يا أيها النوم ويحكم هبوا ، إن لم تكن الساعة الرابعة وقد
أوشك النهار أن يطلع فاشنقونى ، إن اللب الأكبر قد
أصبح فى سمت المدخنة الجديدة ، ومع ذلك فجئنا
لم تسرج بعد ، ويك أيها السائس . ٤

السائس : (ويعتساقط من الناس من الداخل) هأنذا قادم على الفور :

الحمال (١) : أرجوك يا نوم أن توازن أحمال حصانى لتخفف عليه
العبء وضع بعض خصلات الصوف تحت السرج
حتى لا يحتك بجلده ، يا للحصان المسكين لقد هرات
جلده هذه البرذعة وأصابته بجراح كثيرة لا حد لها . ٨

(يدخل حمال آخر)

الحمال (٢) : إن القول والبازلاء هنا قد أفسدتهما بسرعة وعنفة شدة

البرد والرطوبة فلم يعودا يصلحان للأكل وتناولهما على
هذه الصورة هو أقصر طريق لإصابة هذه الحيول المسكينة

بالديدان ، إن هذا الفندق قد انقلب رأساً على عقب
بعد وفاة روين السائس .

الحمال (١) : يا للمسكين ، إنه لم يلق ما يسره منذ ارتفع ثمن الشوفان ،
لقد كان في ذلك القضاء عليه . ١٤

الحمال (٢) : يخيل لي أن هذا الفندق هو أقدر فندق في كل الطرق
المؤدية إلى لندن ، إنه مليء بالبراغيث ، لقد أشبعني
قرصاً ولدغاً كما تشبع الطفيليات السمك المرقش وخزاً

الحمال (١) : كالسمك المرقش بحق القربان ما من ملك في دولة
المسيح قد ذاق من عذاب القرص مثل الذي ذقت منذ
ما صاح الديك صياحه الأول ٢٠

الحمال (٢) : اسكت ويحك إنهم لم يسمحو لنا بالمبيت في غرفة أبداً ،
وعندئذ نضطر أن نتسرب إلى المدفأة ، وهذه المنامة
تنسل البراغيث كأنها سمك البرغوث الذي يعج بالبراغيث
والقمل .

٢٥ الحمال (١) : ماذا بك أيها السائس ، تعال هنا ، أقبل وليتخطفك
الموت تعال .

الحمال (٢) : إن معي لحم خنزير مقدداً ودرنتين من الزنجبيل على أن
أوصلهما إلى تشيرنج كروس . ٢٨

الحمال (١) : يا لله ، إن الديكة التي في سلتى تكاد تهلك جوعاً .

ماذا بك أيها السائس ، أسرع تخطفك الطاعون ،
 أليس لك عين في رأسك ترى بها ؟ ألا تسمعي ؟ لن
 لم يكن كسر رأسك عملاً طيباً كالشراب فما أنا إلا شقي ؟
 أقبل تخطفك الموت ، أليس بك ذرة من إيمان ؟
 (يدخل جادشيل)

٣٥

جادشيل : أسعدتم صباحاً أيها الحمالون ، كم الساعة الآن ؟
 الحمال (١) : أظنها الثانية .
 جادشيل : أرجو أن تعيرني مصباحك لأرى حصاني في الإسطبل .
 الحمال (١) : كلا ، مكانك يا سيدي فوأيم الحق لست غراً إلى هذا
 الحد ، فقد أعرف من الحيل ما هو أشد مكرّاً من
 حيلتك . نعم وأيم الله .
 جادشيل : (إلى الحمال) أتوسل إليك أن تعيرني مصباحك .
 الحمال (٢) : أراغب أنت في مصباحي حقاً ؟ وليك يا سيدي ؟
 إنك لن تناله قبل أن أراك تشنق .

٤٦ جادشيل : قل لي أيها الحمال متى تنتوي الوصول إلى لندن ؟
 الحمال (١) : في ساعة ما في هذا المساء ، أؤكد لك يا سيدي ،
 هيا يا صديقي « مجز » نادى السادة لترحل في ركابهم ،
 إن معهم صحبة كبيرة تسافر معهم لأنهم يحملون مالا كثيراً .
 (يدخل الحمالون إلى الفتق)

جادشيل : يا من هنا ، اسمعنى يا ندل أين أنت ؟
 الخادم : (من الناغل) حاضـر طوع يمـينك كما يقول النـشال .
 جادشيل : الأمر يستوى أن يقوله النشال أو أن تقوله أنت يا خادم
 الفندق ، فأنت لا تختلف كثيراً عن النشال إلا فى
 أنك تقوم بالتدبير ورسم الخطة وهو يقوم بالعمل
 والتنفيذ .

(يدخل الخادم قادماً من الفندق) .

الخادم : صباح الخير أيها السيد جاد شيل ، لقد صبح عندى
 ما أنبأتك به بالأمس فإن سيداً من الملاك فى مرتفعات
 كنت قد قدم ومعه ما يعدل مائتى مارك^(١) ذهب ،
 وقد سمعته يقول ذلك على العشاء ليلة أمس لواحد من
 جماعته ، إنه أحد رجال الخزائنة المحاسبين وهو الآخر
 يحمل مالا كثيراً لا يعلم مقداره إلا الله ، ولقد استيقظوا
 جميعاً وطلبوا إفطارهم بيضاً وزبداء ، وسيرحلون لتوهم .
 جادشيل : اسمع يا غلام ، إذا لم يلقهم رجال القديس نيقولا^(٢)
 فى عرض الطريق فلك عنقى هذا .
 الخادم : لا لن أمس شعرة منه أبداً ، وأرجو أن تحتفظ به

(١) عملة إنجليزية قديمة تعادل ١٣ شلناً وأربعة بنسات .

(٢) كناية عن النشالين وقطاع الطرق .

للجلاد فأنا أعرف أنك ممن يدينون بعبادة القديس نيقولا
 بإخلاص لا يبزك فيه أحد من رجال السوء .
 عجباً أتحدث إلى عن الجلاد ؟ رويدك يا رجل ،
 فلو أنى شئت لاقتضى ذلك إعداد مشقة أخرى
 غليظة ، فلو أنى شئت لشتق معى السير جون العجوز ،
 وسير جون ليس رجلاً هيناً كما تعرف ، صه إن وراءنا
 رجالاً آخرين يشاركوننا فى أعمالنا لا تعلم بهم ، لأنهم
 يعملون معنا بدافع من حب المخاطرة والرياضة فحسب ،
 وهم قانعون بهذا ، ومن ثم فهم يصفون على هذه المهنة
 بعض الرعاية ، وهذا معناه أن الأمور إذا انتهت إلى
 أن تكون موضع التحقيق ، فإنها ستسرى حفاظاً على
 سمعتهم لأننى لا أعمل مع أوشاب من اللصوص
 المتجولين ، ولا مع جماعة من النشالين الخطافين الذين
 يتصيدون الفقراء ويسرقون الملاليم ، ولا مع عصابة من
 السكارى ذوى الوجوه الحمر والشوارب الطويلة من حثالة
 اللصوص العربدين ، بل إننى أشارك سادة مرفين من
 ذوى اليسار والجاه ، ورجال الخزانة العظام ، والأعيان
 المأمونين الحريصين ، الذين لا يثرثرون ، والذين يؤثرون
 الضربات على الكلمات ، والذين يفضلون صيحات

الطريق أخرج ما معك ، على صبيحات الحانة هات
الشراب ، والذين يفضلون الشراب على الصلاة ، بل
لقد أسرفت في هذا وأيم الله فهم دائبو الصلاة قريباً
لقديسهم وهو الحكومة وإن شئت الحق فهم لا يتعبونها
ولأنما يستعبونها ، فهم يتخلون منها مطية لأغراضهم
ويستعملونها ليلغوا مطامعهم .

٩١

الحلالم

: رى . . أبتعلون الحكومة لتحقيق مطامعهم ، أو تستطيع
الحكومة أن تقيم العواذى إذا جد الجد وحق بهم
الخطر ؟

جلعشيل : أجل إنها تقيمهم وترد عنهم ، فقد حصنتها العدالة وأدمنتها
بالشراب الذى يرد عنها الريب ،، إننا نسرق ونحن
مطمئنون كأنما نسرق فى قلعة محصنة يحوطنا الأمن
المطلق ونسير فلا يرانا أحد كأنما نحمل حبوب الإخفاء
فى جيوبنا .

٩٦

الحلالم

: كلا وأيم الحق إنكم تدينون الليل بسيركم مخفين لا يراكم
أحد لا لحبوب الإخفاء .

جلعشيل : هات يلك ، ليكونن لك نصيب فى غنيمتنا الليلة ،
أقول هذا كما يقول الرجل الشريف .

١٠

الحلالم

لا بل قلها كلص خبيث ، وهو ما أنت فى الواقع .

: إليك غنى ، فالإنسان اسم عام لجميع البشر شرفاء
 وغير شرفاء ، مر السائس أن يخرج جوادى من
 الإسطنبول ، وداعاً أيها الوغد المتبلد الإدراك .
 (مخرجان)

جادشيل

المنظر الثاني

مرضيق بالقرب من قمة جاذهل . على بعد ميلين من روشسر أدغال
وأشجار وليل ساكن مظلم . الأمير وبيتو وباردولف يصعدون التل ،
وبوان يجرى في أثرهم) .

تعال . . . اختف . . . اختف ، فقد نقلت حصان
فولستاف من مكانه إلى موضع آخر وهو يهتز ويرتعد
كما تتسوج القطيفة المصمغة الرعاشة .

الأمير : تنح . . . اختف . . .
(يجتئ بوان وراء دغل ويصعد فولستاف مقطع الانقاس)

فولستاف ٤ : يوان . . . يوان . . . أين أنت تخطفك المشائق ؟
الأمير : الهدوء . . . الهدوء أيها الوغد المكتنز شحماً ، ما هذا
الضجيج الذي تحدثه .

فولستاف : أين بوان يا هال ؟
الأمير ٩ : لقد صعد إلى قمة التل ، وسأذهب لأبحث عنه (يضم لبوان)
فولستاف : إني للمعون أن سرق مع عصابة هذا اللص . لقد نقل
هذا الوغد حصاني من مكانه وعقله في مكان آخر
لا أعرفه . أوأه لو أني مشيت أربعة أقدام عدلاً بالمقاس

سيراً على قدمي إذن لحملت أنفاسي وذهبت ريحي ،
ولست أشك في أن بوان سيكون السبب في مصرعي ،
ولكني مع ذلك أنتوى أن أجعلها نهاية شريفة إذا أفلت
من الشق لقتلي هذا الشق . لقد لعنت صحبته في كل
ساعة طوال هذه الاثنتين والعشرين سنة ، ولكن
عصابة هذا الشق ما فتئت تسحرني . ألا فليكن الشق
مصبيري إن لم يكن هذا الوغد قد أعطاني جرعة مسحورة
تحملني على حبه ، ولا يمكن أن يكون الأمر على
خلاف ذلك ، أجل لا بد أني شربت جرعة الحب
المسحورة . بوان . . هال أين أنما تخطفكما الطاعون ،
أي باردولف أي بيتو ، لإشهدا أني سأهلك إن تقلعت
خطوة أخرى للسرقة ، ولو لم يكن عملاً طيباً كالشراب
أن أستحيل رجلاً شريفاً وأن أهجر هؤلاء الأشقياء
لما كنت إلا أشد أهل الأرض جميعاً شقوة وفنالة .
إن مسير ثمان أذرع على القدم في هذه الأرض الوعرة
ليعدل سبعين ميلاً بالنسبة لي ، وهؤلاء الأوغاد القساة
الذين قلدت قلوبهم من الحجارة يعلمون ذلك حتى العلم .
ألا فليحل الطاعون بأهل الحرفة جميعاً ، ما دام
الصوص لا يتعاطفون فيما بينهم ، ولا يخلص الواحد

١٥

٢٠

٢٥

منهم للآخر . (يصمرون)

٢٠

ويحكم ، فليتنزل بكم الطاعون جميعاً ردوا إلى حصاني
أيها الأشقياء ، ردوا إلى حصاني ، ولتتخطفكم المشائق
بعد ذلك .

الأمير

: (متقدم) الهدوء أيها البطن المكتنز ، ارقد على الأرض
وأصخ السمع بأذنك بعد أن تلصقها بالأرض وقل هل
تسمع وقع اقدام المسافرين ؟

٢٥

فولستاف

: وهل لديك روافع تقيمني من الأرض بعد أن أرقد ؟
تا لله إنى لا أكاد أستطيع حراكاً ولن أحمل جسدى
خطوة أخرى ولو أعطيت خزائن أبيك كلها ثمناً لذلك .
أى بلاء حملكم على أن تخدعوني وتسخروا منى على
هذا النحو ؟

٤٠

الأمير

: إنك تكذب فإ خدعت ولكن فقدت حصانك .

فولستاف

: أتوسل إليك أيها الأمير الطيب هال ، يا ابن الملك

الأكرم ، أن تعيننى على أن أمتطى جوادى .

الأمير

: بعداً لك أيها الشقى أتريدنى على أن أكون سائلك ؟ .

فولستاف

: اذهب واشتق نفسك فى ربطة ساقك يا ولى العهد ،

تا لله لو قبض على لأفشين سر هذا الأمر ، وإذا لم أجعل
اسمك مضغة فى أفواه المغنين يشهرون بك فى أغانيهم

ويترنمون بهذه الأغاني على الألحان الساقطة البديئة
فليكن هذا الكأس من النبيذ سماً ناقعاً يقضى على
حياتي ، إني أكره المزاح إذا زاد على حده ، وخرج
من القول إلى العمل .

٥٠

(يقترب جاد شيل وهو يزل من أعلى التل)

- جادشيل : قف . . .
فولستاف : هأنذا واقف على الرغم مني . (يتقدم بوان وباردولف ويبتو)
بوان : إنه مرشدنا عرفته من صوته .
باردولف : ما وراءك من أنباء ؟
جادشيل : تخف . . تخف . . ضع القناع على وجهك ، إن أموالا
للملك في طريقها إلى الخزانة منحدره من فوق التل :
فولستاف : إنك تكذب أيها الشقي ، إنها في طريقها إلى الحانة .
٦٠ جادشيل : إن فيها ما يكفيننا جميعاً .
فولستاف : وما يكفي لشتقنا جميعاً .
الأمير : أيها السادة ، إن عليكم أنتم الأربعة أن تواجهوهم في الممر
الضيق ، على حين أسير أنا وبوان إلى موضع سفلى ،
٦٥ حتى إذا استطاعوا أن ينجوا من مواجهتكم نزلوا إلينا .
بيتر : ترى كم عددهم ؟
جادشيل : حوالي ثمانية أو عشرة .

فولستاف : يا لله ، ألا يسرقوننا هم ، وهم أكثر منا عدداً ؟
 الأمير : ماذا تقول ، أجبان أنت يا سير جون الضخم البطن ؟
 فولستاف : في الحق أنا لست سير جون النجيل جلدك ، ولكني مع
 هذا لست جباناً يا هال .

٧٩

الأمير : فلندع هذا الآن فمحكه التجربة .
 بوان : اسمع يا جاك ، إن حصانك يقف وراء السور ، فإذا
 احتجت إليه فستجده هناك وداعاً واصمد في مكانك .
 فولستاف : ألا سبيل إلى أن أدق عنقه إذا كان لابد أن أشتق ؟
 الأمير : أين أقنعتنا التي ستتخفى بها يا ند ؟
 بوان : إنها حاضره في مكان قريب جداً ، اختف . .
 (ينسحب الأمير وبوان مبتعدين)

٨٥

فولستاف : والآن أيها السادة ، أرجو أن يخالفنا الحظ جميعاً
 مهما تكن الأحوال وليقم كل منكم الآن بواجبه .
 (يسمع صوت المسافرين وهم ينزلون من التل)

٨١

المسافر (١) : هيا يا رفيق نتمشى قليلا على أقدامنا لنريح أرجلنا من
 مشقة الركوب وسيقود الغلام خيولنا إلى أسفل التل .
 القصر : قف مكانك .

المسافرون : رحماك يا رب .
 فولستاف : اضرب ، أجهز عليهم ، قطع رقاب هؤلاء الأوغاد

الأدنياء العالة على المجتمع ، الذين أكلوا أمواله بالباطل ،
الذين اكتنزوا شحماً ولحماً من أكل خيرات الأرض .
إنهم يكرهوننا نحن الشباب ، أسقطوهم وجردوهم من
أموالهم .

المسافرون

يا ويلتاه . . لقد ضعنا . . ضعنا وضاعت أموالنا إلى
الأبد .

فولستاف

: مكانكم أيها الأوغاد الضخام البطون . هل صعتم حقاً ؟
كلا ! يا أيها الممثلون شحماً ومالا . وددت لو كانت
خزائنتكم معكم هنا . عليكم بهؤلاء القرويين السماء .
عليكم بهم ، ماذا تريدون أيها الأوغاد ؟ إن من حق
الشباب أن يعيشوا مثلكم ، وأن ينعموا بالحياة . إنكم
سراة أمائل ، ولذلك سنمثل بكم وأبهم الحق

٩٧

(وعندئذ يهجمون عليهم ويسرقون ما معهم ويوثقونهم بالحبال ثم يقودونهم إلى أسفل
التل ، ويعود الأمير هنرى معه بوان متخفين في أقنعة جديدة) .

الأمير

لقد أوثق اللصوص قياد الرجال الأمناء . فهل في مكتنتنا
أنا وأنت أن نسرق هؤلاء اللصوص ، وأن نعود إلى لندن
فرحين مبتهجين ، لكي يكون هذا الحادث سلوتنا في
أحاديثنا طوال هذا الأسبوع ومصدر ضحكنا المتواصل
طوال هذا الشهر ، ومعيناً طيباً للتندر والفكاهة إلى الأبد ؟

١٠٢ بوان : اختف . . فأنا أسمعهم قادمين . (يدخل اللصوص ثانية)

فولستاف : تعالوا أيها السادة نتقاسم الغنيمة فيما بيننا ثم نسارع إلى

جياذنا قبل أن ينبثق النهار . ألا يكن الأمير وبوان

جبانين ملعونين فلا داعي لإثارة خلاف حول العملة .

على أن بوان ليس فيه من الإقدام والشجاعة أكثر

مما في البط الوحشي الذي يفر طائراً لأول بادرة من

خطر . (وفيما هم يتقاسمون الغنيمة يقع عليهم الأمير وبوان)

١٠٨

الأمير : أخرجوا أموالكم ، علىّ بها .

بوان : أيها الأندال (يفرون جميعاً تاركين الغنيمة وراءهم ثم يتبعهم

فولستاف بعد ضربة أو اثنتين فاراً بجملده وهو يجار بالصياح ملتصقاً

الرحمة والمغفر بينا الأمير وبوان يخزانه من الخلف بطرق سقيهما) .

لقد استولينا على الغنيمة بغاية السهولة ، فهيا بنا الآن

إلى جياذنا نمتطي صهوتها في مرح وسرور ،

لقد تفرق اللصوص أيدي سباً ، وتملكهم الرعب تملكاً

قوياً حتى لم يعد واحد منهم يجرؤ على أن يلتق أخاه .

فقد بات كل منهم يخشى صاحبه ويحسبه الشرطي .

هيا بنا أي ند الطيب . لقد سال العرق من فولستاف

بغزارة

١١٥

وأسخن التربة الرقيقة بشحمه المتناثر المنسال وهو يسير
على طول الطريق ،

ولولا أن الموقف أثار ضحكك لثبت له حقاً .

: أرايت كيف كان الشقي البدين يجأ بالصباح ؟
(يلهبان)

بوان

المنظر الثالث

(حجرة في قلعة وركورت . يدخل هوتسبر وحده وهو يقرأ خطاباً)

هوتسبر : « أما عن نفسي يا سيدي اللورد ، ففي استطاعتي أن أقنع بأن أكون هناك تقديراً لما أكنه من حب لبيتكم ، يستطيع أن يقنع ! ألم يقنع بعد ؟ وتقديراً للحب الذي يمكنه لبيتنا ! لقد كشف هذا الخطاب عن دخيلة نفسه ، وأنه يجب بيادره أكثر من حبه لبيتنا ومع هذا فلا تأبج قراءة ما يقول « إن الهدف الذي تسعى إليه جد خطير » ، هذا أمر مسلم به ، والخطر موجود في كل شيء ، فنزلة البرد خطرة ، والنوم خطر ، والشراب خطر . ولكن دعني أقول لك أيها اللورد الأحمق إننا نقطف هذه الزهرة الجميلة ، زهرة الأمن والسلامة من بين هذا الشوك ، وهو الخطر . « إن الهدف الذي تسعى إليه خطر ، والأصدقاء الذين سميتهم لا أمان لهم ، والوقت نفسه الذي اخترته ليس ملائماً ، وخطتك كلها أهون من أن تصمد لمثل هذه المعارضة القوية » . أنت

٥

١٠

الذى تقول ذلك ؟ أتقوها أنت ؟ ، إذن فدعنى أقل لك مرة أخرى إنك جلف جبان فارغ العقل وإنك تكذب .

ألا ما أقل عقل هذا الرجل ، تا الله إن خطتنا لأحكم خطة وضعت ، وأصدقائنا مخلصون ثابتون على العهد ،

خطة محكمة وأصدقاء أوفياء ، ومشروع يبشر بالأمل والنجاح . أجل ، إنها خطة رائعة الإحكام وأصدقاء

غاية فى الثبات والولاء . فأى شئ خائر الفؤاد هذا الرجل ؟

ما هذا الذى يقول ؟ إن كبير أساقفة يورك قد امتدح الخطة وأثنى على سير الأمور وطريقة التنفيذ . تالله

لو أنى كنت بجانب هذا الوغد الآن لقضيت عليه

بضربة من ريش مروحة زوجه . أليس وراء هذه الخطة

أبى وعمى وأنا نفسى ؟ أليس وراءها لورد إدmond

مورتيمر وكبير أساقفة يورك وأوين جلندور ؟ بلى ،

وأليس وراءها فوق هؤلاء آل دوجلاس ؟ ألم ألتق منهم

خطابات يعدوننى فيها بلقاءى مسلحين قبل اليوم التاسع

من الشهر القادم ؟ وألم يبدأ بعضهم بالمسير فعلا ؟

يا الله ، أى وغد وثنى هذا الرجل !

يا للكافر الجاحد ! واهأ له لسوف أرى أنه بدافع من

إخلاصه الشديد للخوف وخور القلب

١٥

٢٠

٢٥

٣٠

سيسارع إلى الملك ويفضى إليه . بتفاصيل خطتنا .
ويلاه لأشطرن نفسى شطرين وأتركهما مختربان ويكيلان
الكلمات بعضهما لبعض جزاء على مغامرتى بتحريك
هذا الخائر الهمة

٣٥

لمثل هذا المقصد النبيل . ذروه ، حلت عليه اللعنة ،
يفضى للملك بأننا مستعدون ، فسأبدأ العمل الليلة .
(تدخل زوجه) مرحى يا كيت ، وفيم قدومك ، لأننى
مضطّر لتركك خلال هاتين الساعتين .

السيدة برى : أواه يا سيدى اللورد الطيب ، ما الذى حملك على هذه
الوحدة التى تفرضها على نفسك ؟

٤٠

وأى ذنب جنيته خلال هذين الأسبوعين
حتى هجرت مضجعى وحرمتنى من لقائك أى هارى
العزیز ؟

ألا تفصح لى عن هذا السر الذى سلبك
شهيتك للطعام وحرماك لذة العيش وأقص مضجعتك ،
ونفى النوم اللذيذ عن عينك ،
ألا توضح لى سر إطراقتك وتعلق عينيك بالأرض ؟
بالله ألا قلت لى فیم فزعك كلما خلوت إلى نفسك ؟
ولم غاض الدم النقى من وجنتيك حتى شحبتنا ؟

٤٥

وفيم سلبتني حقوق الثمينة فياك
وأضفيتهما على هذا الفكر المسمم والحزن الملعون اللذين
استغرقت فيهما ؟
لقد راقبتك وأنا بجانبك حين تغفو هذه الإغفاءات
الخاطفة ،

٥٠

فسمعتك تردد قصصاً عن الحروب الحديدية ،
وسمعتك تهتف بعبارات التشجيع لحصانك ،
وتصبح : « الشجاعة إلى الميدان ! » وسمعتك تتكلم
عن الكر والفر وعن الخنادق والخيام ،
وعن المتاريس والسدود ،
وعن الخواجز والموانع ، وعن المدافع على اختلاف أنواعها
وعن فدية الأسرى وعن الجنود المذبوحين ،
وعن سير القتال العنيف وتقلباته .
لقد كانت نفسك التي بين جنبيك هي الأخرى في عراك
دائم

٥٥

٦٠

كان يستثيرك ويحركك في نومك ،
حتى كانت قطرات العرق تتكاثف فوق جبهتك
كأنها فقاعات الهواء في مجرى قد اضطرب ماؤه لتوه
وجعلت وجهك تبلو عليه مظاهر غريبة

كذلك التي تبدو على الذين يحبسون أنفاسهم
عندما يفاجأون بأمر عظيم أو قرار خطير ، أو اه . .
أى نذر هذه !

٦٥

إن لدى سيدى اللورد عملاً خطيراً يشغله ،
ومن واجبي أن أعرفه ، وإلا كان سيدى اللورد لا يحبني .
: يا من هنا ؟ (يدخل الخادم) ، هل رجل جليامز (١)
وأخذ معه الحزمة ؟

موتسبر

الخادم : أجل يا مولاي رجل منذ ساعة .
٧٠ موتسبر : وهل أحضر بتلر هاتيك الجياد من عند الوالى ؟
الخادم : قد أحضر حصاناً واحداً يا مولاي ، أحضره توأ .
موتسبر : ومن أى نوع هذا الحصان ؟ أهو كبيت مرفوع الأذن ؟
الخادم : أجل يا مولاي ، هو كذلك .
موتسبر : هذا الكبيت سيكون المطية التي أعتليها ،
وسأعلو منته لقورى ، وأملئ في الله هو اعتمادي .
٧٥ : مر بتلر أن يقوده إلى الخارج في الحديقة .
(يخرج الخادم)

السيدة برسي : ولكن أرجو أن تستمع لى يا مولاي .

موتسبر : ماذا تقولين يا سيدتى ؟

السيدة برسى : ما الذى يحملك على هذا السفر ؟
 هوتسبر : يحملنى حصافى يا حبيبتى ، حصافى . .
 السيدة برسى : إليك عنى أيها القرد المجنون ! إن ابن عرس لا تنطوى
 جوانحه على مثل هذا الضيق والغضب
 الذى يمزق فؤادك ويضيق به صدرك .
 وأيم الحق لأعرفن هذه المهمة التى تأخذ بها نفسك
 يا هارى ، ولأعرفنها حتما .

أخشى أن يكون أختى مورتيمر قد تحرك
 ليطلب بالتاج ، وأنه بعث إليك
 يناشدك أن تؤيده فى حركته . ولكنك إذا سرت
 ورحلت . . .
 هوتسبر : إذا سرت هذه المسافة كلها على قدمى ، تعبت
 يا حبيبتى .

السيدة برسى : دع عنك هذا أيها البيغاء الصغيرة ، دعك من هذا
 وأجبنى على سؤالى لإجابة صريحة ،
 وأقول لك الحق يا هارى جادة فيما أقول
 إنك إن لم نصارحنى بحقيقة الأمر فى صدق فسأعصرن
 هوتسبر :
 خنصرك .

إليك عنى . . إليك عنى أيها التافهة ، أتحدثين عن

الحب ؟ أنا لا أحبك ، ولا أهتم لأمرك يا كيت !
 إن هذه ليست دنيا نلعب فيها بالعرائس واللعلى ،
 ونتراشق بالشفافة بدلا من السهام ،
 بل دنيا تقضى علينا بأن تكون لنا أنوف دامية ورؤوس
 مهشمة ،
 وأن نشترك في قتال ندى فيه الرؤوس . كان الله في
 عوني . على بحصاني .

٩٥

ماذا تقولين يا كيت ؟ ماذا تريدین مني ؟

: ألاتحبنى . . أحققاً إنك لاتحبنى ؟ السيدة برسى

أرجو ألا تحبنى إذن ، وما دمت لاتحبنى

فلن أحب نفسي . قل الحق ألا تحبنى ؟

١٠٠

أجل أفصح عن دخيلة نفسك وانطق ، أكنت تمزح
 أو تقول الحق ؟

: تعالى . . ألا تحبين أن تودعيني وأنا أركب ؟

موتسبر

وعندما أمتطى صهوة جوادى فسأقسم لك

إني أحبك حباً لا يعدله حب . ولكن اسمعى يا كيت ،

١٠١

بودى ألا تسألينى من الآن فصاعداً

إلى أين أنا ذاهب ولا فيم أنا ذاهب ،

فأنا يجب أن أذهب حيث يجب أن أذهب .

ويجب أن أودعك هذا المساء أى كيت الرقيقة ،
 أنا أعرف أنك عاقلة ، ولكن عقلك وحكمتك
 ليسا أكثر من عقل زوج هارى برسى وحكمته . وأنا
 أعرف أنك ثابتة على العهد وفيه
 ولكنك مع ذلك لست إلا امرأة ، وأما من جهة حفاظك
 على السر

١١٠

فليس أصون منك امرأة ، ذلك أننى أومن أنك
 لن تبوحى بسر لا تعرفينه .
 وإلى هذا القدر أنا أثق بك وأأمنك يا عزيزتى كيت .

١١٥

وكيف وما هو هذا القدر ؟
 : هذا القدر لن يمتد قيد أنملة . ولكن اسمعى يا كيت
 أقول لك لأننى حينما أذهب ستذهبين ،
 وسأرحل أنا اليوم ، وأما أنت فترحلين غداً .
 أفريضيك هذا يا كيت ويقنعك ؟
 : ١٢٠ السيدة برسى : الضرورة تحملنى على الرضا قسراً غنى .
 (يغيب مسرعاً لحصانه وهى تتبعه سامة)

السيدة برسى

هوتسبر

١٢٠ السيدة برسى

المنظر الرابع

حجرة في حافة رأس الخلوف في ليست تشيب ، وفي مؤخرتها مدفأة كبيرة ، وبجانها مقعد خشبي طويل . الوقت منتصف الليل . يدخل الأمير من أحد الأبواب ثم يعبر الغرفة ويفتح باباً في مواجهة الباب الأول ، ثم ينادي .

الأمير : أرجوك يا ند أن تخرج من هذه الحجرة الخائفة الفاسدة الهواء ، وتعال عاوني على أن نضحك قليلا .
(يخرج يوان إليه)

يوان : وأين كنت يا هال ؟
الأمير : لقد كنت في القبو مع ثلاثة أو أربعة من أصحاب الرؤوس الفارغة وبين ستين أو ثمانين دنًا من دنان الشراب .

وقد اخترت أحط درك للابتذال وأصبحت يا فتى أخاً في العهد لمجموعة من السقاة والندمان أعرفهم بأسمائهم التي عمدوا بها كتوم وديك وفرانسس ، وقد أقسموا جميعاً بحق يوم الخلاص أنني وإن أكن ولي العهد فإني ملاك اللطافة والظرف ، وقالوا لي في صراحة إنني لست غراً متعجرفاً كفليستاف بل فتى مرحباً ، حلو الشائل ،

كريم العنصر ، طيب النفس ، تا الله لقد نعتوني بهذه
الأوصاف جميعاً ، وعندما أصبح ملكاً لانجلترا
سأكون حامل لواء كل هؤلاء الفتيان الطيبين في إيست
تشيب .

١٥

إنهم يسمون مدمني الشراب ذوى الصبغة الحمراء ،
وهم يصيحبون بك حين تتوقف في منتصف الشراب
لتتنفس إحم ويأمرونك أن تجرع كأسك دفعة واحدة .
وكي لا أطيل عليك أقول إنى قد أصبحت في أقل من
ربع ساعة خبيراً ممتازاً بحيث أستطيع الآن أن أشرب
طوال حياتي مع أى سمكرى ، وأن أفاهم معه بلغته
الخاصة .

٢٠

وأقول لك الحق يا ند إنك قد فاتك شرف كبير لأنك
لم تصاحبني في مجلس الشراب هذا . ومهما يكن من
شيء يا ند الحبيب فكما أزيد اسمك حلاوة أهبك
قطعة السكر هذه التى دسها في يلى في هذه اللحظة
مساعد الساقى ، وهو رجل لم يتكلم من الإنجليزية في
حياته كلها إلا بضع كلمات لا تعلق وثمانية شلنات
ونصف ، و « مرحباً بك » مضافاً إليها بعض عبارات
أخرى ينطقها بصوته الخاد المرتفع « قادم يا سيدى حالا ،

٢٥

حالا يا سيدى ، ابعث بزجاجة من النبيذ الأسبانى إلى
حجرة القمر » ، أو ما شابه ذلك من الألفاظ ، ولى
لديك رجاء يا ند تقطع به الوقت حتى يعود فلستاف
هو أن تقف بإحدى الحجرات الداخلية حتى أستجوب
أنا هذا الساقى الصغير الحدث عن السر فى إعطائه إياى
هذا السكر ، وما الذى يقصده ، على ألا تكف طول
الوقت عن مناداته باسمه فرانسس ، لكيلا يخرج حديثه
معى عن قولة « حاضر قادم حالا » .

٢٠

٣٥

فادخل الآن وسأريك مثلاً عملياً لما رويت لك .
(يعود يون إلى الحجرة التى جاء منها ويترك بابها مفتوحاً خلفه)

: (من الداخل) فرانسس ، فرانسس .

يون

• أحسنت .

الأمير

: (من الداخل) فرانسس .

١٠ يون

(يدخل فرانسس من الباب فى عجلة)

: حاضر حاضر حالا ، حالا يا سيدى ، أسرع أنت

فرانسس

يا رالف بالنزول إلى حجرة الرمان .

: تعال هنا يا فرانسس .

الأمير

: سيئى اللورد

فرانسس

: كم سنة يجب عليك أن تخدم يا فرانسس ؟

الأمير

- فرانسس : خمس سنوات بالحق يا سيدى وأزيد بقدر . .
- يوان : (من الداخل) فرانسس .
- ٤٩ فرانسس : حاضر حالا ، حالا يا سيدى .
- الأمير : خمس سنوات بحق العذراء ، إنها مدة أطول من أن
تقضى في قرع الكتوس والصحاف ، ولكن ألا تجرؤ
يا فرانسس على الخلاص من تعهدك بتعلم هذه الحرفة ،
وأن تولى الأدبار وتفر من هذا القيد . ٥٤
- فرانسس : سيدى اللورد ، أقسم لك بكل كتاب مقدس في
إنجلترا إني أجد في قلبى . . .
- يوان : (من الداخل) فرانسس .
- فرانسس : قادم حالا يا سيدى .
- الأمير : كم عمرك الآن يا فرانسس ؟
- ٦١ فرانسس : دعنى أتذكر يا سيدى ، سأكون في عيد القديس
ميخائيل القادم . .
- يوان : (من الداخل) فرانسس .
- فرانسس : قادم حالا يا سيدى ، أتوسل إليك يا سيدى اللورد أن
تمهلنى لحظة .
- الأمير : أجل ولكن اسمع يا فرانسس ، إن السكر الذى أعطيتيه
يساوى بنسا ، أليس كذلك يا فرانسس ؟ ٦٦

فرانس : أواه يا سيدى ، وددت أن أعطيك ما يساوى البنسين .
 الأمير : سأعطيك فى مقابل هذا السكر ألف جنيه ، فاسألنى
 ٧٠ إياها عندما تريدها ولتأخذنها عنديك .

يوان : (من الداخل) فرانسس .

فرانس : قادم حالا حالا . .

الأمير : أتريدها حالا يا فرانسس ؟ لا يا فرانسس ، ليكن غداً
 يا فرانسس ، أو يوم الخميس أو وقتاً تريد يا فرانسس ،
 ولكن يا فرانسس !

٧٦ فرانسس : مولاي .

الأمير : هل أنت مستعد أن تخدع ذى الميدة الجلدية ،
 والأزرار الفضية البراقة والشعر المقصر ، والخاتم العقيق ،
 والجوهر الداكن ، ورباط الساق الصوفى الخشبي ،
 ذى البطن المنتفخ والجيوب الجلدية المتورمة واللسان
 الناعم .
 ٨٠

فرانس : رباه يا سيدى اللورد ، من هذا الذى تعنى ؟

للأمير : إذا كنت لا تجد الشجاعة على الفرار من هذا الرق
 فأنت مقضى عليك أن تظل بقية حياتك تخدم ،
 وتقدم هذا النبذ الأسباني الداكن ، وأنت تشاهد هذا
 الصدار الأبيض الجميل ، وهو يتحول مع الأيام من

قدر إلى أقدر ، إن ألف جنيه في مقابل سكر ببس
واحد هو عرض طيب مفر ، قل أن يوجد مثله في بلاد
البربر نفسها .

٨٥

فرانس : ماذا تقول يا سيدى ؟

يوان : (من الداخل) فرانسس .

٨٩ الأمير : اذهب أيها الشقى ، ألا تسمعهم يتاندونك .

(وهنا يقف الساقى في حيرة فكلاهما يتاديه وهو لا يبرى فى أى
طريق يذهب ، وعندئذ يدخل صاحب الحانة) .

صاحب الحانة : ما هذا ، وفيم وقولك ساكناً ، ألا تسمع هذه النداءات ؟

اذهب وأجب الزبائن فى الداخل (يذهب فرانسس)

سيدى إن السيد جون العجوز ومعه ستة من الرجال

واقفون بالباب ، فهل أسمح لهم بالدخول ؟

٩٤

الأمير : دعهم وحدهم لحظة ثم افتح الباب بعد ذلك .

(يذهب صاحب الحانة) ، يوان !

يوان : (عائداً) قادم حالا ، حالا يا سيدى .

الأمير : اسمع يا فتى ، إن فلستاف وبقية اللصوص بالباب ،

أستعد أنت للمزاح والمزح ؟

٩٩

يوان : لى أمرح كالصرصور يا فتى ، ولكن اسمع ، ما هو

الهدف الحقيقى من وراء هذا المزاح الماكر مع هذا

الساقى ؟ ، هيا خبرنى ، ما هو الموضوع ؟
 : إلى متعدد الأهواء ، أهوى كل مزاح ظهر على الأرض ،
 منذ عهد أبينا الطيب آدم حتى يومنا هذا ، بل حتى
 هذه الساعة الثانية عشرة من منتصف هذا الليل .
 (يمر بهما فرانسس سرعا وهو يحمل الشراب) كم الساعة يا فرانسس ؟
 : قادم حالا ، حالا يا سيدى (يخرج)

: إن هذا المخلوق لا يردد إلا كلمات قليلة أقل مما يعرفه
 البيغاء ، ومع ذلك ، فهو ابن أنثى . إن عمله كله
 محصور فى الصعود إلى الدور الأعلى والهبوط إلى الدور
 الأسفل وفصاحته لا تزيد على ترديد حساب الطلبات ..
 على أنى لم أنحدر بعد إلى أن أكون من صنف برسى
 هوتسبر الشمالى الذى لا ينعشه إلا القتال ولا يمتعه إلا إزاقة
 الدماء ، إنه يقتل ستين أو سبعين من الإسكتلنديين
 وقت الإفطار ،

ثم يغسل يديه ويقول لزوجته « تباً لهذه الحياة الهادئة ،
 إلى أتحرق للعمل » . فتقول له زوجته : « أى حبيبى
 هارى ، كم كان عدد قتلاك اليوم ؟ » فيقول : « أعطوا
 حصانى الكمية شربة ماء » ، ثم يجيب : « حوالى أربعة
 عشر » وبعد حوالى ساعة يقول : « هذا عمل تافه جداً »

أرجوك أن تنادى فولستاف ، فسألعب دور برسي ،
وسيقوم هذا الخنزير السمين الملعون بدور السيدة
مورتيمر زوجه . علينا بالشراب « الخمر ، الخمر » هكذا
يقول السكاري ، ناد هذا العظم ، ناد هذا الشحم .

١٢٥

(يدخل فولستاف ومعه جادشيل وبارد والف وبيتر ، يتبعهم فرانسس حاملاً كتوس
النبيذ ، فولستاف لا يلتق بالآ إلى الأمير وبوان ويجلس متداعياً إلى إحدى الموائد) .

بوان : مرحباً بك يا جاك أين كنت ؟

فولستاف : (محدثاً نفسه) الويل للجبناء والانتقام منهم أيضاً ،
أقول ذلك أنا ، الويل لهم آيين . أعطني كأساً من
النبيذ يا غلام . لأشتغل قبل أن يمتد بي العمر في
إصلاح الجوارب فأخيط المخرق ، وأرفو المهلهل ،
وأحيك الكعوب . الويل لكل الجبناء أعطني كأساً
من النبيذ أيها الشقي ، يا لله ألم يبق للرجولة وجود في هذه
الأيام ؟ (يشرب الكأس)

١٢٢

الأمير : (مشيراً) ألم تر في حياتك يا بوان الشمس وهي تقبل
طبقاً من الزبد ، الشمس الرحيمة القلب ؟ لقد أستمع
إلى غزل الشمس فذاب وجداً ، فلا تكن نظرتة فانظر
إلى فولستاف ، إلى وجهه الأجمر وإلى قدح النبيذ
ينوب كما ينوب طبق الزبد .

١٢٦

فولستاف : (وهو يعطى فرانسس الكأس الفارغة) يا لك من شقى ،

إن هذا النبيل قد خلط بالخير أيضاً . ونفوس الأدياء
الخبثاء لا تنطوى على شيء إلا الشقوة والخبث . ومع
ذلك فإن لحيان أسوأ من الشراب الممزوج بالخير .
يا لك من جبان خبيث الطوية ،

١٤٠

سر فى طريقك أى جاك العجوز ومت حينما تشاء ،
وإذا كانت الرجولة ، الرجولة الحقة لم يخل منها وجه
الأرض ولم تنس ، فإنى إذن لمستضعف كسمكة
واهنة . إنه لم يبق على وجه الأرض فى إنجلترا إلا ثلاثة
رجال أصلاء لم يشنقوا بعد ، وواحد من هؤلاء رجل
بدين قد صار كهلا ،

١٤٥

كان الله فى عونته على هذا الزمان ، هذا الزمان
الغادر حقاً ، وددت لو أنى كنت ناسجاً أغزل بيدى
وأترنم راضى النفس بالمزامير أو بغيرها ، أواه . . ويل
للجبناء ، ويل للأشقياء ، إنى لا أزال أرددها .

١٤٩ الأمير : ماذا بك أيها الكيس المكتنز، وما هذا الذى تردده ؟

فولستاف : (يلتفت له) أأنت ابن ملك ؟ قسماً لأحلقن عذارى

وأسير فى الأرض حليقاً إن لم أطرده خارج مملكته
بخنجر من الخشب وإن لم أسق رعيتك أمامك كقطيع

من الأوز البرى المذعور ، أنت أمير الغال وولى العهد؟

١٥٤

: ولىك أيها الوغد البدين الحقيق ، ما الذى حدث ؟

الأمير

: ألسنت جباناً ، أجنبتى عن سؤال أنت ، وبوان هذا

فولستاف

أليس هو مثلك ؟

: عليك اللعنة أيها المكتنز الغليظ البطن ، قسماً بالسيد

بوان

المسيح لئن دعوتنى جباناً مرة أخرى لأطعنك بخنجرى

١٦٠

(يجرى خنجره)

: أدعوك جباناً ! لوددت أن تحل بك اللعنة قبل أن أدعوك

فولستاف

جباناً ، ولوددت أن أدفع ألف جنيه لو كان فى طوقى

أن أفر سريعاً كما تفر . إن كتفك آية فى الاستواء ،

بحيث لا يعينك أن يراك أحد وأنت تولى الأدبار ،

أتسمى هذا الإدبار مظاهرة لإخوانك وتأييداً ؟ الويل

لمثل هذه المظاهرة . فليواجهنى منكم من يقدر على هذه

المواجهة ، (ثم يوجه القول لفرانس) أعطنى كأساً

من النبيذ يا غلام ، ويلي لى لشقى إن كنت قد شربت

اليوم .

١٦٩

: يا لك من نذل ، إن شفتيك لم تجفأ بعد من آخر كأس

الأمير

تجرعها .

: هذا لا يهم ولن يغير من الواقع شيئاً (يشرب) الويل

فولستاف

للجنباء جميعاً ، الويل لهم ولا أزال أقولها وأرددها .

١٧٤ الأمير : ماذا حدث ؟

فولستاف : ماذا حدث ؟ . . إن هنا أربعة من بيننا قد استولوا في

هذا الصباح على ألف جنيه .

الأمير : وأين هي يا جاك . . ؟ أين هي ؟

فولستاف : أين هي ؟ لقد سلبت منا ، لقد وقع عاينا مائة رجل

نحن الأربعة المساكين .

١٨٠

الأمير : ماذا تقول . . مائة رجل ؟

فولستاف : إني لشقي إذن إذا لم أكن قاومت إثني عشر رجلاً منهم

مدة ساعتين كاملتين ، وهم أدنى إلى من نصف

طول سيفي هذا . لقد نجوت منهم بمعجزة ، ولقد طعنت

ثمانى مرات من خلال صديريتي ،

١٨٥

وأربع مرات من خلال سروالي ، وقطعوا درعى لإرباً

إرباً ، وثلموا سيفي كالمنشار ، وهاكم الدليل يقطع

بصحة قولى ، إننى لم أحارب فى حياتى منذ صرت رجلاً

مثلاً حاربت هؤلاء الرجال ، ولكن هذا كله لم يفدنا

شيئاً ، الويل لكل الجنباء ، سل هؤلاء الذين كانوا

معى ، ذرهم يتكلمون فإن نطقوا بشيء أكثر أو أقل

من الحق الصراح فهم أشقياء أخساء أبناء ظلام .

١٩١

- الأمير : تكلموا أيها السادة ، قولوا ماذا حدث .
- جادشيل : لقد سطونا نحن الأربعة على نحو اثني عشر من الرجال .
- فولستاف : ستة عشر رجلاً على الأقل يا سيدى اللورد .
- ١٩٥ جادشيل : وأوثقناهم بالحبال .
- جيتو : لا لم نوثقهم .
- فولستاف : أيها الشقى لقد أوثقناهم جميعاً ، أوثقنا كل رجل فيهم وألا يكن هذا حقاً إلى إذن ليهودى كافر ، يهودى لحمياً ودماً ولا أستحق اسم المسيحي .
- ٢٠٠ جادشيل : وبينما نحن نتقاسم الغنيمة وقع علينا ستة رجال جلد أو سبعة .
- فولستاف : وفكوا وثاق الآخرين وانضموا معهم في الإحاطة بنا .
- ٢٠٣ الأمير : يا ويحكم وهل قاتلنموهم جميعاً ؟
- فولستاف : جميعاً . . لست أدري ماذا تعنى بجميعاً إلا أكن قد قاتلت خمسين رجلاً منهم فما أنا إلا هزيل كعود من الفجل ، وإلا يكن اثنان أو ثلاثة وخمسون قد أحاطوا بجناك العجوز المسكين فما أنا برجل يدب على قدمين .
- الأمير : أحمد الله على أنك لم تقتل أحداً منهم .
- فولستاف : أجل، هذا أمر قله فات دركه، فقد قتلت اثنين منهم،
- أجهزت على اثنين منهم بالتأكيد ، شقيين كانا يلبسان

حلتين من الخيش المصنع . ماذا أقول لك وماذا أدع
يا هال ؟ لك أن تبصق في وجهي يا هال ولك أن تسمني
حصاناً إذا كنت أروى لك كذباً . إنك تعرف خطي
القديمة في الدفاع وقد وقفت عندها ووجهت حدى
سيفي إليهم وحملت به عليهم ، لقد هاجمني أربعة
أشقياء في لباس من التيل الخشن .

٢١٧

: ماذا تقول ؟ أربعة هاجموك ؟ لقد قلت لتوك إنهما
اثنان .

الأمير

فولستاف : بل أربعة يا هال ، لقد قلت لك إنهم أربعة .

يوان : أجل . . أجل . . لقد قال أربعة .

فولستاف : هؤلاء الأربعة واجهوني جميعاً ، وحملوا على بسيفهم
في قوة وأيد ولكني لم أثر ضجة بل تلقيت ظبي سيفهم
السبعة بدرعى هكذا .

٢٢٦ الأمير : سبعة . . لقد كانوا أربعة حتى هذه اللحظة ؟

٢٣٠ فولستاف : وفي حلل من الخيش الخشن ؟

يوان : أجل أربعة في حلل من الخيش .

فولستاف : سبعة بحق هذا السيف ، وإلا فأنا شقي .

الأمير : أرجوك دعه وحده ، وسنسمع مزيداً من قصته في الحال .

- فولستاف : أتستمع إلى يا هال .
- ٢٣٤ الأمير : أجل أصنى إليك وأراقبك أيضاً يا جاك وأعد عليك الكلمات .
- فولستاف : حسناً تفعل ، فالقصة تستحق الإصغاء لها . هؤلاء التسعة المرتدون حللاً من التيل الحشن حدثتك عنهم . .
- الأمير : وهكذا زاد العدد اثنين آخرين .
- فولستاف : فلما تكسرت طباط سيوفهم . .
- ٢٣٩ بوان : سقطت عنهم سراويلهم .
- فولستاف : بدأوا يفرون مني ، ولكنني تبعتهم وضيق عليهم الخناق وأخذتهم بيدي وقدمي ، وبأسرع من لمح الخاطر جندلت سبعة من الأحد عشر .
- ٢٤٤ الأمير : ما أفضح هذا ! لقد أصبح اثنان من ذوى الحلل التيلية أحد عشر .
- فولستاف : ولكن ثلاثة من الأوغاد الخارجين على القانون زين لهم الشيطان أن يأتوا من وراء ظهري وأن يهاجموني من الخلف وكانوا في لباس من التيل الأخضر ، ولم أرهم يا هال لأن الظلام كان دامساً إذا أخرجت فيه يدك لم تكدر تراها .
- ٢٤٨ الأمير : هذه الأكاذيب لا تختلف في شيء عن صاحبها الذي

يأتى بها ، إنها ضخمة كالجبال ، مكشوفة للعيان ،
واضحة ملموسة . ويك أياها التهم ذو العقل الأسن
والرأس الفارغ ، ويك أياها الأحقق الوضع الداعر
يا دن من الشحم العفن ،

٢٥٢

فولستاف : ما هذا؟ أهل جنت ؟ هل جنت ؟ أليس هذا هو
الحق . . الحق ؟

الأمير : ويك يا كنوب ، كيف استطعت أن تعرف أن هؤلاء
الرجال كانوا فى لباس من التيل الأخضر على حين كان
الظلام دامساً ، إذا أخرجت فيه يدك لم تكذ تراها ؟
هيا خبرنا السبب ، وماذا تقول فى ذلك ؟

٢٥٩

يوان : هيا هيا ، علينا بأسبابك يا جاك ، هات أسبابك .
فولستاف : وى . . أبالإكراه والتعذيب تريدونها ؟ تباً لكم لو أنكم
أوثقتمنى وقذتم بى من حالق وسلطتم على كل آلات
التعذيب ما بحت لكم بشىء أبداً تحت تأثير هذا
الإكراه . أأدلى لكم بأسبابى بالإكراه ؟ والله هذا
لن يكون أبداً ، ولن أدلى بأسبابى تحت ضغط الإكراه
ولو كانت الأسباب فى كثرة التوت الأسود .

٢٦

الأمير : لن أحمل ذنب هذه الخطيئة أكثر من ذلك ، هذا
الجبان الدموى الوجه ، الثقيل الحمل على الفراش ،

القاصم لظهور الخيل ، هذا التل الضخم من اللحم ، —
 عليك اللعنة أيها الهزيل النحيل يا جلد ثعبان الماء ،
 يا لسان الثور المخفف ، يا قضيب التيس ، يا أيها
 السمك القديد ، أواه دعني أستجمع أنفاسي لأقول لك
 ما أنت على مثاله ، يا مقياس الخياط ، يا غمد
 السيف ، يا قراب القوس ، أيها السيف القضم الغث . .
 تمهل واجمع أنفاسك لحظة ثم واصل حملتك ، وعندما
 ينضب معينك من الشتاء الوضيعة فاستمع إلى فلن أقل
 لك غير هذا : —

: اصنع يا جاك .

: لقد رأيناكم نحن الاثنين تسقطون على أربعة رجال
 وتوثقونهم بالحبال وكانوا سادة من الأثرياء ، أعرفني
 سمعك ترى كيف أن الحقيقة المجردة ستصرعك وتكشف
 عن زيفك ، ثم هاجمناكم نحن الاثنين ، وبكلمة
 واحدة خدعناكم ، واحتلنا على تجريدكم من غنيمتكم ،
 واستولينا عليها ، وما هي ذى بين أيدينا في هذا المكان
 نستطيع أن نطلعكم عليها . أما أنت يا فلستاف ، فقد
 حملت ثقل أمعائك المكتنزة وفوررت في خفة ونشاط
 وأنت تجار بالصياح طلباً للرحمة ولما نزل تعدو وتجار

بالصباح كأنك العجل يخور خواراً متصلاً . تباً لك
من عبد تثلم فرند سيفك بيدك كما فعلت ثم تدعى كذباً
أنه ثلم في القتال ، أى خداع تبیت وأية حيلة وأى غباء
يدور في نفسك لتخفى عارك وشنارك الذى ظهر للعيان ؟

٢٩٢

: تكلم يا جاك ، ودعنا نسمع آخر ما فى جرابك من حيل ؟
: قسماً بالسيد المسيح لقد عرفتكما كما يعرفكما خالقكما ،
اسمعانى أقل لكما ما حدث أيها السادة ، أكان خليقاً
بى أن أقتل ولى العهد ، وأن أهاجم الأمير العريق
الصادق ؟ إنكما لتعرفانى وتعلمان أنى جسور كهرقل ،
ولكنها الغريزة هى التى تحذر الإنسان من الخطل ،
فالأسد المصور لا يقرب الأمير العريق الصادق
ولا يمسسه بأذى . إن الغريزة شىء عظيم ، فإن أك قد
قد جبنيت فهو جبن بدافع الغريزة ،

يوان

فولستاف

٣٠٠

وسأظل أقدر نفسى وأقدرك ما عشت . أقدر نفسى
أسداً هصوراً ، وأقدرك أميراً عريقاً صادقاً ، ومع هذا
فلشد ما أنا مسرور أيها الفتيان لحصولكم على المال ،
أيا صاحبة الحان غلقى الأبواب واسهرى الليل بطوله ،
ثم صلى غداً .

٣٠٥

أيها الأبطال ، أيها الفتيان ، أيها الولدان ، أيتها

الذهبية ، نعمت بكل ألقاب البطولة وسمات الاخوان
الصادقين ماذا علينا أن نفعل ؟ ، هيا نمرح ونطرب
وهيا نمثل رواية عفو الخاطر .

٣١١ الأمير : طب نفساً ، فسنفعل ما تريد وسيكون الحوار دائراً حول
فراك وهربك .

فولستاف : أواه ! ، كفى حديثاً في هذا يا هال إذا كنت تحبني حقاً
(تدخل صاحبة الحان)

صاحبة الحان : يا إلهي مولاي الأمير ؟ !

٣١٦ الأمير : ماذا بك يا سيلتي صاحبة الحان ؟ وماذا تريدان
تقول لي .

صاحبة الحان : عفوا يا مولاي ، إن بالبواب سيداً نبيلاً من القصر يريد
أن يتحدث إليك ، وهو يقول : إنه قادم من لدن والدك
الأمير : صليبه بقدر ما يرفع قيمته من نبيل (١) إلى ملوكي (٢) ،
ثم أعيد به أدراجه إلى أمي .

٣٢٣ فولستاف : وأي طراز من الرجال هذا القادم ؟

صاحبة الحان : إنه رجل مسن .

فولستاف : ترى أي أمر خطير قد دعاه أن يهجر فراشه في منتصف

(١) النبيل عملة إنجليزية .

(٢) الملوكي عملة إنجليزية أكبر قيمة من النبيل .

الليل ؟ أسمح بأن أتولى جوابه يا مولاي؟

٣٢٦

الأمير : أرجوك أن تفعل يا جاك .

فولستاف : سأرده على أعقابه تروا . (يخرج)

الأمير : والآن أيها السادة ، بحق العذراء ، لقد قاتلتم قتال

الأبطال هذا ما فعلته أنت يا بيتو وكذلك أنت

يا باردولف ، كلا كما أسد هصور . وقد فررتما بدافع

من الغريزة ، آثرتما ألا تمسا الأمير العريق الصادق ،

كلا ، ما فعلتما هذا تباً لكما .

٣٣٢

باردولف : في الحق لقد فررت حين رأيت الآخرين يفرون .

الأمير : قل لي الآن بجذ ، كيف انثلتم سيف فولستاف على هذه

الصورة ؟

بيتو : لقد ثلمه بمنججره ، وقال إنه سيظل يقسم حائناً حتى

لا يدع للصدق مكاناً في بريطانيا ليقنعكم بأن سيفه

قد ثلم في القتال ، وأغرانا بأن نحذو حذوه .

٣٣٩

باردولف : أجل ، وأقنعنا أن نخمش أنوفنا بالحسلك لتدميها وأن

نلوث قمصاننا بدمائنا ، وأن نقسم أنه دم رجال بحق .

وقد فعلت ما ألم أفعله منذ سبع سنوات ، ولذلك أخذتني

حمرة الخجل ، وأنا أستمع لخططه الشيطانية .

٣٤٤

الأمير : يا لك من وغد أنتم ! لقد سُرقت منذ ثمانية عشر عاماً

كأساً من النبيذ وضبطت متلبساً بجريمتك ، ومنذ ذلك الوقت وأنت تحمر خجلاً بالسليقة لقد كان في يديك السيف والنار ومع ذلك فررت . فبأى غريزة تفسر ما فعلت ؟

٣٥٠

باردولف : مولاي اللورد ألا ترى هذه الشهب ؟ ألا ترى هذه المذنبات النارية ؟ (مشيراً إلى وجهه)

الأمير : أراها .

باردولف : وماذا تظنها تحمل من نذر ؟

الأمير : أكباد حارة من الشراب وجيوب خاوية من الفقر .

باردولف : إنها الغل والغضب يا مولاي ، إذا أحكم تأويلها .

الأمير : بل حبل المشنقة إذا أحكم تأويلها (يموذ فولستاف)

هذا هو جاك النحيل يعود ، هذه هي العظام العارية تقبل ، إيه أيها العزيز المتأمل ككيس القطن المكبوس ،

كم مضى عليك منذ رأيت ركبتك آخر مرة ؟ ٣٦١

فولستاف : ركبتاي ! كان ذلك عندما كنت في مثل سنك يا هال ،

كنت حينئذ دقيق الخضر لا أكاد أبلغ سمك مخلب

النسر ، وكنت أستطيع أن أنفذ من حلقة خواتم السادة

والأعيان ، ولكن واهماً للهموم والأحزان ، إنها تثقل

الرجل وتنفعه كأنه الكرة ، إن هناك أخباراً سيئة من

الخارج .

٣٦٦

وقد كان هنا سير جون براسي من لندن والدك ، ولا بد لك من أن تبادر إلى القصر غداً صباحاً ، إن ابن إقليم الشمال هذا الأهوج برسي ، ومعه هذا الغالي الذي تحدى الشيطان وضربه بهراوته وسخر من إبليس وأحاله ديوثاً ، وأقسم للشيطان ويده فوق بلطة غالية لا مقبض لها كما لو كانت صليباً — هذا البلاء العظيم ماذا تسمونه ؟

٣٧٣

بوان

: أوين جلندور .

فولستاف

: أجل . . هو أوين . . أوين بعينه ومعه زوج ابنته مورتيمر وفورنمبرلند العجوز ، وهذا الإسكتلندي المرح بطل الأبطال دوجلاس الذي يصعد التل العمودي وهو يعدو على ظهر جواده ، —

٣٨٠ الأمير

: هذا الذي يعدو بأقصى سرعة ويقتل بغداته الباز الطائر .

فولستاف

: لقد أصبت .

الأمير

: أما هو فلم يصب الباز أبداً .

٣٨٤ فولستاف

: هذا الوغد شجاع أصيل المعلن ولا يفر أبداً .

الأمير

: وأى وغد كنت إذن حين امتدحته الآن لفره ؟

فولستاف

: امتدحت جريه على متن جواده أيها الببغاء الذي يردد

: ما أقول أما حين يكون راجلاً فإنه لن يتحرك قيد أنملة .

٣٨٩ الأمير

: أجل يا جاك ، بدافع من غريزته .

فولستاف : نعم أؤكد لك أن ذلك بدافع من غريزته . ما علينا ،
إن هذا الإسكتلندي معهم أيضاً ، وكذلك مورديك
وعلاوة على ذلك ألف رجل إسكتلندي من ذوى
القمصان الزرق . لقد تسال ورستر هذه الليلة ،
وابيضت لحية أليك جزعاً من هذه الأنباء ، وبوسعك
الآن أن تشتري الأرض بأبخس مما تشتري السمك
الفاسد .

٣٩٥

الأمير : إن من المحتمل إذا أقبل حريونيوهذه الحرب الأهلية
لا تزال قائمة أن نشترى العذارى بالثلاث كما يشترى
مسامير النعال .

٣٩٩

فولستاف : بحق المسيح يا فتي لقد قلت حقاً ، ومن المحتمل أن
تكون لنا تجارة رائجة في هذا المضمار ، ولكن قل لى
يا هال ، ألسنت ترتعد خوفاً ورعباً ؟ ترى هل تستطيع
الدنيا أن تجمع لك مرة أخرى وترميك وأنت ولى العهد
بمثل هؤلاء الأعداء الثلاثة ؟ هل تستطيع أن تجمع لك
مثل هذا المارد دوجلاس وهذا الشيطان برسى وهذا
الإبليس جلندور ؟ ألسنت مرتاعاً من هؤلاء الأعداء ؟
ألا يقفز الدم في عروقك فرحاً ؟

٤٠٧

الأمير : لا وأيم الحق ، فما حرك هذا فى ساكناتى ، وإنى ليعوزنى

طرف من غريزتك .

فولستاف : حسناً ستلقى غداً تعنيفاً شديداً حين تواجه أباك ، فإذا كنت تحبني فاعدد نفسك بجواب وجرب ما تقول . ٤١٢

الأمير : فلتقم مقام أبي ، ولتستجوبني في تفاصيل حياتي .

فولستاف : أقوم بذلك، إذن فقر عينا، فسأجعل من هذا الكرسي

عرشي ، ومن هذا الخنزير صوبلحاني ، ومن هذه الوسادة

تاجي .

الأمير : إن عرشك كرسي من خشب ، وصوبلحانك الذهبي خنجر

من الرصاص ، وتاجك الثمين النفيس رأس أصلع عار . ٤٢٠

فولستاف : ألا تكن حمية الجلال والرحمة قد خبت فيك فستتحرك

أشجانك الآن . أعطني كأساً من النبيذ حتى تحمر

عيناي ، فيظن أن احمرارها من أثر البكاء ، فأنا أريد

أن أتحدث حديثاً يكشف عن كواهن الأشجان وأن

أتقمص في ذلك روح الملك قمبيز وأسلوبه . ٤٢٦

الأمير : ليكن ، وهأنذا أنحنى لك .

فولستاف : وهأنذا أتحدث إليك ، أيها النبلاء تنحوا جانبا .

صاحبة الحان : يا إلهي إن هذا للهو طيب وأيم الحق .

فولستاف : لا تلهي الدموع أيتها الملكة الجميلة فالدموع المهمة

عبث لا جدوى وراءه . ٤٣١

صاحبة الحان : إنه يجذ ، إنه صارم الوجه لا أثر للضحك فيه .
 فولستاف : أستحلفكم بالله أيها النبلاء أن تحملوا ملكتي الحزينة
 من هنا فإن الدموع قد فاضت من مآقيها . ٤٣٥
 صاحبة الحان : بحق يسوع إنه يمثل دوره كما يؤديه ممثل من أولئك
 المحترفين المتجولين الذين تعودت أن أراهم .
 فولستاف : الهدوء أيتها الثائرة . . الهدوء أيتها السلاف المعتقد التي
 تذهب بالعقول ، اسمع يا هاري إني لا يحيرني ويدهشني ،
 أين تمضي وقتك فحسب ، ولكنني أعجب أيضاً فيمن
 تصاحب . ٤٤٠

وإذا كانت الحشائش كلما أكثرنا وطأها بأقدامنا
 أسرع نموها وزاد انتشارها ، فإن الشباب على عكس
 ذلك ، كلما زاد إسرافه على نفسه سارع إلى الانتهاء .
 أما إنك ابني فقد تأكدت من ذلك حين أخذت مقال
 أملك فيك من ناحية ، ورجعت إلى نفسي فيك من
 ناحية أخرى ، وقد أكد لي بنوتك على الأنخص ظاهرة
 مميزة ماكرة في عينيك ، وتدل في شفتك السفلى . فإذا كنت
 ابني حقاً ، فهنا يرد السؤال : لماذا وأنت ابني تلاحقك
 الهمسات والإشارات كما ترى ؟ أيمكن أن تنزل الشمس
 المقدسة من سماء عليائها وتهرب من أداء واجبها وتأكل

٤٥٠

التوت كما يفعل الأطفال الهاربون من المدرسة ؟
 هذا سؤال لا ينبغي أن يوجه ، إذ لا يختلف اثنان في
 الإجابة عنه . وهل يصح في الأذهان أن ابن ملك إنجلترا
 يستجيل لصاً ونشالا ؟ هذا سؤال ينبغي أن يسأل . إن
 هناك شيئاً طالما سمعت به يا هارى ، شيئاً يعرفه الكثيرون
 في هذه البلاد باسم القار . هذا القار (كما يقول الكتاب
 القداى) يلوث من يمسسه ، ومن قبيل القار ، هذه
 الجماعة التى تصاحبك .

٤٥٥

إننى أحدثك الآن يا هارى بحرقه الدمع لا بنشوة الشراب ،
 وبلوعة الأسى لا بغمرة السرور ، أحدثك لا بلسانى
 فحسب ، ولكن بآلاى أيضاً . ومع ذلك فهناك رجل
 فاضل طالما لاحظته فى صحبتك ولكنى لا أعرف اسمه .

٤٦١

: أى نوع من الرجال هو إن أذنت يا مولاي ؟

الأمير

: رجل طيب ذومهاة مفرط فى السمن طلق المحيا ضاحك

فولستاف

السن ،

٤٧٠

عليه سمت النبلاء ، عمره يجاوز الخمسين فيما أظن ،
 أو يقترب من الستين . لقد تذكرت اسمه الآن فهو
 يدعى فولستاف . فإذا كان هذا الرجل منغمساً فى
 الشهوات ، فقد خدعنى مظهره ، لأننى توهمت الفضيلة

في نظراته يا هال .

وإذا كانت الشجرة تعرف بثمارها ، وكانت الثمرة تم عن أصلها فقد حق لي أن أؤكد لك أن فولستاف هذا تنطوي جوانحه على الفضيلة ، فاحتفظ به لنفسك وخل بينك وبين الآخرين . والآن خبرني أيها الوغد الشقي ، أين كنت طوال هذا الشهر ؟

٤٧٥

: أينطق مثلك بلسان الملوك ويتحدث حديثهم ؟ خل عنك

الأمير

هذا وقم أنت بدوري وسأقوم أنا مقام أبي .

: أتنزعي من الملك ، قسماً لو استطعت أن تقوم بدور

فولستاف

الملك بنصف الوقار الذي أدبته به ، وينصف العظمة

والجلال ، سواء في القول أو في العمل ، فلك أن تجردني

وتعلقني من كاحلي كأرنب رضيع أو كأرنب برى

مسلوخ في حانوت بائع الدجاج .

٤٨١

(يغيران مكانهما)

: حسناً هأنذا قد جلست على العرش .

الأمير

: وهأنذا أقف بين يديك فاشهدوا أيها السادة واحكموا

فولستاف

بيننا .

: اسمع يا هاري من أين قدمت ؟

الأمير

: قدمت يا مولاي المعظم من لايسيت تشيب .

٤٨٥ فولستاف

: إن الشكايات التي بلغتني عنك لتحزنني أشد الحزن .

الأمير

: الويل لهم لأنها شكايات كاذبة يا مولاي (جانبا) سأمثل

فولستاف

دور الأمير بطريقة تدهش لها وأيم الحق .

٤٨٩

: أتصب اللعنات أيها الفتي الكفور ، إليك غنى ولا تترنى

الأمير

وجهك بعد هذه الساعة ، لقد باعدت ما بينك وبين

الخير ، وحيل بينك وبين الحمد في غلظة قاسية ،

إن هناك شيطاناً رجيماً يلازمك في صورة رجل بدين

عجوز مفرط في السمن كأنه البرميل ، فقيم صداقتك له ؟

وفيم حديثك مع هذا الصندوق الممتلئ بالعلل والأسقام ؟

هذه الجفنة العامرة بالشهوات البيمية ،

٤٩٥

هذه القرية المنتفخة من الاستسقاء ، هذا الزق الضخم

من النبيذ ، هذه العيبة المبرطشة المشحونة بالأمعاء ،

هذا الثور الثمين المشوى المحشو بطنه بالتوابل واللحم

كأنه ثور ماننجترى^(١) ، هذه الرذيلة المجسمة وهذا

الشر الأشيب ، وهذا الشيطان العجوز وهذا

المغرور المسن ؟

٥٠٠

أي خير يرتجى فيه وفيم مهارته؟ ألا تكن في تذوق النبيذ

وشربه ؟ وفيم حذقه وخبرته اللهم إلا في تقطيع أوصال

ديك سمين والتهامه ؟ وفيم امتيازه اللهم إلا في الدهاء
والمكر ، وفيم دهاؤه اللهم إلا في الخبث والسوء ؟
وفيم خبثه اللهم في كل شيء ؟ وفيم جدواه ونفعه اللهم
فيما لا شيء .

•••

فولستاف : وددت يا مولاي لو فسرت ما تقول ومن تعنى بهذا
الحديث ؟

الأمير : عنيت هذا الخبيث الكريه مضلل الشباب فولستاف ،
هذا الشيطان العجوز ذو اللحية البيضاء .

٥١٠ فولستاف : مولاي ، إني أعرف هذا الرجل .

الأمير : أعلم أنك تعرفه .

فولستاف : ولكن إن قلت إني أعرف فيه شراً أكثر مما في نفسي

تجاوزت بذلك حدود معرفتي ، أما إنه عجوز فهذا
أدعى للرثاء له ، وشعره الأبيض ينهض دليلاً على ذلك ،
وأما إنه رجل عاثر شهواني فهذا

٥١٥

ما أنفيه نفيًا باتاً مع احتراي لجلالتك . أما إذا كان
شرب النبيذ بالسكر خطيئة فليتدارك الله المذنب
برحمته ! وإذا كان الشيب مع المرح ذنباً فما أكثر
أصحاب الحانات المسنين الذين أعرف ممن ستحل بهم
اللعنة ، وإذا كانت البدانة بغضه مكروهة فما أحرى

أن تحب وتعيد بقرات فرعون العجاف .

٥٢٠

لا يا مولاي الطيب ، نح بيتو ، ونح باردولف ، ونح
بوان ، أما جاك فولستاف الحبيب ، جاك فولستاف الرقيق ،
جاك فولستاف الصادق ، جاك فولستاف النبيل ، جاك
فولستاف الذى يقطر نبلا وجسارة كما أعرفه ، جاك
فولستاف العجوز ؛ فلا تبعده عنى يا مولاي ، أبقه فى
صحبة هارى ابنتك ،

٥٢٥

ولا تفرق بينه وبين صحبه هارى ، إنك إن تنح جاك
البلدين ، فكأنما نحييت الدنيا جميعاً .

الأمير : لأفعلن ذلك (يدخل باردولف وهو يعلو)

٥٣٠ باردولف : يا مولاي . . يا مولاي . . إن المأمور بالباب ومعه رجال
الشرطة .

فولستاف : إليك عنا أيها الشقى ، أتمم الرواية ، فإن لدى الكثير
مما أود أن أقوله دفاعاً عن فولستاف . (تدخل صاحبة الحان)

صاحبة الحان : يا لله يا سيدى اللورد ، يا سيدى اللورد .

٥٣٥ الأمير : ويحك ما هذه الضجة ؟ وما هذا الاهتمام بأمر تافه ؟
ماذا حدث ؟

صاحبة الحان : إن المأمور ورجال شرطته كلهم بالباب ، لقد جاءوا
ليفتشوا الحانة . أأسمح لهم بالدخول .

فولستاف : أسمع ما يقولون يا هال ؟ أشهد أنك أصيل أصالة
الجنه الذهبي وأنت ستبرهن على صدقك وأصالتك عند
التجربة ، وستثبت أنك لست عملة زائفة : فأصالة
الدينار تظهر من حكه لا من ملاحه نقشه إنك لن
تعبث بي ولن تغرى بي رئيس الشرطة لأنك أصيل ،
وإن لم يدل مظهرك على مخبرك .

٥٤١

الأمير : وأنت أصيل في الجبن ولا يد للغريزة في ذلك .
فولستاف : أنا أنكر القضية الكبرى في قياسك . إن أنت منعت
المأمور من الدخول فيها، أما إن أنت لم تمنعه فمره يدخل .
ولتحل لعنة السماء على تربيتي إن كنت جباناً أصيلاً
أو خفت الموت . سأفاد يا سيدى في العربة إلى المشنقة
بشجاعة كغيرى من الناس ، وإني لأمل أن يعين ثقلى حبل
المشنقة على الإسراع في خنق كبقية الناس .

٥٤٨

الأمير : أسرع وأخف نفسك وراء الأستار ولينصرف الآخرون .
والآن أيها السادة فلنبدو في وجوه صادقة وضائر
خالصة .

فولستاف : لقد كانت لي الخصلتان ، ولكن زمنهما ولى وصدقهما
عفت عليه الأيام ، ولذلك لا بد لي أن أخنق .

٥٥٢

(يخنق فولستاف)

الأمير : أدع المأمور (يخرج الجميع عدا الأمير وبيتو ويدخل المأمور معه
الحمال) ، والآن يا سيدى المأمور ماذا تريد منى .
المأمور : أستميحك العفو أولاً يا مولاي ، وأقول لك إن صيحات
النجدة

تابعت بعض الناس إلى هذا البيت .

الأمير : وأى ناس هؤلاء ؟

المأمور : أحدهم رجل معروف يا مولاي الكريم
تم عليه بدانته وسمته .

سمين كالزبد : ٥٦٠ الحمال

الأمير : أؤكد لك أن هذا الرجل ليس موجوداً هنا ،

لقد كلفته أنا نفسى بعمل فى هذه اللحظة ،

وأقطع لك على نفسى وعداً أيها المأمور

أن أرسله إليك غداً مساءً فى وقت العشاء .

ليجيبك أو يجيب أى إنسان آخر

٥٦٥

عن أى اتهام يوجه إليه ،

فدعنى بعد ذلك ، أرجوك أن تغادر هذا البيت .

المأمور : سأفعل يا مولاي ، غير أن هناك سيدين

٥٧٠

قد فقدوا فى هذه السرقة ثلاثمائة مارك .

قد يكون هذا ، فإذا ثبت أنه سرق هذين السيدين ،

فسيلقى حسابه على ذلك ، ومع السلامة .

- المأمور : طاب ليلك يا سيدى اللورد النبيل .
 الأمير : أخرى أن تقول طاب صباحك أليس كذلك ؟
 المأمور : بلى . . هذا صحيح يا سيدى اللورد ، فالساعة على
 ما أظن هي الثانية صباحاً .
 (يخرج المأمور والحمال)

- الأمير : (يزيح الستار) هذا الوغد المشعم أشهر من كنيسة
 ٥٧٦ القديس بولس اذهب وناده إلى هنا يا بوان .
 بوان : (يزيح الستار) فولستاف ، ويحك ! إنه غارق فى النوم
 خلف الستر يغط كالحصان .
 الأمير : اسمعوا شخير ، إنه يتنفس بصعوبة ، ويجر أنفاسه
 جراً ، فتش جيوبه يا بوان (يفتش جيوبه فيعثر على بعض
 الأوراق) ماذا وجدت يا بوان ؟
 ٥٨٢ :

- بوان : لا شيء إلا بضعة أوراق يا مولاي .
 الأمير : هيا نرى ما تكون هذه الأوراق اقرأ ما بها .
 بوان : (يقرأ) واحد ديك بنس ٢ شلن ٢ ، صلصة ٤ بنسات ،
 نبيذ ٢ جالون ٨ بنسات و ٥ شلنات ، واحد أنشوجة ونبيذ
 بعد العشاء ٦ بنس و ٢ شلن ، واحد خبز نصف بنس .
 ٥٩١ الأمير : يا للشيطان خبز بنصف بنس فقط

لكل هذه الكمية الهائلة من النيذ ؟ أما ما بقي غير ذلك
 فاحتفظ به جميعاً في خفية سرّاً بيني وبينك لنقرأه في
 فرصة أوسع ، وذرفولستاف ينم حتى الصباح ، أما أنا
 فسأبكر إلى القصر ولنستعد جميعاً لخوض الحروب ،
 فلا بد أن نسهم فيها وسيكون لك فيها مكان مرموق
 وسأخص هذا الشقي البدن بقيادة فرقة من المشاة ،
 وإن كنت أعلم أن حتفه رهن بمسيرة بضعة خطوات ،
 سترد النقود لأصحابها مع الفوائد ، وافني في الصباح في
 وقت مناسب ، أما الآن فأنعم صباحاً يا بوان .

٥٩٥

٦٠١

: نعمت صباحاً يا سيدى اللورد الطيب .

بوان

(يخرجان)

الفصل الثالث

المنظر الأول

بلاد الغال . حجرة في بيت جلنداور . يدخل هوتسبر وورستر ولورد
مورتيمر وأوين جلنداور ، يحملون أوراقاً)

مورتيمر : هذه الوعود جميلة ، وهؤلاء الأعوان موثوق بهم ،
وهذه البداية التي نستهل بها عملنا تبشر بنجاح الآمال .

هوتسبر : يا لورد مورتيمر ويا ابن عمي جلنداور
ألا تجلسان ؟

وأنت أيها العم ورستر أعزني أذنك ،
لقد نسيت هذه الخريطة الملعونة .

جلنداور : لا لم تنسها ،

فهذه هي ، اجلس يا ابن العم برسي ، واجلس يا ابن
العم الطيب هوتسبر ،

أجل هوتسبر ، فهذا الاسم يتحدث عنك دائماً لانكستر
فيريد وجهه من الغضب وتتصاعد حسراته

متمنياً أن تصعد روحك إلى السماء . (يجلسون) ١٠

هوتسبر : ومتمنياً أن تذهب روحك إلى الجحيم كلما سمع اسمك

یا اویں جلنداور تلھٹ بہ الألسنة .

جلنداور : لست ألوہ علی ذلک ، فی یوم تعمیدی

امتألت صفحة السماء بالأجرام النارية

والشهب الملتہبة . فی یوم میلادی

۱۵

اهتز هبکل الأرض ومادت أقطارها

كما ترتعد فرائص الجبان .

ہوتسبر : ہکذا کان لابد أن تفعل فی مثل هذا الفصل من السنة

حتى ولو كانت قطرة أمک ہی التي وضعت صغارها

ولم تولد أنت .

۲۰

جلنداور : أنا أقول إن الأرض اهتزت ساعة ولدت .

ہوتسبر : وأنا أقول إن الأرض لم یدر بخلدها ما دار بخلدی

إذا كنت تظن أنها اهتزت خشية منك .

جلندوار : لقد التہبت صفحة السماء کلها بالذیران وزلزلت الأرض

۲۵ ہوتسبر : إذن لقد زلزلت الأرض لأنها رأأت السماء تلتهب بالنیران

لا خشية ولا فرعاً من تعمیدک .

إن الطبیعة المضطربة كثيراً ما تشور ثورتها

فتخرج أنفالمها فی انفجارات عجيبة ،

هذه الأرض المكنظة كثيراً ما تصاب بتقلصات تضيق

بها وتغضبها

نتيجة لانحباس رياح هوج في جوفها ،
هذه الرياح الهوج في محاولتها الانطلاق والتحرر من
هذا المحبس

ترلز جوانب الأرض الهائجة
وتقلب عاليها سافلها
لقد كانت أمتنا الأرض في يوم مولدك تشكو مثل هذا
الاضطراب ،
ومن ثم زلزلت أركانها من هذا الألم الدفين .

٣٥ جلتاور : يا ابن العم ،

أنا لا أحتمل هذه الاعتراضات من كثيرين من الرجال
ولكني أستأذنك في أن أقول لك مرة أخرى إن وجه السماء
في يوم مولدي

قد امتلأت صفحته بالأجرام النارية
وفرت العنزات من الجبال فزعاً ،
وارتدت قطعان الماشية إلى الحقول المرتفعة وهي تنغو ثغاء
عالياً وقد أحيط بها من الدهشة .

هذه الإرهاصات قد دمغني بالعبرية ،
وكذلك نمت على كل الأطوار حيائي
وأثبتت أنني لست في ثب غمار الناس .

أين يعيش في هذه الأرض التي يحيط بها البحر الضارب
بأمواجه الصاخبة شواطئ إنجلترا وإسكتلندا والغال ؟
أين يعيش ذلك الذي يستطيع أن يدعو تلميذه أو
أو يدعى أني تتلمذت عليه ؟

٤

هاتوا لي ابن أنثى
يستطيع أن يبرني أو يشق غباري في مثابري على دراسة
فنون السحر المتعبة
أو يقدر على مجاراتي في تجاربي واختباراتي الجريئة .

٥٠ هوتبر : ما من مخلوق على الأرض فيما أظن يستطيع أن يلغو
لغوك ،

سأذهب للعشاء . (يقوم)

موتير : رفقا يا ابن العم برسي ، فإن كلامك هذا سيثير جنونه .
جلنداور : إن في طوق أن أدعو الأرواح من الأعماق السحيقة .
هوتبر : وكذلك أفعل أنا . . بل وكذلك كل إنسان يستطيع
دعوتها ،

٥٥

ولكن هل تستجيب لك وتخرج إليك حين تدعوها ؟

جلنداور : إن في طوق يا ابن العم أن أعلمك
كيف تتحكم في الشيطان .

هوتسبر : وأنا في طوقى يا ابن العم أن أعلمك كيف تخزى
الشيطان بقول الحق .

قل الحق يا ابن العم واخز الشيطان ،
وإذا كان لك من السلطان ما تستطيع به أن تدعو
الشيطان ، فأت به إلى هنا . ٦٠
وأقسم لك أن لى من السلطان ما أستطيع به أن أخزيه
في مكانى هذا .

اسمع يا ابن العم ، قل الحق دائماً ما عشت واخز الشيطان .
مورتيير : هيا . . هيا . . واخلكم من هذا الحديث الذى لا يحدى .
جلنداور : ثلاث مرات تحدثانى هيرى بولنبروك وهاجم قوائى .
وثلاث مرات رددته على أعقابه خائباً . ٦٥

وأرجعته بلا خفين مقطوع الأوصال
من هول العواصف ، من شواطئ نهر الوالى^(١) ووادى
السفرن^(٢) العميق .

هوتسبر : رددته على أعقابه حافياً بلا خفين وفى جو عاصف
مطير أيضاً ؟

فكيف بحق الشيطان استطاع أن ينجو من الحمى ؟
جلنداور : تعالوا هنا . . هذه هى الخريطة . . فهل نقتسم هذه

٧٠ الأرض التي هي ملك لنا بحق الوراثة الشرعية طبقاً للترتيبات التي اتفقنا عليها فيما بيننا نحن الثلاثة ؟

موريسر : (تبسط الخريطة على المنضدة) إن الأسقف قد قسمها إلى ثلاثة أجزاء محددة متساوية إلى أبعد مدى ، فإنجلترا من الترن١١) والسفرن إلى هذه النقطة الموضحة على الخريطة من الجنوب والشرق ستكون من نصيبي ، وكل ما إلى الغرب من أرض الغال فيما وراء نهر السفرن وكل الأراضي الحصبة الواقعة في هذه الحدود ستكون من نصيب أوين جلندور ، أما أنت يا ابن العم العزيز

فلك كل ما بقي إلى الشمال فيما وراء نهر ترنت . وقد تم وضع مشروع هذا التقسيم بالاتفاق فيما بيننا نحن الثلاثة ،

٨٠ وحالما يتم إعداد صور ثلاث منه نوقعها ونبصمها بأختامنا ، لإقرار لما فيها ، ويأخذ كل منا صورته ، ونرجو أن يتم الأمر هذه الليلة ،

٨٥ وغداً نرحل أنا وأنت يا ابن العم برسي ، ومعنا اللورد الطيب ووستر ونترجه للقاء والدك والقوات الإسكتلندية

فى شروزبرى كما حددوا موعدهم معنا .
 أما أبى جلندور فإنه لم يتم أهبته بعد ،
 وما أظننا سنكون فى حاجة إلى عونه فى هذين الأسبوعين .
 وخلال هذه الفترة تستطيع أنت أن تجمع
 صفوف أعوانك وأصدقائك وجيرانك .

٩٠

جلندور : سألقى بكم أيها السادة فى زمن أقصر من هذه المهلة ،
 وفى حمايتى ستحضر زوجاتكم
 اللاتى يجب أن تفارقوهن دون وداع .
 وإلا انهمرت العبرات

٩٥

عند الفراق بينكم وبين زوجاتكم .
 هوتبر : يخيل إلى أن حصتى من هذا التقسيم
 التى تبدأ من هنا عند شمال بورتون^(١) لا تتساوى مع
 نصيبكما .

انظرا إلى هذا النهر كيف ينثنى ويتلوى فى حصتى
 ويحرمنى من خير أراضى .

إنه ينبع داخل أراضى كأنه نصف قمر ويقتطع من
 أراضى قطعة ضخمة ،

١٠٠

لأقيم سداً فى عرض هذا النهر عند هذا المنحنى

ولأحولن مجرى ترنت ، هذا النهر الفضى السلسال
 إلى مجرى جديد آية في السواء والاعتدال
 بحيث لا ينشئ في أرضى هذه الثنية العميقة
 التى تحرمنى من الوادى الخصب في هذا المكان . ١٠٥
 جلنداور : بحيث لا ينشئ ؟ لابد أن ينشئ . فيجب أن ينشئ ،
 ألا ترى أنه ينشئ ؟

مورتيمر : أجل هو ينشئ ،
 ولكن انظر كيف يخطط مجراه
 ويمجرى بنفس الطريقة في الجانب الآخر .
 وبذلك يقطع من الجانب المقابل
 بقدر ما يقطع منك على الضفة الأخرى
 : أجل هذا صحيح ولكن بنفقات قليلة يمكن قطع النهر هنا
 وعندئذ يسترجع الجانب الشمالى هذا الرأس من أراضيهِ
 ويعود النهر للاستواء والاعتدال في مجراه .

مورتيمر : سأقطع النهر عند هذا الجانب فهذا لا يكلف إلا
 نفقات قليلة ولأحولنه على هذا الوضع . ١١٥

جلنداور : أما أنا فلن أسمح بتحويله .

هوتسبر : ألن تسمح بتحويله ؟

جلنداور : لا لن أسمح ولن تحوله أنت .

- هوتسبر : ومن هذا الذى يستطيع أن يقول لى لا ؟
 جلنداور : سأقولها أنا .
 ١٢٠ هوتسبر : أرجو أن تقولها بلغة لا أفهمها ، قلها بالغالية إذن .
 جلنداور : إني أتكلم الإنجليزية يا سيدى اللورد كما تتكلمها أنت ،

وقد ربيت فى البلاط الإنجليزى ،
 وهناك وأنا فى سن الشباب
 نظمت عدة أغنيات إنجليزية جميلة ولحنها على العود
 مما زاد الكلمات جمالا وأضفى عليها حسنا ورقة ،
 وتلك مزىة لم نعرفها لك يا سيدى .
 هوتسبر : رويدك ،
 فأنا جده مسرور من كل قلبى لهذا .
 فالأشرف لى أن أكون قطيطة تموء
 من أن أكون نظاماً من هؤلاء الذين ينظمون الأغاني
 ويتعشرون من بيعها وغنائها
 ١٢٠
 والأهون على نفسى أن أستمع إلى حاملات الشموع
 النحاسية وهى تنقلب على الأرض وتدوى دويًا
 أو إلى العجلات الجافة وهى تحتك فى محاورها
 حكماً تضرس له الأسنان

من أن أستمع إلى الشعر المتصنع ،
فهو أشبه بضربات حوافر الخيل المتقطعة التي تصدر
عن حصان أجهد فوق طاقته

١٣٥

جلنداور : هون على نفسك فستنال بغيتك وتحول مجرى نهر ترنت .
هوتسبر : لست أهتم بهذا قلامة ظفر ، وإني لعلّي استعداد أن أنزل
للصديق الصديق عن ثلاثة أمثال هذه الأرض بلا تردد ،
ولكن إذا بلغ الأمر حد المساومة
فاعلم أني لا أفرط في فقير ولا قطمير .

١٤٠

هل كتبت العقود وأعدت للتوقيع ؟ وهل يسمح لنا
بالانصراف ؟

جلنداور : إن القمر وضاء جميل وباستطاعتكم أن تسافروا في
الليل

وسأتعجل مسجل العقود

على حين تفضون إلى زوجاتكم بأمر سفركم العاجل
وإني لأخشى أن يصيب ابنتي مس من الجنون
فهى مشغوفة بزوجها مورتيمر . (يخرج)

١٤٥

مورتيمر : تباً لك يا ابن العم برسى ، كيف جرؤت على أن تعترض
أبى وتغضبه .

هوتسبر : لم أكن خيراً في هذا ، فهو يستثير غضبي في بعض الأحيان .

حين يحدثني عن الجحر والنملة ،

أو عن العراف مارلين وتنبؤاته ،

وعن التنين والسمكة التي بلا زعانف ،

وعن السبع الطائر المقصوص الجناح . والغراب المنتوف ،

وعن الأسد النائم والقطعة المنتصبية ،

والكثير من أمثال ذلك من الروايات المختلفة المضطربة

التي تخرج الإنسان عن وعيه وتشككه في إيمانه .

وسأحدثك عما فعله ،

لقد استبقاني ليلة أمس تسع ساعات أو تزيد

وهو يعدد لي أسماء الجن والشياطين

الذين يعملون تحت إمرته ويستخدمهم أعواناً له

وما التفت إلى كلمة مما يقول

وإن واليته بعبارات الاستحسان من أمثال زه ، وهلم ،

وأواه . .

إنه ملل مسم كجواد مجهد أو زوجة وقاح .

إنه أسوأ من بيت معباً بالدخان ، والأكرم لي أن أعيش

حياتي

في طاحونة كالفقراء أقتات بالخبز والثوم

من أن أعيش معه منعماً أتغذى بالفطائر الحلوة

تحت سقف بيت صيفي جميل في أى مكان في العالم
المسيحي ليصب في أذني هذه الترهات .

١٦٥ مونتير : الحق إنه سيد مفضل

واسع الاطلاع موفور للقراءة ،
جاذق في الفنون للسحرية ، والأعاجيب الخارقة ،
مقدام كالأسد ،
في تواضع عجيب ، وسعة وغزارة كأنه كنوز جزائر
الهند ،

١٦٠ بودى أن أقول لك يا ابن العم
إنه يسرف في احترامك والصبر على مسلكك معه
ويكبح جماح نفسه ويمسكها على غير طبيعتها ،
عندما يعن لك أن تعارض هواه ،
أقول لك الحق إنه يكف نفسه ، بل أؤكد لك أنه
لم يخلق بعد

١٦٥ ذلك الذى يستطيع أن يتحداه كما فعلت
دون أن يتعرض للخطر أو يتجرع اللوم والتقريع .
ولذلك أتوسل إليك أن لا تلجأ إلى هذا الصنيع مراراً
وتكراراً .

دوست : في الحق يا سيدى اللورد أنك تستحق اللوم لإصرارك

عامداً على استشارته ،

فأنت منذ جئت إلى هنا ، لم تترك فرصة

إلا انتهزتها لإخراجه عن صبره .

ومن واجبك يا سيدى اللورد أن تروض نفسك على

إصلاح هذا العيب .

١٨٠

فقد يكشف هذا التحدى في بعض الأحيان عن العظمة

والشجاعة وعراقة الأصل .

وهذا غاية ما ينالك بسببه من فضل ،

إلا أنه في غالب الأحيان يتم من موجدة عنيفة ،

وسوء في الخلق ، وعوز في ضبط النفس ،

ويكشف عن الكبرياء ، والتعالى ، والغطرسة ، والازدراء

بالناس ،

١٨٥

وأقل هذه الخصال إذا لازمت الرجل الشريف النبيل

صرفت عنه القلوب وخلفت وراءها لطخة

تشوه جمال غيرها من الصفات

فتصبح غير خليقة بالثناء .

: حسناً لقد تهذبت ، وأسأل الله أن يكون سلوككم

هوتسبر

الطيب خير معين لكم وواق في ميدان القتال

١٩٠

وهاهن أولاء زوجاتنا قادمات فلنودعهن ونرحل .

(يمود جلندور ومعه السيدات)

موتيسر : هذا هو المشكل المحير الذى أضيع به ،

فزوجتى لا تتكلم الإنجليزية . وأنا لا أتكلم الغالية .

جلنداور : إن ابنتى تبكى وتقول إنها لن تصبر على فراقك ،
ولذلك فهى ستجند نفسها أيضاً وتذهب إلى ميدان القتال .

١٩٥

موتيسر : قل لها يا أبى الكريم إنها ستلحق بنا

هى وعمتى برسى سريعاً فى حمايتك .

(جلندور يتحدث إليها بالغالية وهى تجيبه بهذه اللفظ)

جلنداور : إنها مستيثة فى هذه المسألة ، إنها امرأة عنيدة صلبة
الرأى ، لا يجدى معها أى إقناع ولا تردها حجة إلى صوابها (تتكلم السيدة بالغالية)

٢٠٠

موتيسر : إنى أفهمك من نظراتك .

وإن لهذه الدموع الجميلة الغالية

اللى تنساب من هذه العيون المتفتحة لغة أحذقها جيداً ،
ولولا العار لأجبتك بلغة مثلها . .

(تتحدث السيدة مرة ثانية بالغالية)

٢٠٥ : إنى أفهم قبيلاتك وأنت تفهمين قبلاى ،

لأننا نتخاطب بلغة الحواس لا بلغة العقل ، نتخاطب بعواطفنا لا بالستنا .

ولن أكون متغيباً بلا إذن يا حبيبتي حتى أتعلم لغتك ،
 فإن لسانك يضفي حلاوة على اللغة الغالية
 ويحيلها حلوة الوقع كالأغاني السامية الأسلوب ،
 ترددها ملكة جميلة في خيلة صيف ،
 وتوقعها على أنغام العود الساحرة .

٢١٠

جلنداور : حنانيك . إنك إن تذب هيأماً تزدد هي جنوناً بك .
 (تعاود السيدة الكلام بالغالية)

مورتيير : أواه . . لأنني الجهل مجسماً في هذا .
 جلنداور : إنها تطلب إليك أن ترقد على الكلاء الأخضر اليناع ،
 وأن تضع رأسك في حجرها
 لتغني لك الأغنية التي تحبها ،

٢١٥

حتى تتوج إله النوم فوق جفنيك ، وتعقد سلطان
 الكرى على عينيك ،

وتسحر حواسك بأنغامها ،
 حتى تستكين نفسك وتهدأ هدأة بين النوم واليقظة .
 أشبه بساعة الغسق
 قبل أن تطلع الشمس
 في مركبتها الذهبية من ناحية الشرق .

مورتيير : من كل قلبي سأجلس وأستمع إليها وهي تغني لي ،

وأظن اتفاقنا ينتهى إعداده فى هذه الفترة ويكون معداً
للتوقيع .

(مجلس مورتير هو وزوجه)

٢٢٥ جلتادور : افعل هذا

واعلم أن هؤلاء الموسيقيين الذين سيعزفون لك أنغامهم
معلقون فى الجو على مبعدة ألف فرسخ من هذا المكان
ولكنهم لن يلبثوا أن يبحثوا إلى هنا فاجلس واستمع .

٢٢٨

مورتير : تعالى يا كيت . . تعالى فأنت تحذقين الرقاد ، تعالى
سريعاً سريعاً ، لأسند رأسى إلى حجرك .

٢٣٢ السيدة برسى : إليك عنى أيها الأوزة المدعورة .

(يسكها من معصمها وهى تقاومه ثم يجلسان وقد وضع رأسه فى حجرها)
(تنزف الموسيقى) .

هوتسبر : لقد أدركت الآن أن الشيطان يفهم الغالية ،

ولا عجب إذا كان قد فهمها فهو عنيد كثير الأهواء ،
وبحق العذراء إنه موسيقى ماهر .

٢٣٥

السيدة برسى : وإذن فأنت لاتصلح لشيء إلا أن تكون موسيقياً لأنك

أنت الآخر تتحكم فىك الأهواء ويسيطر عليك العناد .
نم فى هدوء أيها اللص واستمع للسيدة وهى تغنى لك
بالغالية .

٢٤١ هوتسبر : لوددت أن أسمع السيدة كلبتي وهى تنبح كالذئب
الإيرلندى .

السيدة برسى : أبودك أن يكسر رأسك ؟

هوتسبر : لا .

السيدة برسى : إذن فالزم الصمت .

٢٤٥ هوتسبر : لا ، لن ألزم الصمت . . فالصمت من عيوب النساء .

السيدة برسى : والآن ليكن الله فى عونك .

هوتسبر : تخليت عنى لفراش السيدة الغالية .

السيدة برسى : ما هذا الذى تقول ؟

هوتسبر : صه ، إنها تغنى

(عندئذ تغنى السيدة أغنية غالية) تعالى يا كيت

٢٥٠ : فسأسمع أغنيتك أنت أيضاً .

السيدة برسى : لن تسمع أغنيتي وأيم الحق .

هوتسبر : وأيم الحق هذه ليست لاثقة بك ، إنك تحلفين

يا عزيزتى كما تحلف زوجة صانع الحلوى والفظائر ،

وتقولين كما تقول « لست أنت وأيم الحق » و « وفيه

ما عشت » و « كما يوجهنى الله » و « واضحاً وضوح

النهار » .

إنك تستعملين عبارات التأكيد الهزيلة بدلا من الأقسام
المغلظة .

كأنك يا كيت زوج جندي أو مواطن عادي لم تبرح
قدماها حدود فتربري^(١) .

أقسمي يا كيت قسم السادة ، فأنت سيدة نبيلة ،
أقسمي قسماً مغلظاً يملأ الفم ، ودعك من هذه العبارات
الهزيلة « وأيم الحق » وأمثالها

وهي التي يتفوه بها السوق من آكلي الخبز الحشن
والسيدات المتأنقات في خير ملابهن يوم الأحد ،
دعك من هذا وهيا غن لي .

٢٦٠

السيدة بري : لن أغنى .

هوتسبر : إذن فأقرب وسيلة تعينك على الغناء أن تتحولى إلى حائكة
ملابس أو إلى مدربة لطيور العندليب . فالحائكة

والمدربة كلتاهما مشهورتان بالغناء .

٢٦٥

على أية حال إذا انتهى إعداد الوثائق فسأرحل في خلال
هاتين الساعتين ولك أن تدخل حينما تشائين .
(يخرج)

جلنداور : أقبل . . أقبل يا لورد مورتيمر إنك مغرق في البطء

إغراق لورد برسي في العجلة ، فهو يتحرق شوقاً إلى
الرحيل . .

٢٧٠ بهذا قد تمت صيغة اتفاقنا . ولم يبق إلا أن نختمها
ثم نسارع إلى صهوات جيانا .

مورتيير : وأنا موافق من كل قلبي .

(يخرجون)

المنظر الثاني

لندن - سجرة في القصر - يدخل الملك وأمير الغال وآخرون

الملك : أيها اللوردات أستمحكم المَعذرة أن تدعونا وحدنا
إذ لا بد لي أن أتحدث مع أمير الغال حديثاً خاصاً على
انفراد ،
ولكن أرجو أن تبقوا على مقربة منا فسنحتاج إليكم في
الحال .

(ينسحب اللوردات) لست أدري أهي مشيئة الله أن
تجوزي الأمور على هذا النهج

تكفيراً للذنب جنيته فيما سلف
فقضى في غيبة الذي لا يرد

أن يخرج من صلي

من ينتقم لخطيئتي ويكون على سوط عذاب ،

بلى . . إن سلوكك في أطوار حياتك

يحملني على الاعتقاد بأن العناية قد اختارتك

تكون آلة الانتقام الرهيب والسيف المسلط على رأسي

للتكفير عن آثامي ، وإلا فقل لي :

بأى شئ آخر يمكن أن تفسر هذه الشهوات الجاحجة
الدنيئة

وهذه الزوات والفعال الرخيصة المبتذلة السوقية
وهذا الانغماس فى الملذات النابية والصحبة الجافية ،
كتلك التى تسوقك وتجري فى عروقك
وكيف يمكن أن تمشى هذه السقطات مع عراقة
الأصل ،
وكيف يمكن أن يساير قلبك النبيل هذه المبادل إلا إذا
كان هو نفسه مبتذلا ساقطاً .

١٥

: وددت لو أذنت لى يا مولاي

الأمير

أن أستطيع تبرئة نفسى من جميع هذه الذنوب بحجج
واضحة

وضوح إيمانى بطهارتى

٢٠

من كل ما ألصق بى من اتهامات ،
ولانى لأتمس أن تتاح لى الفرصة لدحض هذه التهم
عساى وأنا أفند مزاعم الذين يتصيدون الثناء عن طريق
الدس الرخيص
وللقاء التهم فى آذان العظماء التى لا غنى لها عن أن
تسمع لأمثال هؤلاء المروجين لقالة السوء ،

عساي وأنا أننى هذه الأكاذيب التى رمونى بها زوراً وبهتاناً
أن أجد السبيل إلى عفوك عن طيشى ونزوى
وأن أتلمس الصفح عن نزوات الشباب
حين أقر بها مستغفراً فى خضوع بين يديك .

الملك

: غفر الله لك ذنوبك ، ولكن دعنى أتأمل يا هارى
ميولك واتجاهاتك التى تجرى
على وتيرة تخالف ما جرى عليه كل أسلافك ،
لقد فقدت عضويتك فى المجلس الخاص نتيجة لخشونتك
وغلظتك

وحل مكانك فيه أخوك الأصغر ،
وأصبحت بعيداً عن قلوب رجال الحاشية
غريباً عند الأمراء جميعاً من آل بيتى ،
وتحطمت كل الآمال والأمانى المعقودة على شبابك ،
وباتت كل نفس
تتوقع سقوطك ،

ولو أنى أسرفت على نفسى فى الظهور بين الناس ،
وتبدلت فى عيونهم
وأصبحت ممججاً هيناً عند السوقة ،
لظل العامة الذين أيدونى وأعانونى على تسلّم العرش

على ولائهم وإخلاصهم لصاحب العرش
ولتركوني مشرداً خافت الذكر في منفاى
عاطلاً من كل ميزة خلواً من كل أمل
وباحتباسى عن الناس إلا فيما ندر

٤٥

لم أكن أتحرك إلا كما يتحرك الشهاب فأكون موضع
الدهشة

حتى لكأنى بالآباء يتحدثون عنى إلى أبنائهم وهم يشيرون
« هذا هو »

وكأنى بغيرهم يتساءل « أين بولنبروك وأى الناس هو ؟ »
وفى غمرة هذا الإعجاب استلبت من السماء حفاظها
ولطفها واتخذتهما لنفسى

٥٠

ولبست للناس لباس الرقة والتواضع
حتى ملكت ولاء قلوبهم

وانتزعت الهتاف والدعاء الحار من أفواههم
حتى فى حضرة مليكهم المتوج ،

وبذلك استطعت أن أحفظ لنفسى بالحدة والحيوية ،

٥٥

فكان وجودى بينهم أشبه مايكون بالرداء الكنسى المقدس
يشير إعجاب الناس ودهشتهم ، وإن كان لا يرى أبداً ،
وبذلك كان ملكى يبدو للناس غيباً ، ولكنه محبباً مغرباً !

يطلع عليهم كأنه العيد ، وبهذه الندرة اكتسب ما يحوطه
من هذه القداسة .

أما الملك الخفيف الطائش الذي كان يخف
إلى مصاحبة المهرجين وأصحاب النكتة الجوفاء والمتطرفين
من ذوى الخيال الجامح
الذين سرعان ما يشتعل ذكاؤهم وسرعان ما يخبو ،
فقد دنس ملكه بهذه المخالطة .

وشاب جلالة بامتزاجه بهؤلاء الأوشاب والأدعياء
وامتن اسمه العظيم حين جعله مضغة في أفواههم الساخرة
اللعانة .

وأساء إلى سمعته حين اندمج في هذا الوسط المبتذل
وشارك في الضحك والسخرية من الصغار الذين تجرؤوا
على لدعه بنكاتهم ،
وتظرف مع كل فتي هيا له غروره أن يجاريه وأن يسخر
منه وأن يجعله هدفاً لنكاته اللاذعة .
وبذلك غدا رفيقاً لأبناء الطريق . وأسلم نفسه لصحبة
العامية .

فلما التهمت عيون الناس كل يوم
امتلاؤا من العسل حتى أتخموا به وبدأوا يمجونه بل

٦٠

٦٥

٧٠

ويكرهون طعمه الخلو .

ذلك أن تجاوز الحد القليل ولو قليلا ينطوى على سرف
أى سرف ،

ومن ثم فإنه حين تهيأت المناسبات ليطلع على الناس
استقبل الناس مطالعه بفتور وفي غير شوق

كماستقبلهم للوقوف في شهر يونيو ،

فهم يسمعون دون أن يأبهوا له ،

وينظرونه ولكن بعيون كالت وسمت من طول النظر إليه ،
بعيون حسيرة الطرف

لا تتطلع بشغف إلى جلاله كما تتطلع إلى جلال الشمس
وعظمتها

حين تشرق على قلة في أعين المعجبين المحبين ،

بل استقبلوه بعيون غافية مسيلة الجفون

وغضوا الطرف عنه

كما يفعل المتغطسون مع خصوصهم ،

فهم قد غصوا بحياه وشبعوا من مشاهدته وازوروا
برؤيته .

وأنت يا هارى مثلك الآن كمثل

فقدت ميزة الإمارة وأضعت اعتبارك بوصفك من النبلاء

باندماجك في هذه الصبغة الماجنة .

فما من عين لم تمل النظر إليك لطول عهدها بك ،
اللهم إلا عيني اللتين تتطلعان بشغف إلى التريد من
مرآك ،

عيني اللتين تصنعان الآن ما لا أود أن تصنعهما
فتغرقان في بلعة من الدموع والحنان الأهوج .

٩٠

الأمير : لأرجعن إلى نفسي ، وأكونن لها أكثر مما تود يا مولاي
المعظم ،

فيما يجد من أيام .

الملك : إنك ما زلت حتى الساعة في نظر العالم كله

على نفس الحال التي كان عليها ريتشارد

يوم وطئت قدماي أرض رافنسبرج قادماً من فرنسا .

٩٥

وأما موقف برسي الآن فهو أشبه بموقفي حينئذ ،
وأقسم لك بهذا الصوبلجان . بل وفوق ذلك بنفسى التي

بين جنبي

إن لبرسي أهلية للتاج بما له من كفاية ووزن

تفوق أهليتك التي لا تستند إلا على حقلك فيه بالوراثة

بوصفك ولياً للعهد وخليفة للملك .

وبرسى هذا الذى لا حق له فى العرش ولا شبهة فى حق ،
يملاأ أرض المملكة بالجيوش المسلحة
ويجاهر بالعصيان للملك ويقذف بنفسه بين فكى الأسد ،
برسى هذا الذى لا يكبرك سنًا

يتصلر لقيادة لوردات مسنين وأساقفة محترمين

ليخوض بهم معارك دامية وحروب طاحنة

وما أكثر ما أحرز من أمجاد لن تموت

ضد دوجلاس الأشهر ، دوجلاس الذى سمى فعاله

وبرزت شجاعته فى المعارك ومجدت اسمه الحروب

حتى بزت شهرته الجميع وانتزع الصدارة من جميع

المحاربين

وأصبحت كفايته العسكرية تاجاً على جبينه لا يتسامى

إليه أحد

فى جميع الممالك التى تدين بدين المسيح .

هو تسبر هذا الشبيه بمارس إله الحرب فى ثوب الطفولة ،

هذا المحارب الوليد ،

هزم دوجلاس العظيم

وأذله فأسره مرة

وأطلق سراحه واتخذ صديقاً له

حتى لا يدع سبيلا لتحدينا والنيل منا إلا وجهه
وحتى لا يدع وسيلة إلا استخدمها ليعكر سلامتنا ويهز
أمن عرشنا .

وإلا فهاذا تفسر هذا ، برسى ونورمبرلند
وسماحة أسقف يورك ودوجلاس ومورتيمر
يجتمعون ويوقعون اتفاقاً فيما بينهم يألفون فيه ضدنا ثم
يهبون نائرين علينا .

١٢٠

ولكن لم أفض إليك بكل هذه الأنباء ؟ ،
ولم أحدثك يا هارى عن أعدائى
وأنت أقر بهم إلى وألصقهم بى وأشدّهم خطراً على !
إنك أدنى إلى أن تحاربى مأجوراً فى صفوف برسى
وبدافع من خوف التابع لمبتوعه
أو استجابة لهوى وضيع ، أو نزوة جامحة .
إنك أذن إلى أن تناصبى العداء

١٢٥

وأن تتبع برسى وتجربى فى ركابه وتنحى خشية من غضبه
وأن تكشف إلى أى درك قد هوى بك الانحلال .

١٢٨

: لا تظنن بى الظنون يا أبى فلن تعجبنى كذلك أبداً ،

الأمير

عفا الله عن الذين باعدوا

١٣٠

بينى وبين حسن رأيك فى يا مولاي ،

ولكنى سأكفر عن كل هذا وستكون كفارتى على رأس
برسى نفسه ،
وسأجد فى نفسى الشجاعة فى يوم أغر يكتمل لى فيه
النصر

أن أقول لك هاأنذا ابنك بحق ،

وسيكون ذلك اليوم حين أخرج من المعمة وقد لبست
ثوباً من الدماء
وتلطح وجهى بالدم حتى ليبدو كأنما أخفيتته تحت قناع
دموى ،

١٣٥

فإذا ما غسلته وذهبت بآثاره ذهب معه كل عارى
وسيكون هذا اليوم عندما يشرق على الكون ،
هو اليوم الذى يتاح فيه لهارى ابنك الذى لا يؤبه به
أن يلتقى بهذا المحظوظ سليل المجد والشرف

١٤٠

هذا المقدام هوتسبر الفارس الذى يحظى بالشاء من
جميع الأفواه ،

ولوددت أن تتكاثر الأمجاد التى تتوج هامته ،
وأن تتضاعف الأوزار التى تجللى رأسى بالعار ،
ذلك أن الساعة لابد

آتية ، التى سأحمل فيها هذا الفتى الشمالى

١٤٥

على أن يستبدل أوزارى بصنائه الحبيدة وفعاله المشرفة.

وفى الحق يا مولاي ما برمى إلا عميلي ووسيطي
يجمع لحسابي جملة كل الحصال الحبيدة ثم يشتريها لي
وسأدعوه لأحاسبه على ما جمع لي حساباً عسيراً ،
وسأحملة على أن يسلم لي كل أمجاده

١٥٠

بحيث لا أَدع له أدنى مكربة خلعتها عليه الزمان في
أيام عمره ،
فإن لم يسلم لي طائعاً مختاراً انتزعت حسابي عنده من
أعماق قلبه

وإني لأقطع هنا أمامك على نفسي وعداً بذلك ،
وأقسم بالله أن أنفذ هذا القسم إن أذن لي ربي ،
وإني لأتوسل إليك يا مولاي أن تأسو

١٥٥

جراحاً طال بها الزمن وسببها الطيش والحماسة ،
وَألا تأسها فسيمحو الموت آثارها ويكفيني آلامها ،
وأقسم لك يا مولاي إنني على استعداد أن أموت مائة
ألف مئة
ولا أفرط في حرف من هذا القسم أو أحنث في أي
جزء منه

: ليموتن مائة ألف ناطر نتيجة لهذا

١٦٠ الملك

وليكونن لك قيادة وسلطان وتنفوزن بتقنتنا ورضانا الملكي.

(يدخل بلنت) مرحباً ما وراءك أى بلنت الطيب ،

فلما أرى نظراتك تم عن اللهفة والاستعجال .

يلنت : إن الأمر الذى جئت أتحدث فيه يستدعى العجلة ويوحى بالمبادرة

فقد بعث لورد مورتيمر الإسكتلندى برسالة

يقول فيها إن دوجلاس اجتمع بالثوار الإنجليز

١٦٥

فى الحادى عشر من هذا الشهر فى شروزبرى

وأَنهم يؤلفون جيشاً قوياً رهيباً ،

إذا رعبت العهود التى قطعت

كما هو الحال فى كل مؤامرة خثونة بالبلاد .

: سيرحل إيرل وستمورلند اليوم

١٧٠ الملك

ومعه ابنى جون لورد لانكستر

فقد مضى خمسة أيام على استطلاعنا هذا النبأ

أما أنت يا هارى فسيرحل يوم الأربعاء ،

وتتبعك نحن يوم الخميس حيث نلتقى جميعاً فى بريدج

نورث ،

وستخترق أنت يا هارى جولست شير

وعلى هذا الحساب إذا قدرنا الظروف التى نواجهها حتى

قدرها ،

ووزنا ما علينا أن نعمله بميزان دقيق فإن الأمر يقتضينا
حوالى إثني عشر يوماً

من الآن لتجتمع قواتنا الرئيسية فى بريدج نورث
إن أيدينا ممثلة بالعمل ، فلنسارع لإنجازه
فالميزة التى تكتسب بالمبادرة لا يفلتها إلا التوانى .

(يخرجون)

المنظر الثالث

حجرة في حانة رأس الخلوف في ليست تشيب والوقت في الصباح الباكر
يدخل فولستاف وقد تدلت هراوة من منطقتة ومعه باردولف

فولستاف : ألا ترى يا باردولف أني قد هزلت هزلا شديداً منذ
واقعتنا الأخيرة ؟ ألا ترى أن وزني يتناقص وأن عودي
يذوى . . إن جلدي يترهل على بدني كما يترهل الثوب
الفضفاض على بدن المرأة العجوز لقد ذبل عودي
كما يتغضن قشر التفاح المخزون ، واهها لا بد لي أن
أتوب وأنيب وأن أسارع إلى الاستغفار ولما نزل في بقية
من قوة .

إن روجي ستنهار سريعاً ، ومن ثم لن تكون لي قدرة
على الاستغفار ويلى ألا أكن قد نسيت هيكل الكنيسة
من الداخل فما أنا إلا تافه حقير كحبة من فلفل أو
كحصان الحمار . . هيكل الكنيسة ! إنى لم أعد
أعرفه ، ويل لي من الصحبة ، صحبة السوء لقد كان
دماري على يدها .

١٤ باردولف : يا سير جون ، لا أظن أنك مستعيش طويلا من شدة

اضطراب الفكر .

فلستاف

هذا ما أخشاه ، فهيا عني لحناً ماجناً وأدخل السرور
على قلبي فقد كنت نزاعاً إلى الفضيلة بالقدر الذي
ينبغي للسادة ، أى بالقدر المناسب منها ، أقل من
اللعنات ، ولا أسرف في المقامرة ، فلا أتجاوز في لعب
الزرد سبع مرات في الأسبوع . ولا أتردد على بيوت
الحنأ أكثر من مرة في كل ربع ساعة ، وأديت الديون
التي اقترضتها ثلاث مرات أو أربع ، وكنت أعيش
حياة رغبة منظمة مرتبة .

٢٠

أما الآن فإني أحيا حياة من القوضى والعبث حياة
مسرقة بلا نظام ولا حدود .

باردولف

: إنك مسرف في البدانة يا سير جون ، ولا بد أن نطاولك
قد تجاوز كل الحدود . إن محيطك تجاوز كل الحدود
المعقولة يا سير جون .

٢٦

فلستاف : غير وجهك إن استطعت ، أغير أنا مجرى حياتي .
إنك منا كسفينة القيادة التي تحمل مصباحها في دفتها ،
وإن كنت أنت تحمل مصباحك في أنفك ، إنك
فارس المصباح المشتعل .

٢٠

باردولف : يا سير جون ، وجهي لا يؤذيكَ في شيء ما .

فولستاف : كلا ، وأقسم على ذلك ، بل أنى لأستفيد منه كما يستفيد
كثير من الناس من الخاتم المحلى بمجموعة ميت أو بأية
صورة تذكر بالموت. فإمن مرة رأيت وجهك إلا وتذكرت
نار الجحيم

٣٥

وتذكرت الغنى^(١) الذى كان يرفل فى الأرجوان ، أنه
يحترق هنا أمامى فى نار وجهك بأثوابه الأرجوانية ويصلى
سعيماً . ولو أنك كنت خيراً على أى وجه ، ميلاً إلى
الفضيلة ، لأقسمت بوجهك على هذا النحو : « قسماً
بهذه النار المندرة التى هى من ملائكة الله » ولكنك
تبذلت كلية ، وغرقت فى الشر إلى آذانك
ولولا ما بقى من النور فى وجهك الكثيب صرت حقاً من
أبناء الظلمة الخالكة . ولئن لم آخذك يوم عدوت مصعداً
فى جاذزهيل فى ظلمة الليل لتسأك بمحصانى ، على أنك
لسان خداع من ألسنة لهب الأرض ، أو كرة ملتهبة
من البارود ، فلا بقيت للنمود قيمة ،
أواه إنك موكب الشعلة المنتصرة التى لا تخبو نيرانها أبداً
وإنك برق الصاروخ الخالد ، لقد وفرت على آلافاً

٤٠

٤٥

(١) الإشارة هنا إلى قصة الغنى وإعازر الفقير فى إصحيل لوقا (١٦ : ١٩ - ٣١) .

كنت أصرفها في شراء المشاعل والمواقد وأنا أسير معك في الليل ما بين حانة وحانة ، ولكنني التبيذ الذي تجرعه على حسابي كان يكفيني لأشترى بشمعه ثقاباً ومشاغل من عند أغلى الوقادين في أوروبا ، وبأرخص مما صرفت عليك . لقد داومت طوال هذه الفترة التي صعبتني فيها والتي أربت على إثنين وثلاثين سنة ، على أن أطفىء ظمأ هذا الحيوان الناري الذي تنطوي عليه جوانحك حتى لا تعذبو نار وجهك ، وعند الله لي هذا الجزاء .

٥٠

٥٥

باردولف : تباً لك . . الا تنتهى عن هذا الحديث . وددت أن أدفن نار وجهي في أحشائك !
فولستاف : فليتداركني الله برحمته إذن . فتلك حارقة القلب والفؤاد لا محالة .

(تدخل صاحبة الحانة)

٦١ فولستاف : هيه أيتها المرأة الشكسة ، ألم تتحققى بعد من نسل جيبى .
صاحبة الحانة : وى يا سير جون ، ماذا تظن بنا يا سير جون ! أوتظن أنى آوى لصوصاً في فتدق ؟ لقد بحثت وسألت ، وكذلك بحث زوجي وسأل ، سألنا الجميع رجلاً رجلاً ، وولداً ولداً ، وخادماً خادماً ،

٦٥

ولم يسبق أن ضاع من بيتى شيء أبداً حتى ولا قلامة
ظفر .

فولستاف : إنك تكذبين يا امرأة ، فقد نحل رأس باردولف
وفقد كثيراً من الشعر وأقسم لك أن جيبى نسل .
٧٠ إليك عني . تولى فما أنت إلا امرأة .

صاحبة الحان . من تعنى بهذا ؟ أنا ؟ لا . لا لست أنا التي يقال لها
ذلك وأتحدثك . وبحق نور الله ما من أحد قبلك تجرأ
على أن يخاطبني بهذه اللهجة في بيتى .
فولستاف : إليك عني ، فأنا أعرف الناس بك .

صاحبة الحان . لا يا سير جون ، إنك لا تعرفني . ولكني أنا التي
أعرفك حق المعرفة يا سير جون . إنك مدين لي ببعض
٧٥ المال .

ولذلك تتصيد أسباباً للخلاف لتخدعني عن حق وتسلبني
إياه . لقد اشترت لك إثني عشر قميصاً كسوت بها
ظهرك العاري .

فولستاف . لقد كانت من العبك الحشن الرخيص الذي تصنع منه
الغرابيل وقد أعطيتها لزوجات الحيازين فصنعوا منها
غرابيلهم .
٨١

صاحبة الحان : بل كانت من أفخر الأتيال الناعمة التي يساوى المتر

منها ثمانية شلنات بحق حرمي كأمراة شريفة ، وفوق
هذا فأنت ملين لى يا سير جون بثمان طعامك وشرابك
فيما بين الوجبات ، هذا عدا المال الذى اقترضته نقداً ،
فقد أخذت منى أربعة وعشرين جنيهاً .

٨٦

فولستاف : إن عليه قسما منها ، فدعيه يوفى بحصته .

(مشيرا إلى بارد ولف)

صاحبة الحان : هو وأسفاه رجل فقير لا يملك شيئا .

فولستاف : هيه يا امرأة ، أتحدثين عن فقره ؟ انظري إلى وجهي ،
ثم قولي لى ما هو الغنى إن لم يكن هذا الوجه ؟ دعهم
يسكون لك

هذا الأنف الأحمر ، وهذا الخد النارى دراهم ودنانير ،
أما أنا فلن أدفع دافقا واحداً ، ويك . . أتريدين أن
تضحكى منى وأن تعاملينى كغير أباه وتسلبينى مالى ؟
وى . . أليس من حق أن أستمتع بحظي من الراحة فى
بيتي ، إلا أن تنشل جيوبى ؟ لقد فقدت خاتم الشعار
الذى ورثته عن جدى ، إنه يساوى أربعين ماركا .

٩٥

صاحبة الحان : يا إلهي ، لطالما سمعت الأمير يقول له مراراً وتكراراً إنه
خاتم من نحاس .

فولستاف : إن الأمير رغد ولص حقير يسرق أكواب الشراب من

الحانات ، عليه اللعنة لو كان هنا الآن لضربته بهراوقى
هذه كما يضرب الكلب لو أنه تجاسر وقال لى ذلك

١٠١

(يدخل الأمير وبوان وهما يمشيان فى صف متفرد فيلقاهما فولستاف وهو يلعب على
عصاه كما يلعب بالمزمار فيسرون مما حول الغرفة وينضم باردولف إلى جانب بوان)

فولستاف : هيه يا فتى ، هل تهب الريح من هذا الباب حقاً ؟
أيجب أن نسير جميعاً إلى الميدان ؟
باردولف : أجل يجب أن نسير اثنين اثنين كما يسير المساجين
مصطفدين إلى سجن نيوجيت^(١) .

١٠٥ صاحبة الحان : مولاي ، وددت أن تستمع إلى .
الأمير : ماذا تقولين يا سيده كويكلى ؟ كيف حال زوجك ؟
إلى أحبه حباً جماً فهو رجل أمين .
صاحبة الحان : سيدى الكريم ، أرجو أن تسمعنى .
١١٠ فولستاف : أرجوك أن تدعها وشأنها وأن تستمع إلى .
الأمير : ماذا تقول يا جاك ؟

فولستاف : لقد استغرقت فى النوم هنا فى الليلة الماضية وراء السر ،
ونشلت جيوبي وأنا نائم ، لقد تحول هذا البيت إلى دار
من دور العاهرات وأصبحوا ينشلون البليوب .

١١٥ الأمير : وماذا فقدت يا جاك ؟

فولستاف : وهل تصدقني يا هال إن قلت لك ؟ لقد فقدت ثلاثة سكوك أو أربعة كل منها بأربعين جنيهاً ، وفقدت خاتم الشعار الخاص بجدي .

الأمير : شيء تافه وأمر حقير لا يساوي أكثر من ثمانية بنسات .

١٢٠ صاحبة الحان : هذا عين ما قلته له يا مولاي ،

قلت له إن هذا ما سمعت عظيمتك تقوله فانبرى يا سيدى ينعتك بأخس النعوت بلسان لعان ذئب كالعهد به وزاد أنه سيضر بك بهراوته .

الأمير : ما أظنه قال ذلك .

١٢٦ صاحبة الحان : لأعلمن وفائى وصدق وأنوثتى إن لم يكن قال ذلك .

فولستاف : ليس فيك من الوفاء أكثر مما فى امرأة عاهر ، وليس فيك من الصدق أكثر مما فى ثعلب انكشف لمطارديه ، أما الأنوثة فليس لك منها نصيب إلا بقدر ما للعجوز ماريان المسترجلة من نصيب فى رقة زوجة نائب العمدة وأناقتها ، اذهبي يا هذه ، إليك عنى أيها الشيء الحقير .

١٣١

صاحبة الحان : ماذا تقول ؟ شيء . . أى شيء أنا ؟

فولستاف : أى شيء أنت ؟ . . كما خلقتك الله وصورك ، شيئاً تحمدين الله عليه .

١٣٥ صاحبة الحان : لست كما خلقنى الله مكروهاً يحمد الله عليه ، وددت لو عرفت حقيقتى ، فأنا زوجة رجل أمين ، وأنت لست إذا ما خلّيت لقب السير جانباً ، إلا وغداً إذ تدعونى كذلك .

١٤٠ فولستاف : ولست ، إذا خلّيت أنوثتك جانباً ، إلا بهيمة متوحشة ولاغير ذلك .

صاحبة الحان : قل أية بهيمة يا هذا . . يا هذا الوغد .

فولستاف : أية بهيمة ؟ . . ثعلب الماء !

الأمير : ثعلب الماء يا سير جون ؟ : ولماذا ثعلب الماء ؟

١٤٥ فولستاف : إنه ليس سمكة ولا حيواناً ، وما يدرى أحد أين يلتمس .

صاحبة الحان : لشد ما تظلمنى أيها الوغد حين تقول ذلك : فأنت أو أى إنسان آخر تستطيع أن تعرف كيف تستفيد منى ، وأين تلتمس منفعتى .

١٥٠ الأمير : لقد قلت حقاً يا سيلقى المضيفة ، ولقد أساء إليك إساءة شديدة .

صاحبة الحان : وكذلك أساء إليك يا سيدى ، فقد ادعى بالأمس أنك مدين له بألف جنيه .

الأمير : اسمع يا هذا ، هل أنا مدين لك بألف جنيه ؟

١٥٥ فولستاف : بألف جنيه يا هال ؟ بل بمليون يا هال ، فحبك يعدل

مليوناً من الجنيهات ، وأنت مدين لى بحبى إياك
صاحبة الحان : بل وأكثر من ذلك يا سيدى إنه دعاك بالوعد ، وقال
إنه سيفضرك بهراوته

١٦٠ فولستاف : هل قلت ذلك يا باردولف ؟

باردولف : أجل قلته حقاً يا سير جيون .

فولستاف : أجل قلت سأضربه إن قال إن خاتمى من النحاس .

١٦٤ الأمير : وهأنذا أقول إنه من النحاس . فهل تجرؤ الآن أن

تكون عند كلمتك

فولستاف : يا هال ، إنك تعرف أننى أجرؤ أن أكون عند كلمتى

لو كنت رجلاً عادياً ، ولكنك أمير يا هال ، وأنا

أخشاك كما أخشى زئير جراء الأسد .

الأمير : ولماذا لا تقل كزئير الأسد ؟

فولستاف : إن الملك وحده هو الذى يخشى كما يخشى الأسد ،

أو نظن أنى أخافك كما أخاف أباك ؟

١٧٠

ويلى ، إننى إن فعلت ، لدعوت الله أن يقصم ظهري

ويعرضنى للهوان .

الأمير : أواه ، لو قصم الله ظهرك لتدلت أوعاك عند ركبتك ،

ولكن اسمع يا فقى ، لست أرى فى صدرك مكاناً

لإخلاص أو صدق أو أمانة ، فهو ممتلىء بالمصارين

والأمعاء ، كيف تسول لك نفسك أن تهتم امرأة
أمنية بنشل جيبوك ؟ كيف يحدث هذا أيها الوضع
الوقح المتجبر أيها الوغد المنتفخ المزبد ؟ قسما لو أن
جيبوك انطوت على شيء غير حسابات الحانات
ومواعيد بيوت الدعارة والحناء ، وبما يساوى بنسأ واحداً
من السكر الأحمر الخشن ليطيل أنفاسك ،

قسما لو أنها عمرت بشيء غير هذه الحفارات فما أنا
إلا شقي ، ولكنك مع ذلك تكابر في الادعاء ولا تسلم
بالخطأ في هدوء ، ألا تخجل من نفسك ؟

فولتاف : اسمع يا هال ، ألا تعرف أن آدم هبط من الجنة ببراءة
وسداجة؟ فماذا يستطيع فلستاف أن يدفع عن نفسه في
أيام الشر والشقوة هذه ؟ أنت تراني أكثر الناس اكتنازاً
للحم ، ولهذا فأنا أشدهم ضعفاً . إنك تعترف إذن أنك
نشلت جيبوني .

الأمير : هذا يبدو من سياق القصة .

فولتاف : أيتها المضيفة لقد عفوت عنك . هيا اذهبي وأعدى لي
الإفطار وداومي على حب زوجك والعطف على خدمك
ولا كرام نزلاتك وستجدينني دائماً على استعداد للاقتناع
بأية حجة صادقة ، وهأنت ذى ترينني دائماً صبوراً

وديعاً مستعداً لحسم كل خلاف . أجل
وأرجوك أن تذهبي الآن . (تخرج صاحبة الحان)
والآن يا هال خبرني أنباء القصر وحدثني عما تم في أمر
السرقه وكيف كفرت عنها ؟

١٩٥

: أواه يا ثوري الحبيب ، لا بد لي أن أظل ملاكك
الحارس على الدوام ، لقد رددنا المال لأصحابه .

الأمير

٢٠٠

: واهماً.. لست أحب إعادة المال لأصحابه ، فهو جهل مزدوج .
: لقد تصافيت مع أبي وأستطيع أن أفعل كل ما أريد .
: إذن فامرق لي الخزائن العامة ، وليكن ذلك أول عمل
لك ، وأقبل عليه من فورك ثابت الجنان دون استغفار أو ندم .

فولستاف

٢٠٤ الأمير

فولستاف

: افعل ذلك يا مولاي .

باردولف

: لقد احتفظت لك يا بجاك برئاسة فرقة من جنود المشاة .

٢٠ الأمير

: وجدت لو كانت فرقة من الفرسان ، وأين لي برجل

فولستاف

يحسن السرقه ؟ ومن لي بلص أنيق في الثانية والعشرين
من عمره أو حول ذلك ؟ إنني رجل قد أسىء تسليحه
ولم أداه بالعدة الكافية بشكل يبعث على الخجل
والزراية ، ومهما يكن من شيء فالحمد لله ، فهؤلاء
الثوار لم يسيثوا إلى أحد اللهم إلا أهل الفضل المخلصين ،
ومن ثم فأننا أثني عليهم وأشكرهم .

٢١٥

الأمير : باردولف .

باردولف : نعم يا مولاي .

الأمير : اذهب واحمل هذا الخطاب إلى جون لورد لانكستر ،

إلى أخى جون ، وهذا الخطاب إلى لورد وستورلند .

(يخرج باردولف) أما أنت يا بوان فهيا إلى جوادك . .

إلى جوادك . . أسرع لإذاً يا بوان فإن أمامى أنا وأنت

أن نقطع على ظهور الجياد ثلاثين ميلاً قبل أن يحين

وقت العشاء (يخرج بوان) أما أنت يا جاك فلا تقى غداً

فى الساعة الثانية بعد الظهر فى ساحة المحكمة ،

وهناك ستعرف فرقتك ، وستلقى المال اللازم

٢٢٥

والأوامر الضرورية لإعدادها ، وتزويدها بالعدة

والسلاح ،

إن الفتنة تضطرم فى البلاد ، وبرسى يقف على رأسها ،

ولابد لأحدنا أن ينزل عن مكانه . فلما أن نهوى نحن

أو يهوا هم .

(يخرج وراء باردولف وبوان)

فولستاف : يا لها من كلمات حكيمة ، ويا له من عالم مقدام .

أيها المضيفة على الإفطار ، هيا أسرعى ،

وددت لو استطعت أن آخذ هذه الحانة معى ، وأن

تظل إلى جانبي وأنا أدق طبول المعركة .

٢٣٠

(يخرج)

الفصل الرابع المنظر الأول

خيمة في مسكر الثوار بالقرب من شروزبرى . يدخل هوتسبر
وورستر ودجلاس

هوتسبر : مرحى مرحى . . لقد أحسنت القول ، أيها الإسكتلندى
النبيل ،
ولو أن قول الحق في هذا الزمان العجيب لم يؤخذ على أنه
رياء ونفاق ،
لقلت إن مثل هذا الشرف حقيق أن يناله دوجلاس
حتى لا يدانيه في علو مجده ورفعة شأنه
جندى من أبناء هذا الجيل في أى بقعة من بقاع
الأرض ،

ولكنى وأيم الحق لا أمارى
ولكنى أقطع ألسنة المرائين حين أقول
إن محبتك في قلبي تملأ فراغاً لم يتناول إليه إنسان غيرك ،
ولك أن تلزمنى بقولي ؛ اختبرنى يا سيدى اللورد .

١٠ دجلاس : إنك ملك الشرف

وما من رجل بلغت قوته ما بلغت يحيا على ظهر هذه الأرض

إلا أتحداه .

مؤيد : افعل ما ترى وهو خير .

(يدخل رسول وبعه رسائل) ، ما هذه الرسائل التي تحملها . (إل دوغلاس) لا أملك إلا أن أشكرك .

الرسول : هذه رسائل من أبيك .

١٥ مؤيد : أرسائل منه ؟ ولم لم يأت بنفسه ؟

الرسول : إنه لا يستطيع القدوم يا مولاي ، فهو مريض جداً .

مؤيد : يا لعنة ، كيف استطاع أن يجد فراغاً ليرض

في مثل هذا الوقت الضيق العصيب ؟ ! ومنذا الذي

سيقود جنده ؟

وتحت إمرة من سيقدمون ؟

٢٠ الرسول : إن رسائله تحمل تعليماته ، ولم يحملني إياها يا سيدي .

وريدر : أرجو أن تخبرني ، هل هو ملازم لفراشه ؟

الرسول : أجل يا مولاي ، إنه ملازم لفراشه منذ أربعة أيام قبل

رحيلي ،

وحين أزمعت السفر

كان أطباؤه يخشون عليه .

٢٥ ورسر : وددت لو أن أمور الزمان استقامت وصحت من علاتها
قبل أن تتنابه العلة ويقعده المرض .

فصحته لم تكن في وقت من الأوقات أئمن منها الآن .
: أيمرض الآن ؟ أيذبل عوده الآن ؟ هوتسر

إن مرضه هذا قد أصاب خطتنا في الصميم .
إن هذه العلة تكاد تعدينا هنا ، تكاد تصيب معسكرنا
كله .

إنه يقول في خطابه إن داء دفيناً قد أصابه
وإن أصدقاءه ليس من السهل
أن يتجمعوا سريعاً تلبية لنداء نائب عنه ،
ولأنه لا يعتقد أيضاً أن من الملائم أن يضع مثل هذه
المهمة الخطيرة الشديدة الأهمية
على عاتق أى شخص لا يهيم الأمر مباشرة ، بل على
عاتقه هو نفسه .

وعلى الرغم من ذلك فهو يبذل لنا النصيحة
قائلاً إننا نستطيع أن نسير بقواتنا المشتركة الصغيرة قدماً
لنرى كيف تتصرف الحظوظ معنا ،
ولأنه وهو يكتب إلينا رسالته يرى أنه لم يعد مجال
للتكوص أو التردد

إذ أن الملك قد أحاط علماً

٤٠

بجميع نوايانا وأهدافنا ، فهاذا تقولون في هذا ؟

: إن مرض أبيك جرح دام أصابنا في الصميم ، وسيهوقنا .

ورستر

: إنه جرح نغار ، أنه ساق بترت ،

هوتسبر

ومع ذلك وأيم الحق هي لم تبتر ، إن عجزه الحال عن
مساعدتنا

يبدو لنا أكثر خطورة وأعظم أثراً مما ستكشفه لنا الحوادث
عاجلاً .

٤٥

أكان من الحصافة والحكمة أن نخاطر بكل مواردنا
وقواتنا مرة واحدة ،

وأن نخضع لرمية واحدة من رميات الحظ ؟

أمن الحكمة وبعد النظر أن نضع مثل هذا الأمل
الغالي تحت رحمة المصادفات الدقيقة في ساعة مشكوك
فيها ؟

لا لم يكن هذا خيراً ، إننا إذا غامرنا بكل ما نملك مرة
واحدة

٥٠

استنفذنا بذلك كل آمالنا ، وكل حظوظنا

ورأينا أننا بذلنا آخر ما نستطيع ، وكشفنا عن أبعد غور
فيها

ووصلنا إلى الغاية التي ليس بعدها غاية في جهودنا
وأمالنا .

دجلاس

: هذا وأيم الحق صدق كله ،

وسيدفعنا الأمل في مزيد من القوات تأتي لنجدتنا أن نبلى
بما في أيدينا بلاء حسناً

وأن نندفع بها بقوة في غير ما خوف ولا وجل
مطمئنين إلى ما سيأتينا من مدد منتظر ،
واثقين أن وراءنا ملجأً نأوى إليه عند الحاجة .

هوتسبر

: ملجأً نأوى إليه ، وحصناً نلوذ به
إذا بدا لنا أن الشيطان وسره الحظ
يتهددان قواتنا التي لم نجربها بعد .

٦٠ وستر

: وددت رغم كل ما قلت لو أن أباك كان معنا هنا يقف
إلى جانبتنا ،

فإن طبيعة مهمتنا ، وقوام مشروعنا
لا يحتملان انقساماً ، ولا يطيقان فرقة

فقد يظن بعض الناس ممن لم يقفوا على سر تخلفه
أنها الحكمة أو الولاء، أو مجرد عدم الرضا عن خططنا
وأساليبنا

٦٠

هي التي حجبت عنا ومنعته من القدوم إلينا ،

ولكم أن تتصوروا مبلغ ما يشيره مثل هذا الخيال من تردد
في قلوب العصبية الواجفة ،

ومبلغ ما يؤثر هذا في مجريات الأمور
بل مبلغ ما يشيره من الظنة والشك في نزاهة قصدنا
ونحن المهاجمين الذين وضعنا حياتنا وأموالنا رهناً لصدق
قضيتنا وإخلاص نيتنا كما ترون يجعل بنا أن نكون
بعيدين عن مواضع النقد الشديد

٧٠

وأن نسد كل ثغرة
يمكن أن تطل منها علينا عيون المتربصين
وفي الحق أن تخلف أهلك يكشف الستار
عن أشياء تبدو لعين الجاهل أنها تنم عن خوف من
ناحيتنا

ما كان ليدور بخلد أحد من قبل .

٧٥ هوسبر

: أنك تبالغ في التطير من غياب ألى ،
أما أنا فأفضل أن أستفيد من هذه الغيبة ،
فهى تضفى علينا سنى وسناء وتزيد سمعتنا قوة وعظمة ،
وتنعت مشروعتنا العظمى بالחסارة والإقدام أكثر مما لو
كان معنا

فسيظن الناس لا مشاحة

أننا إذا كنا قدرنا بغير عونه

أن نسفر عن العدا للملك وأن نهاجم مملكته ، فكيف
إذا كان معنا ؟

إننا بمساعدته سرف نقلبها رأساً على عقب .

ومع ذلك فقيم القلق ؟ إن كل شيء يجري على ما يرام
وما زلنا يبدأ واحدة .

دجلاس : ليس لكلمة الخوف ضريب يجري على الألسنة في
إسكتلندا ،

إن أحداً منا لا يعرف الخوف ، أقول هذا بوحى من
قلبي .

(يدخل الخيمة سير ريتشارد فرنون)

هوتسبر : مرحباً بك يا ابن العم فرنون ، مرحباً بك من كل قلبي .

فرنون : ادع ربك أن تكون أنبأى تستحق مثل هذا الترحيب
يا سيدى ،

إن إيرل وستمورلند ومعه سبعة آلاف من الرجال الأشداء
يبحثون الخطى نحونا يصاحبهم الأمير جون .

هوتسبر : لا ضير في هذا ، فهل من مزيد ؟

فرنون : وعلمت أكثر من ذلك

أن الملك نفسه بدأ بالتحرك إلى هنا
أو هو على وشك التحرك
ومعه جيش قوى قادر مزود بعدة القتال .

هوتسبر

: سيجد منا الترحيب أيضاً
وأين ابنه السريع العدو والفرار أمير الغال البوهيمي ؟
وأين رفاقه الذين اطرحوهموم الدنيا جانباً
وتركوها تسير كما يهرون ؟

٩٥

فرنون

: لقد لبسوا جميعاً علبهم وامتشقوا محسامهم
وغطوا رؤوسهم بخوذات محلاة بالريش وبدوا في مشيتهم
كأنهم قطع من النعام يسابق الريح
وقد دفعهم الريح أمامها وكأنهم سرب من النسور
طر ريشه وقد خرج من البحر
ينفض عن أجنحته الماء ويتأهب للطيران ، وهم يتألقون
في حلل ذهبية كأنهم تماثيل القديسين في الأعياد

١٠٠

وكلهم نشاط وحيوية كأنهم الربيع
وكلهم عظمة وجلال كأنهم الشمس في وسط الصيف ،
وكلهم شهوة إلى الحرب كأنهم المعز الفائرة ، وكلهم
جموح وثورة كأنهم الثيران الفتية ،
ولقد رأيت هارى الشاب وخودته على رأسه

ودروعه على فخذة

١٠٥

ينهض من الأرض فكأنما هو عطارد الجبح القدمين
يقفز إلى ظهر حصانه في سهولة ويسر
كأنما هو ملاك هبط من وسط السحاب فوق بيجاسوس ،
الحصان الجبح الجامح ليقوده ويوجهه ويدور به حيثما
يريد ،

١٠١٠

وليسحر العالم كله بفنون فرسيته النبيلة .

هوتسبر

: كفى . . كفى ، إن هذا الحديث أسوأ أثراً في مزاج
الإنسان من شمس مارس ،
وهذا المديح يزيد قشعريرة الحمى ، ذرهم يجثون ،
وسيجيثون مزدانين كعرائس الضحية والفداء ،
وسنقلهم قرباناً لآلهة الحرب الخائقة ذات العيون
النارية

١١٥

ليتهمهم أتون الحرب المستعرة الدامية ،

وسيجلس مارس إله الحرب وقد تمنطق بدروعه فوق
مذبحه

غارقاً في الدم حتى آذانه ،

إني لأنحرق شوقاً لسماعى أن هذه الجائزة الثمينة قد دنت
قطوفها ،

على أننا مع ذلك لسنا أصحابها ، هيا نجرب حصاني
ونختبره ،

هذا الحصان الذى سيحملنى كصاعقة
تخترق صدر أمير الغال ،
إن هارى هارى بالمرصاد ، ولا بد لهما أن يلتقيا وأن يلتحم
حصاناهما فى حمأة المعركة ،
ولن يترك أحدهما الآخر إلا جثة هامدة . .
أواه ليت جلندور يأتى !

: لا تزال عندى بقية من أنباء ،

فقد علمت فى وورستر وأنا أرتادها فى طريقى إليكم
أن جلندور لن يستطيع جمع قواته خلال هذه الأربعة
عشر يوماً .

: هذا أسوأ نبأ سمعته للآن .

: أجل وأيم الحق ، إن له وقعاً سيئاً مثبطاً .

: وكم يبلغ جيش الملك على أقصى تقدير ؟

: ثلاثين ألفاً .

: ليكونوا أربعين ألفاً !

وعلى الرغم من غيبة أبى وتخلف جلندور
فإن قواتنا كافية لهذا اليوم العظيم ،

هيا نأخذ أهبتنا سريعاً ونعد رجالنا ونزقب صفوفهم ،
 فإن القيامة قد قربت ، فإذا ما متنا جميعاً متنا راضين
 مغتبطين

١٣٥ دجلال : لا نتحدث عن الموت فإنني قد تحررت من خوف الموت
 ومن قبضته مدة هذه الأشهر الستة .
 (يسعون بالخروج من الخيمة)

المنظر الثاني

طريق عام بالقرب من كوفتري . يدخل فولستاف مرتدياً درعاً بلا أكمام
مبطناً بالجلد، وقد ربط بحزامه جراب بنلقية وهو يتحدث مع باردولف)

فولستاف : اذهب يا باردولف إلى كوفتري أولاً واملأ لي زجاجة
بالنيبذ وستسير جنودنا قدماً وسنباغ ساتون كولد فيلد
الليلة .

باردولف : هل ستعطيني نقوداً يا سيدي الضابط ؟

فولستاف ه : اصرف بحرية ، خذ ثمنها من المصروفات .

باردولف : إن ثمن هذه الزجاجة قد يبلغ عشرة شلنات .

فولستاف : وماذا لو بلغ ؟ خذه في مقابل أتعابك ، وإذا بلغ ثمنها

عشرين فخذها جميعاً وسأضمن قيمة النقود ،

ومر مساعدي بيتوأن يلقياني في طرف المدينة . ١٠

باردولف : سأفعل يا سيدي القائد ، وأستودعك الله (يخرج)

فولستاف : لكن لم أستشعر الحجل والعار من جنودي فما أنا إلا سمكة

مملحة هزيلة ، لقد أسأت استعمال أموال الملك المخصصة

لتجنيد الجنود لإساءة بالغة ، لقد أخذت نيفاً وثلثمائة جنيه

في مقابل مائة وخمسين جندياً ، ١٥

ولم أطلب للتجنيد إلا ذوى اليسار وأبناء الأعيان من
صغار الملاك . ولم أدع للجنديّة إلا العزّاب المتعاقدين
على الزواج من هؤلاء الذين أعلنت خطبتهم مرتين من
الرعايا الذين يؤثرون أن يستمعوا للشيطان على أن يستمعوا
لدق طبول الحرب ، والذين يخشون فرقة البندقية أكثر
مما تخشاهم الدجاجة ، وقد أصيبت ، أو البط البرى وقد
جرح . إننى لم أجد أحداً إلا هؤلاء المترفين الناعمين
الخائرين الذين تنطوى صدورهم على قلوب أصغر
حجماً من رؤوس الدبابيس ، وهؤلاء يدفعون البذل
مقابل إعفائهم من الخدمة ، وبذلك أصبح
جيشى الآن يتألف من المسنين وصف الضباط والملازمين
والمجندين ذوى الأجور العالية قايلين ، والعبيد المهلهلين
كأنهم لعازر الفقير الذى تحلى بصورته الستائر وهو
جالس إلى الأرض والكلاب النهمة تلعق قروحه ومن
لم يكونوا فى يوم ما جنوداً بل كانوا خونة مطرودين ،
أو أبناء أصغر من الأبناء البكر وآباؤهم هم أيضاً أصغر
من إخوانهم البكر ،

٢

٢٥

٣٠

أصفار اليدين لا مال ولا عقار يقيم أودهم أو خدم
حانات فروا من أصحابها ونقضوا عهدهم أو سقاء

عاطلين ، آفة عالم وادع خامل وسلام طويل رتيب .
لأنهم عشر مرات أشد هلهلة مزرية من لواء قديم لوحته
الشمس وهلهلته الأيام وسدت ثقبه بخرق متعددة
الألوان . هؤلاء وأمثالهم هم الذين يكونون جيشي وقد
جمعتهم من كل مكان لأحلهم محل المجندين الذين
دفعوا البدل النقدي لخدماتهم ،

٣٥

حتى لتظن أن جيشي يتألف من مائة وخمسين من
الفتيان المهلهلين ذوى الثياب البالية الذين أتلفوا أموالهم
وجاءوا لتوهم من العمل في حظائر الخنازير ومن أكل
النفايات والقشور ، وقد لقيتني في بعض الطريق ظريف
من ذوى الدعابة وقال لى : إنك جردت المشانق من

٤٠

زبائنها وجندت أجداث الموقى . وما وقعت العين
قط على أمثال هذه الأشباح الهزيلة وأقوالها صريحة إننى
لن أجتاز كوفنترى في صحبتهم . وليت الأمر اقتصر على
الهزال والبلى ، بل إن هؤلاء الأشقياء يسرون وقد
انفجرت سيقانهم كأنما قيدوا بسلاسل ولا عجب في
ذلك فقد تصيدت معظمهم من نزلاء السجون .

٤٥

وما من رداء يستر جسد أحدهم إلا أن يكون قميصاً
أو نصف قميص ، وحتى نصف القميص هذا

لا يتألف إلا من خرقتين شدت إحداهما إلى الأخرى
وألقيتا على الأكثاف كأنهما سترة شعار بلا أردان ،
أما القميص فالحق أقول إنه مسروق من صاحب الفندق
في سان البانز أو من حارس الفندق ذى الأنف المتورم
في دافترى ،

٥٠

ولكن هذا كله سيان فسيجدون في كل مكان قمصاناً
كافية يسرقونها من فوق السياج .
(يدخل من الخلف الأمير هنرى وستمورلند)

٥٤ الأمير : إليه أيها المتنفخ جاك ؟ .. إليه أيها الخشبة الضخمة ؟
فولستاف : وى يا هال . . إليه أيها الفتى الغرير ؟ يا للشيطان ،
ما الذى أبقاك فى وركشير حتى الآن . أسألك المغفرة
ج٥ يا سيدى اللورد الطيب وستمورلند ، لقد حسبك
يا سيدى فى شروزبرى منذ وقت طويل .

وستمورلند : فى الحق ، كان لابد أن أكون هناك قبل ذلك ، لقد
تجاوزت موعدى بكثير ، وكذلك تجاوزته أنت ولكن
جنودى بلغوا شروزبرى فعلا والمملك ، أؤكد لك ،
ينتظر مقدمنا جميعاً ، ولذلك يجب أن نسارع بالسفر
إلى هناك ، وأن نسير طول الليل .
فولستاف : لا عليك ، ولا تقلق من ناحيتى فأنا متحفز ومستعد

٦٥ : الأمير
للسفر طول الليل ، تحفز الهرة التي تتطلع لسرقة القشدة
: أعتقد أنك متحفز لسرقة القشدة حقاً ، فسرقاتك
قد جعلتاك رخواً كالأزبد ، ولكن خبرني يا بك ،
لمن هؤلاء الرجال الذين يتبعوننا .

فولستاف : إنهم رجالى يا هال ، رجالى .

٧٠ : الأمير
: ما رأيت فى حياتى أوعاداً فى حالة يرثى لها كهؤلاء .

فولستاف : نخل عنك ، لا عليك نهم طعمة سائغة للبارود ، ووقود
طيب لنيرانه . يملأون الحفر ، كما يملأها من هم خير
منهم ، صه يا رجل إنهم رجال قانون ، رجال قانون .

وستمورلد : هذا صحيح ، ولكنهم فيما أرى يا سير جون غاية فى الفقر
والإملاق مهزولين عراة مهلهلين .

٧٥

فولستاف : أما عن فقرهم ، فى الحق لست أدري من أين جاءوا
به ، أما عن هزاهم فأنا واثق من أنهم لم يأخذوه عنى .

الأمير : بلى ، وأقسم على ذلك ، إلا إذا كنت تسمى هذه الضلوع
اللحيمة الشحيمة التى يبلغ سمك ما فوقها من الشحم
ثلاث أصابع نحولة وهزالاً . ما علينا ، أسرع يا فتى
وحث الخطى فإن برسى الآن فى الميدان .

٨١

فولستاف : وى . . هل أقام الملك معسكراً ؟

وستورلند : أبجل ، لقد عسكر الملك يا سير ججون ، وأخشى أن يطول بنا المقام .

(يمشى مسرعا للإمام)

فولستاف : حسناً ،

لأنسب للمقاتلين الضعاف ذوى الشهية الطيبة للطعام
أن يصلوا بعد انتهاء القتال وقبل بدء الولاثم .
(يتبعه)

المنظر الثالث

ممسك الثوار بالقرب من شروزبرى . يدخل هوتسبر وورستر ،
ودجلاس وفرنون

- هوتسبر : لننازلنه الليلة .
ورستر : قد لا يكون هذا .
دجلاس : إنك بهذا تجعل له ميزة علينا .
فرنون : ولا قلامة ظفر .
هوتسبر : كيف تقول هذا ؟ ألا يتوقع مدداً وتعزيزاً لقواته ؟
فرنون : كالانا في هذا سواء .
هوتسبر : ولكن مدده مؤكد ، ومددنا موضع الشك .
هوتسبر : خذ بنصيحتي يا ابن العم الطيب ولا تحرك ساكناً
الليلة .
فرنون : لا تتحرك الليلة يا سيدى .
دجلاس : إنكما لا تصدران عن رأى وحسن المشورة ،
بل تنطتمان عن الحرف وخور القلب .
فرنون : لا تعرض بى يا دوجلاس وتسبى ، قسما بحياتى ،
وإنى لأضحى بحياتى لكى أبر بهذا القسم

إني إذا دعاني داعي الشرف كما يفهمه الرجال المحاربون
بحق ،

إن الخوف لا يعرف سبيله إلى قلبي
كما لا يعرف سبيله إلى قلبك أنت يا سيدي أو إلى
قلب أي إسكتلندي يعيش اليوم على ظهر هذه البسيطة ،
ولتعلمن نبأ ذلك غداً حين نخوض المعركة ،
وسترى أينما الخائف .

دجلاس : أجل غداً أو الليلة .

فرنون : قر عيننا .

١٥ هونسيبر : بل الليلة أقولها .

فرنون : رويداً ، رويداً . فقد لا يكون ذلك ، وإني لكثير

العجب

كيف وأنتم القواد العظام الذين حنكتهم التجارب
يند عنكم تقدير العقبات

التي تحول دون مسارعتنا إلى خوض غمار المعركة .

ففریق كبير من فرسان ابن العم فرنون لم تصل بعد ،

وفرسان عمك ورستر لم تصل إلا اليوم

ومن ثم فروحهم المعنوية العالية وحماسهم الشديدة قد

سكنتا ،

وشجاعهم صدئت من الرحلة المضنية ، ولا بد لجلائها
من الراحة
فما من حصان إلا ضعفت قواه ولم تعد له أكثر من
نصف صلاحية للقتال .

١٥ هوتبر : وفرسان العدو لا يختلفون عنا في ذلك ،

فكلها قد أنهكتها الرحلة وأضعفت روحها المعنوية
وأوهنتها .

على حين أن القسم الأكبر من خيالتنا قد تمتعت
بالراحة الكاملة .

ورتر : إن قوات الملاك تفوق قواتنا عدداً ،

فبالله عليك يا ابن العم ألا ما صبرت حتى تتجمع قواتنا
كلها .

(نافع البوق يدعو إلى مفاوضة بين المتحاربين . يتقدم سير ولتر بلنت)

٣٠ بلنت : جئتم أحمل عروضاً كريمة من الملك ،

سأقدمها لكم إن ضمنتم لي حسن الاستماع والاحترام .

هوتبر : مرحباً بك يا سير ولتر بلنت ، ولقد كنت أود أن

يجعلك الله

عضداً لنا في عزمنا هذا ، مشاركاً لنا رأينا فيه !

فبعضنا هنا يؤثرك بالحب ، وهذا البعض بالذات

يغبط علو مكانك ونبيل صفاتك وطهارة اسمك ،
ويأسو لأنك لست واحداً منا ، ولا عاملاً في جماعتنا ،
بل تقف مخاصماً لنا في موقف العدو .

بلنت

: حاشا لله ، أن أكون غير ذلك ،

ولامندوحة لى من أن أظل أبداً على موقفى ما دمت مصرين
على موقفكم هذا من الخروج على الملكية المقدسة ،
ما علينا من هذا ، ولأتحدث فى مهمتى . لقد أرسلنى

إليكم الملك

لأتعرف كنه شكواكم ، وأتلمس أسباب متاعبكم
التي من أجلها أثرت هذه الحصومة الجريئة

التي عكرتم بها صفو السلام والأمن فى البلاد وأشعثتم
فى صفوفها الطيبة

هذا الجحود المنكر . فإن يكن مرد ذلك إلى أن الملك

قد أغضى بطريقة ما عن ما لكم من فضائل طيبة

يقر بها ويعترف أنها متعددة كثيرة ،

فإنه يطالبكم أن تفصحوا عن هذه المظالم وتلك

الشكايات ، وهو مستعد من فوره

أن يحقق لكم ما ترغبون وأكثر مما ترغبون ،

وسيعفو عفواً تاماً عنكم

وعن جميع الذين تورطوا معكم بدافع من إغرائكم
وتحريضكم .

موتسبر

: إن الملك كريم ونحن أعرف به ،

فهو يعرف متى يعد ومتى يني بالوعد .

لقد قدمت له أنا وأبي وعمي

هذه الملكية التي ينعم بها ،

٥٥

قدمناها له حين لم يكن وراءه إلا حفنة من الرجال

لا يتجاوزون ستة وعشرين ،

وفي الوقت الذي لم يكن الرأي العام ليحفل به أو يقيم له

وزناً ،

قدمناها له حين كان مشرداً مسكيناً وضعيفاً لا يؤبه له ،

خارجاً على القانون منفيّاً يتلصص العودة خفية إلى

الوطن .

لقد استقبله أبي ورحب به عند الشاطئ ،

وحين سمعه يقسم ويقطع على نفسه العهود والمواثيق

أمام الله

٦٠

إنه ما جاء إلا ليستعيد مكانه بوصفه دوق لانكستر

ويطالب بحقه في ممتلكاته ويلتمس السلام والأمن ،

حين سمعه يقول ذلك مذرفاً دموع البراءة ومبدياً آيات
 الولاء والإخلاص ،
 أقسم أبي ذو القلب الحنون وبدافع من الشفقة التي
 حركتها دموعه ،
 أن نيزل له العون ؛ وقد كان ؛ فبررنا بقسمنا وحققنا له
 أمنيته أيضاً .

وعندئذ حين أدرك اللوردات والبارونات من سادة هذه
 البلاد

أن نورثمبرلاند مال إليه وعضده ،
 أقبل عليه الناس من جميع الطبقات غنيهم وفقيرهم
 رافعين قبعاتهم وانحنوا له إجلالاً واحتراماً ،
 وتدفق الناس للقائه في المدائن وانقروا ،
 واحتشدوا انتظاراً لمقدمه فوق القناطر ، ووقفوا صفوفاً
 متراصة وأفسحوا له طريقاً بينهم لير منه ،
 وأخذوا يضعون أمامه الهدايا ، ويقدمون بين يديه
 ولاءهم ،
 ويهبونه صغارهم ليعلموا في حاشيته رهائن لولائهم ،
 وأخذوا يتبعونه في كل مكان كظل له في جموع حاشدة
 فرحة مبتهجة به .

فلما بدأ يستشعر عظمته ويحس جلاله اندفع من فوره
يتسّم مكاناً أرفع مما ارتبط به مع أبي بقسمه ،
حين كان لا يعرف لنفسه عظمة ولا يحس مكانة ،
عندما نزل على الشاطئ الأجرد المنعزل عند رافنسبرج ،
وأخذ على نفسه ، والحق أقول عندئذ
أن يصلح بعض القوانين والأوامر القاسية
التي يئن من عبثها الشعب ،
واستنكر الفساد ومساوىء الحكم وبدأ وكأنه يبكي
مما قاسته بلاده من مظالم ،
وبهذا المظهر العطوف على أمانى الشعب وآماله وبهذا
التظاهر بالعدل والنصفة ،
استطاع أن يكسب القلوب وأن يتخذها مطية لتحقيق
أغراضه ،

وبدأ يتقدم خطوة إلى الأمام ،
فاجتث رؤوس كل أصفياء الملك الغائب
الذين تركهم وراءه هنا لينوبوا عنه ويقوموا مقامه مدة
غيابه

في الحرب الإيرلندية التي اشترك فيها بنفسه .

: فما جئت لأسمع هذا .

بلنت

: إذن فألى الموضوع ،

وبعد فترة قصيرة عزل الملك ،

وسرعان ما قضى على حياته ،

وفى أعقاب ذلك مباشرة أُرهِق البلاد كلها بالضرائب
وليزيد الأمر سوءاً عرض قريبه مارش للإذعان للأسر
والبقاء رهينة هناك دون أن يؤدى فديته ، فى بلاد الغال
ولو أن الأمور وضعت فى نصابها وأعطى كل ذى حق
حقه ،

لكان مارش هذا هو الملك بحق ،

وحاول بعد ذلك أن يجللى بالعار وأنا فى زهو انتصارانى
العظيمة ،

وأن يوقعنى فى حباله عن طريق جواسيسه الذين بثهم
على ،

ثم أخرج عمى من المجلس الخاص بالتهديد والوعيد ،

وأخرج أبى من القصر فى ثورة غضب ،

وهكذا أخذ يبحث فى المين تلو المين ، وينقض عهداً
فى إثر عهد ، ويرتكب الخطأ بعد الخطأ ،

حتى اضطررنا فى آخر الأمر أن نسلك هذا المسلك ،

وأن نجند هذا الجيش المسلح لنحمى أنفسنا منه ،

ثم نبحث في الوقت نفسه وندقق ونعيد النظر في استحقاقه

للتاج .

فقد بدا لنا أن الطرق الملتوية التي أوصلته للعرش دون

أن يكون وارثاً شرعياً له ، لا ينبغي أن تدوم طويلاً .

١٠٥

: هل أعود لأبلغ الملك هذا الرد ؟

بلنت

: ليس على هذا الوجه يا سير بلنت ، فستسحب برهة

هوتسبر

نتدبر. فيها العرض . .

عد إلى الملك واجعل لنا رهينة

نطمئن معها إلى أن هناك ضماناً في العودة سالمين ،

وغداً في الصباح الباكر سيغدو عمي

إلى الملك ويبلغه قرارنا ، فرداعاً .

: بودى لو قبلتم عفو الملك ومحبه .

بلنت

: قد يكون هذا ما سنفعله .

هوتسبر

: أدعو الله أن يوفقكم لفعله .

بلنت

(يخرجون)

المنظر الرابع

١ يورك - حجرة في قصر رئيس الأساقفة - يدخل رئيس أساقفة يورك
وسير ما يكل (

رئيس الأساقفة : أسرع يا سير مايكل الكريم واحمل هذا الخطاب
المختوم

على جناح السرعة إلى القائد العام ،
وهذا إلى ابن العم سكرووب ، والبقية إلى أصحابها الموجهة
إليهم ،
ولو أنك علمت قيمة هذه الخطابات وما تعنيه ،
لحشت الخطى وأسرعت في السير .

سير مايكل : سيدى اللورد الكريم ،
إنى لأدرك بالحدس ما تعنيه .
رئيس الأساقفة : أكبر الظن أنك تعرف ، غداً يا سير مايكل يوم عظيم ،
يوم توضع فيه مصائر عشرة آلاف رجل
في كف القدر ويمتحن معدنهم في بوتقة الحوادث .
فى شروزبرى يا سير مايكل ، كما فهمت مما وصل
إلى علمى من أنباء ،
سيلتقى الملك ومن ورائه جيش قوى قادر جمعه فى سرعة ،

مع اللورد هارى ، وأخشى يا سير مايكل
أن مرض لورد نورثمبرلند ،

الذى كانت قواته تفوق قوات شركائه عدداً ،
وغياب أوين جلندور الذى كان هو الآخر عضداً
قوياً يعتمد عليه ،

والذى تخلف عن الانضمام إليهم متأثراً بالنبوءات ،
أخشى يا سيدى أن هذا وذلك سيجعلان قوات برسى
أضعف من أن تصمد للتجربة مع قوات الملك .

سير مايكل : ليس ثمة ما يدعوك للخشية يا سيدى اللورد الكريم ،
فهناك دوجلاس ولورد مورتيمر .

كبير الأساقفة : لا ، إن مورتيمر ليس هناك .

سير مايكل : ولكن هناك موريديك وفرنون ولورد هارى برسى ،
وهناك أيضاً لورد ورستر

وجيشاً مسلحاً من المحاربين الشجعان والسادة الأجداد .

كبير الأساقفة : نعم هناك هذا الجيش ولكن الملك مع ذلك
قد جند صفوة الجيش فى جميع بلاد هذه المملكة
وجمعهم فى صعيد واحد ،

وقد جمع أمير الغال واللورد جون لانكستر

والتبيل وستمورلند ، والمحارب المقدم بلنت

وكثرة غيرهم من الرفاق والمؤيدين من ذوى الشرف الرفيع
والسمعة الطيبة والسلطان القاهر ،
جمعهم جميعاً شاكى السلاح فى جيشه .

سير مايكل : لا تشكن يا سيدى إنهم رغم ذلك سيلاقون مقاومة عنيفة ،
وسيلقون أنداداً لهم .

كيرا الأساقفة : لست أقل منك أملاً فيهم ، ولكن لا بد من الحرف ،
ولنتحاش أسوأ ما فى الأمر ، عجل يا سير مايكل
عجل ،

فإنه إذا لم يوفق اللورد برسى ،
فإن الملك لا محالة زائرنا قبل أن يسرح قواته
فقد تنامى إليه نبأ اشتراكنا فى هذه المؤامرة ،
ومن الحكمة أن نتخذ الأهبة ونقوى صفوفنا لمواجهة ،
فعجل إذن ، ولا بد لى أن أواصل الكتابة لأصدقائك
آخرين ،

فع السلامة يا سير مايكل .
(يخرجان)

الفصل الخامس

المنظر الأول

مصكر الملك بالقرب من شروزبرى . يدخل الملك والأمير هنرى
وعلى رأسه خوذة يتمايل عليها ريش النعام ، ولورد جون لانكستر وسير
ولتر بلنت وفولستاف)

الملك : ما أشد احمرار الشمس الشبيه بلون الدم وهى تحاول
أن تطل من فوق هذا التل البعيد الملتف الأشجار !
إن اليوم ليبدو مصفرًا باهتًا
متأثرًا بهذا المظهر المحموم الذى تبدى فيه الشمس .
الأمير : إن ريح الجنوب

تسبق إلى إعلان أحداث هذا اليوم التى ينبئ عنها هذا
المظهر المحموم للشمس ،
بعوائنها الأجوف وصفيرها بين الأوراق

تنبئ عن مقدم العاصفة وعن يوم صاخب عنيف .
الملك : فليكن إذن عطوفًا على الخاسرين ،

أما الفائزون فما من شيء يبدو عاصفًا أو عبوسًا فى
وجوههم

(صوت النفير - يدخل رسترفون) ، مرحى أيها

١٠ اللورد ورستر ، ليس من الخير فى شىء
أن ألتقى وإياك فى هذه الظروف التى نلتقى فيها الآن .
لقد تنكرت لثقتنا

وحملتنا على أن نخلع لباس السلام الهين
وأن نحشر أطرافنا الواهنة حشراً فى لباس قاس من
الحديد ،

ليس هذا بمستحب ، ليس هذا بمستحب يا سيدى
اللورد ،

١٥ فما رأيك فى هذا ؟ هل تعاود العمل
لقصم هذه العروة الغليظة ، عروة الحرب الكريهة ،
وأن تعود سيرتك الأولى من الولاء والطاعة
وتجربى فى فلكتك المستقيم ليشع نورك جميلاً طبيعياً ،
فلا تكون بعد اليوم من هذه الشهب النفثة ،
٢٠ نذر الخوف وطوالع الشر المستطير
فيما يجد من أيام .

ورستر : هلا استمعت لى يا مولاي !
أما عن نفسى فأنا جد قانع
أن أفضى الأيام الأخيرة من عمرى فى هدوء ودعة ،
٢٥ وحسبى أن أؤكد لك

أنى ما سعت إلى هذا الشقاق ولا تعجلت يوم الخلاف هذا.

الملك : إذا كنت لم تسع إليه فكيف جاء إذن ؟

فولستان : لقد وقع العصيان فى طريقه فعثر عليه .

الأمير : صه أيها الطائر الثرثار والزم الهدوء .

٣٠ روبرت : لقد راق بلحالتك أن تغض عين الرضا

عنى وعن آل بيتنا جميعاً ،

ولكنى أرى من واجبي مع ذلك أذكرك يا مولاي

أنا كنا أول أنصارك وأعز أصدقائك .

وفى سبيلك يا مولاي شققت عضائى وهجرت متصبي

أيام ريتشارد،

وأسرعت ليل نهار

لألقاك فى الطريق وأقبل يدك .

فعلت كل ذلك فى وقت كنت أفضلك فيه قوة ومركزاً

ولم تكن أنت فيه شيئاً مذكوراً إلى جانبي .

لقد صاحبك أنا وأخى وابن أخى

وجئنا بك إلى أرض الوطن ، وتحدينا أخطار الزمان

بشجاعة فائقة ،

لقد أقسمت لنا ، وأقسمت تلك اليمين فى دونكاستر (١) ،

إنك لن تقوم عامداً بأى عمل يضر الدولة ،
وأنك لن تطالب بأكثر من حقك الذى ورثته أحيراً ،
أى إقطاع جونت ، دوقية لانكستر .

٤٥

وعلى هذا الأساس أقسمنا نحن على أن نساعدك ،
ولكن لم تكد تمضى فترة قصيرة حتى تفتحت لك السماء ،
وأمرتلك حظوظاً ،

وساقت على رأسك كنوزاً و ثروات ووابلا من المجد
والعظمة ،

بعضه يفضل مساعدتنا وبعضه بسبب غيبة الملك ،
وبعضه بسبب الأخطاء التى تردى فيها ريتشارد ، إبان
حكمه المضطرب المزعزع ،

٥٠

وكانت الآلام والحنن التى احتملتها فى الظاهر
والرياح المعاكسة المضادة التى اجتجزت الملك طويلا
فى حروبه النكدة مع الإيرلنديين

حتى حسبه كل من فى إنجلترا قد قضى نجه ،
وقفت هذه كلها إلى جانبك وقد اغتنمت فرصة هذه
الحظوظ المواتية

٥٥

وتأملت سريعاً

لتفوز بالملك ولتقبض على زمام الحكم فى البلاد ! .

وتناسيت بذلك قسمك لنا في دونكاستر .

ولما كنا نحن الذين غديناك وأقمنا صلبك فقد انثيت
علينا تنكر لنا

كما تنكر الوليد الخثونة فرخ الوقوق للعصفور الذي
احتضنه في عشه حتى خرج إلى الدنيا ،

٦٠

وظفقت تنتقص عشنا من أطرافه وتوقع الأضرار به .
ولما قوى عودك واشتدت شكيمتك بفضل ما حبرناك به

من عون

استنسرت حتى لم نعد نجرؤ أن نعرض ولاءنا أمام
ناظريك

خشية أن تفرسنا وتلثمنا لقمة سائغة

مما اضطرنا أن نظير مسرعين . في وجهك طلباً للسلامة ،
وأن نجند هذه القوات الراهنة التي نجايحك بها العداء

٦٥

لهذه الأسباب التي اصططنعها ضد نفسك ،

وبذلك بت أنت نفسك المسئول عن وقوفنا وجهاً لوجه
أمامك ،

بهذا الجحود الذي رميتنا به والنظرات المتعالية الخيفة
التي تهددتنا بها ،

ونقض العهود والمواثيق التي قطعها على نفسك ،

٧٠

الملك

وأقسمت على الوفاء بها أماناً في أول أمرك .
: حَقّاً ، لقد أطلقتم هذه الاتهامات في كتاباتكم ،
وأعلنتموها على رؤوس الأشهاد في الأسواق ، وتلوتموها
في الكنائس ،

٧٥

لتلبسوا الحق بالباطل
وتزينوا للناس ثورتكم وعصيانكم بألوان زاهية
تخلب أنظار الحول القلب من العامة والمتدمرين
الساقطين من الفقراء

الذين يتعطشون للتغيير ويفركون أيديهم فرحاً
لكل نأ عن انقلاب صاحب أو فوضى واضطراب .
ومع ذلك فما من عصيان

٨٠

احتاج إلى مثل هذه المعاذير الواهية ،
ولا إلى عصابة الفقراء المتدمرين المتعطشين إلى أوقات
الفوضى والاضطراب الملتهمة

ليبرر قيامه ويزين أسبابه .

الأمير

: إن في جيشينا كليهما كثرة من النفوس البريئة
ستدفع الثمن غالياً بسبب هذا التطاحن ،
إذا التحم الجيشان في تجربة قاسية ، فقل لابن أخيك
عنى

٨٥

إن أمير الغال يشارك الدنيا كلها
 الثناء والتقدير لهنرى برسى ، وبحق أملى فى الخلاص
 يوم الدينونة ،
 ما أحسب ، إذا نحينا جانباً تبعته عن هذا العصيان ،
 أن على ظهر هذه الأرض سيداً من الأحياء أشجع
 منه ،

ولا أعظم مضاء ، ولا أشد فتوة ،
 ولا أكثر إقداماً ، ولا أبلغ جسارة منه
 على تجميل صفحة هذه الحقبة الأخيرة بجلال الأعمال
 ونبييل الحصال .

وأنا عن نفسى أقر وأنا أتندى خجلاً
 أنى كنت مجافياً لصفات الفروسية هارباً منها ،
 ولقد سمعت أنه يزننى بهذا الميزان ،
 ولكنى مع ذلك راض وأنا أقف بين يدى جلال أبى
 وعظمته

أن تكون له على
 ميزة اسمه العظيم وسمعته الجليلة
 وأن أجرب حظى معه فى مبارزة شخصية بينى وبينه
 حقناً لدماء الأبرياء من الجائدين .

: ونحن من جانبنا يا أمير الغال كان يودنا أن نأخذ لك
في أن تتعرض للمخاطر المترتبة على تحديك هذا ،
لولا أن هناك اعتبارات لا حد لها
تحول دون تحقيق هذه الرغبة ، لا . . لا أى ورستر
الكريم ،

إننا نؤثر شعبنا بالحب ، وحتى أولئك الذين ضللوا
وانحازوا إلى جانب ابن عمك ما زلنا نحبهم ،
وإذا ما قبلوا صفحتنا الكريم الذى نعرضه عليهم
فإنه ، وإياهم ، وإياك ، بل وكل فرد منكم ،
ستغدون أصدقاءنا من جديد، وأصبح أنا أيضاً صديقاً له .
فأبلغ ذلك لابن عمك ثم وافنى بجوابه وأبلغنى ما سيفعل .
أما إذا لم يذعن لعقونا

١٠٥

١١٠

فإن لدينا العدل والعقاب الصارم كلاهما حاضران
وسيؤديان مهمتهما ولا ريب ، فاذهب عنا الآن ،
ولن نتعب أنفسنا بانتظار رد منك على الفور ،
فقد جنحنا إلى السلم وكنا عدولا في عرضنا . فادرسوا
ما عرضناه عليكم ومحضوه بعناية . وتحسنون صنعا لو أنكم
قبلتموه .

(يخرج ورستر وفرنون)

١١٥ الأمير : أراهن بحياتي أن العرض لن يقبل ،

فدوجلاس وهوتسبر ورجالهما

وائقون من النصر ولو جابهتهم قوات العالم أجمع .

١٢٠ الملك : إذا كان الأمر كذلك ، فليسارع كل قائد إلى قيادته
لنكون على أهبة الاستعداد .

حتى إذا جاء ردهم حملنا عليهم

والله في عوننا ما دمنا على الحق .

١٢٠

(يخرج الجميع إلى فرقهم ، ويجلب فولستاف كم الأمير وهو يهيم بالخروج)

فولستاف : أي هال ، إذا لقيتني مغلوباً في المعركة وخطوط نحوي

لتدفع عني ، وفرجت ساقيك فوق على هذا النحو ،

دل ذلك على أنك تضمر لي الصداقة والود .

الأمير : مثل هذه الصداقة لا يقدر عليها بالنسبة لك إلا مارد

ضخم ، فاتل صلواتك إذن ووداعاً .

فولستاف : وددت لو كانت الصلاة قبل أن يأوى الإنسان إلى

فراشه ، وأن الدنيا بخير .

١٢٧ الأمير : ويحك ، ألسنت تدين الله بميتة ؟

فولستاف : ولكنه دين لم يحل موعده بعد ، وإني لأستنكف أن أرده

قبل يومه الموعد . وما حاجتي في أن أتعجل السداد

مع من لا يطالبني بالوفاء . ومهما يكن من شيء فلإن
هذا لا يهم ،

١٣٠

فالشرف يدفعني ويحفزني قديماً ، ولكن ما العمل إذا
دفعني الشرف للنكوص حين أتقدم ؟ وماذا يكون الموقف
عندئذ ؟ أيستطيع الشرف أن يقيم ساقاً ؟ كلا . .
أيستطيع أن يقيم ذراعاً ؟ كلا . . وهل في طوقه أن
يذهب ألم الجرح ؟ . . كلا . . إذن أفليس للشرف أية
مهارة في الجراحة ؟ . .

١٣٥

كلا . . إذن فما الشرف ؟ إنه كلمة ، وماذا وراء كلمة
الشرف هذه ؟ وما هو هذا الشرف نفسه ؟ إنه هواء ،
إنه حساب منمنق ، ومنذا الذي يناله ؟ أهو هذا الذي
مات يوم الأربعاء ؟ . . أبحس به ؟ . . كلا ؛ أو يسمع
به ؟ . . كلا . . إذن فهو شيء لا يدرك ، أجل
لا يدركه الأموات ،

١٤٠

ولكن ألا يعيش مع الأحياء ؟ . . كلا . . وى . . إن
انتقاص القدر وحطة الشأن لا تتفقان معه ، إذن فلن
يكون لي منه نصيب ، ما الشرف إلا درع جنائزي
تعدد فيه مفاخر الموتى ، وبهذا تنتهى اعترافاتي عن
عقيدتي أوضحتها في صورة سؤال وجواب .
(يخرج)

المنظر الثاني

(بطحاء بالقرب من معسكر الشوار . ورستر وفرنون بقربان عائلتين من
عند الملك)

ورستر : لا . . لا . لا ينبغي أن يعرف ابن أخي يا سير
ريشارد

عرض الملك السخى الكريم .

فرنون : من الأفضل أن يعرفه .

ورستر : إذن فقد ضيعنا جميعاً ،

لأنه من المستحيل ، بل من غير المعقول

أن يفي الملك بوعده في محبتنا .

أنه سيظل على شكه فينا ،

وسينتهز الفرصة لعقابنا على هذا الذنب حين تقع في

أخطاء أخرى ،

فستظل حياتنا كلها مخفوفة بالشك . تحيط بنا عيون

الريبة .

فرتكب الخيانة لا يوثق به إلا كما يوثق بالثعلب

الذى لا يستأنس أبداً مهما أحطته بالحنان وسهرت

على تربيته ومهما عزلته ،
فإن الطبع يغلب عليه ويحن إلى خصلة من خصال
أسلافه الوحشية .

ومهما يكن مظهرنا مقطعين أو مرجحين ،
فإن نظراتنا سيساء نقلها وتفسيرها ،
وستظل نطعم كما تطعم الثيران في المداود ،
كلما زيدت الرعاية لها والعناية بها دنا أجلها .
إن عدوان ابن أخى قد ينسى بعد حين ،
لأن له ما يبرره من أعذار الشباب وفورته ،

واسم مستعار تخبذه لنفسه يحميه من العذل واللوم .
فهو هوتسبر الثائر المندفع الذى تتحكم فيه حدة طباعه .
أما ذنوبه وآثامه فتتقع كلها
على رأسى أنا وعلى رأس أبيه . فنحن الذين علمناه ،
وكل ما يحدث من فساد إنما استقاه منا وأخذته عنا ،
وما دمنا أصل كل بلاء ومنبع كل فساد ، فلا بد لنا
أن نحتمل تبعات هذه الأخطاء جميعاً وأن نلقى جزاءنا
عليها .

لذلك أرجوك يا ابن العم الطيب ألا تدع هارى يعلم
بأى حال

ماذا كان العرض الذى قدمه لنا الملك .

٢٥

فرنون : قل ما شئت فساؤمن على كلامك .

وها هو ذا ابن عمك قادم .

(يدخل هوتسبر ودجلاس وجنود يستقبلونهما)

هوتسبر : لقد عاد عمى .

فأخطوا سبيل اللورد وستمورلند .

عماء ما وراءك من أنباء .

٣٠

ورستر : سيعلنكم الملك بالقتال فوراً .

دجلاس : فلتتحدها ، وأبلغه ذلك على لسان لورد وستمورلند .

هوتسبر : اذهب بنفسك يا لورد دوجلاس وأبلغه ذلك .

دجلاس : حقاً سأذهب بنفسى وأبلغه ذلك بكل ارتياح .

(يخرج)

٣٥ ورستر : لم نر فى الملك أى سمة من سمات الرحمة والعفو .

هوتسبر : وهل التسم الرحمة منه ، حاشا لله أن تفعلوا .

ورستر : لقد تحدثت إليه بلطف

وشرحت له شكايتهما من حثته بيمينه .

فكان جوابه أن أقسم بأغلظ الأيمان حائثاً . أنه ما حدث

بيمينه قط .

وآن نعتنا بالثوار والخوانة ، وأنه سيصب سوط بأسه
الشديد

ليترع عنا هذا الوصف البغيض .
(يعود دوجلاس)

: تسلموا أيها السادة ، هبوا إلى أسلحتكم ،
فقد تحديت الملك هنري تحدياً شديداً ،
وسيحمله إليه وستمورلند الذي كنا نحتجزه رهينة
عندنا ،

ولن يجد الملك أمام هذا التحدي بدءاً من أن يسارع
لقتالنا .

: لقد تقدم أمير الغال أمام الملك
وتحداك يا ابن أخي أن تبارزه على انفراد .
: أواه . . ليت القتال يقع على رأسينا وحدنا ،
فلا يحرك أحد ساكناً اليوم

إلا أنا وهنري مونموث . خبرني . . خبرني
كيف أبدى تحديه هذا ، هل أبداه بروح الاحتقار
والزراية ؟

: لا وحياتي ! وفي الحق ما سمعت طول حياتي
تحدياً يلقي بمثل هذا التواضع ،

اللهم إلا أن يكون أخ يتحدى أخاه
ليدخل معاً في رياضة هينة أوفى تدريب على الأسلحة .
لقد اعترف لك بكل ما في الرجولة من كمال ،
وفاك حقلك من الاحترام وزين القول في مدائحك
بلسان الأمانة والنبيل ،

٥٠

وتحدث عن مزيابك وأمجادك حديث المؤرخ ،
رافعاً إياك منازل فوق قدرة مدحه ،
مؤكداً دائماً أنه أعجز عن أن يجد الكلمات التي تليق
بك وتوفيك حقلك .

٦٠

وحين تحدث عن نفسه تحدث عنها في حياء وتواضع
خليق بأن يصدر عن أمير حق ،

ولام شبابه المضيق
في سماحة ووقار ،

فكان وهو في ملامة لنفسه كأنما يتقمص روحين ،
روح المعلم وروح المتعلم في وقت واحد .

٦٥

وحين بلغ هذا القدر توقف عن الحديث ، ولكن دعني
أعلنها على رؤوس الأشهاد في هذا العالم
إن هذا الأمير لو قدر له أن ينجو من كيد هذا اليوم
وأن يعيش بعده

فإن إنجلترا ستجد فيه أملا حلوا لم تعلم به أبداً ،
وقد تأمر على إخفائه وسوء الحكم عليه حياة اللهو والعبث
التي كان يحياها .

٧٠ هوتسبر : أخشى يا ابن العم أن تكون مفتوناً بمبازله ونزواته ،
وما سمعت قط بأمر انغمس في شهواته
وأطلق لها العنان لا يكبح جماحها كهذا الأمير .

واكن مهما يكن هذا الأمير فلا بد لي قبل أن ينقضي
نهار اليوم
من أن أحتضنه بمسكة قوية أحزمه فيها حزمة مميتة
بذراع جندي مفتول

حتى يتداعى ويسقط تحت وطأة تحيتي له ،
٧٥
هيا أسرعوا إلى أسلحتكم ، وتسليحوا ، وهيا حصنوا أنفسكم
وهيثوا شجاعتكم لاحتمال القتال
أيها الرفاق والجنود والأصدقاء ، وفكروا فيما أنتم مقدمون
عليه ،

فهذا خير لكم من الاستماع إلى استشاري لهمتكم
بلساني الحشن الذي لم يهبه الله نعمة البلاغة . (يدخل رسول)

٨٠ الرسول : مولاي ، إن معي رسائل لك .

: لا أستطيع قراءتها الآن ، هوتسبر

أيها السادة إن فسحة العمر قصيرة ،
وضياع هذه الفسحة القصيرة في أعمال دنيئة سرف أى
سرف ،

ولو أن هذه الحياة يحملها عقرب من عقارب الساعة
فإنها تنهى دائماً عندما يتم دورته مؤذناً بحلول الساعة .
فإذا عشنا ، عشنا كراماً لنطأ الملوك بأقدامنا .
وإذا متنا ، متنا ميتة شريفة يموت فيها الأمراء معنا .
وبعد ، إننا إذا احتكمتنا إلى ضئائرتنا فيما نحن مقدمون
عليه وجدنا ثورتنا على حق .
وامتشاقنا الحسام له ما يبرره ما دامت النية وراء امتشاقه
خالصة عادلة .

٨٥

(يدخل رسول آخر مسرعاً)

٩٠ الرسول : استعد يا مولاي فالملك قادم نحونا على عجل .

هوتسبر : شكراً له فقد قطع على حديثي ،

وليس الكلام مهنتي ،

ولكن أكتفى بأن أقول فليؤد كل فرد واجبه .

وهأنذا أبجد . سيني

: معترماً أن ألتطخ صفحته بخير الدماء

٩٥

التي سألقاها جميعاً في مغامرة هذا اليوم المخفوف
بالمكاره .
والآن إلى الحرب . . اسبرانس . . إلى الحرب يا برسى ،
انطلق

انفخوا كل أبواق الحرب العالية
وهيا نتعانق على صوت هذا النفير المدوي
فقد لا يلتقي بعضنا بعد اليوم وينعم بمثل هذا العناق مرة
أخرى ، ذلك أن فرص اللقاء قد تكون بعيدة المنال بعد
السماء عن الأرض .
(أصوات أبواق ، يتعانقون ثم يخرجون ليتسلحوا)

المنظر الثالث

(يطحاء بين المسكرين . يدخل الملك مع قواته ويسير قدما . نفير حرب . ثم يدخل دجلاس وسير لوير بلنت متخفيا في زى الملك . يتقاتلان ثم يكفان عن القتال)

بلنت : ما اسمك يا من تعترضنى
وتقف وجهاً لوجه أمامى فى هذه المعركة أى مجد تسعى
إليه بقتلى ؟

دجلاس : اعلم لأذن أن اسمى دجلاس
وأنى ألأزمك فى المعركة على هذه الصورة
لأن بعضهم أنبأنى بأنك ملك .
بلنت : لقد صدقوك القول .

دجلاس : لقد جاوزى اللورد استافورد اليوم شر الجزاء بمحاولته
التشبه بك ،
فقد قضى هذا السيف على حياته بدلا منك أيها الملك
هارى

وسيقضى عليك أنت أيضاً
ما لم تدعن لى وتسلم نفسك أسيراً . ١٠
بلنت : مثلى لم يولد للتسليم والإذعان أيها الاسكتلندى المتعجرف

وستجد في ملكاً ينتقم
لموت اللورد استافورد .

(يقتلان فيقتل دجلاس بلنت ثم يدخل هوتسبر)

هوتسبر : لك الله يا دوجلاس لو أنك حاربت في هولدن
كما تحارب اليوم

ما أتحت لي أن أنتصر على إسكتلندي قط .

١٥ -

دجلاس : لقد تم كل شيء وكسبنا كل شيء ، وها هو ذا الملك
يرقد مجنحاً هنا وقد خمدت أنفاسه .

هوتسبر : أين ؟

دجلاس : هنا .

هوتسبر : أهذا هو يا دجلاس . . لا . . أنا أعرف هذا الوجه
حق المعرفة

لقد كان فارساً مقداماً اسمه بلنت ،

٢٠

إنه يبدو في لباس وعدة تشبهان لباس الملك نفسه وعلمته .

دجلاس : فليلازمك الحق أينما تكون ،

فقد اشتريت هذا اللقب المستعار بأفدح الأثمان

. . . وياك . . . لم قلت لي إنك ملك ؟

: إن الملك يسير الكثيرين في شعاره ودروعه .

٢٥ هوتسبر

دجلاس : قسماً بيسيئ هذا لأقتلن كل من يتخذ شعاره

ولأذبحن كل ملابسه وأمزفها لإرباً
حتى ألقى الملك نفسه .

هوتسير : هيا إلى العلا بلا تران ،

فإن جنودنا قد انتظمت صفوفهم ووقعوا صامدين
مستعدين لحوض غمار المعركة .

٢٩

(يخرجون لينضوا إلى القوات المسلحة . نغير حرب ! يدخل فولستاف منفرداً) .

فولستاف : إن أكن قد استطعت أن أنجو بنفسى وأفر من سهام

دفع الحساب فى لندن فإن أكبر ما أخشاه هو ضربات
السهام هنا . إن الحساب هنا ليس ضرب أعداد
ولكنه ضرب فى الرأس ، ولكن مهلا من أنت ؟
سير ولتر بلنت ، إن هذا شرف لك ! الآن
لا غرور . إننى أتقد حرارة كأنى الرصاص المصهور .

وأئن ثقلا كالرصاص أيضاً ، فخل اللهم بينى وبين
الرصاص ، فليست فى حاجة إلى مريد من الثقل
أكثر من أمعائى . لقد قدت رجالى المهلهلين إلى حيث

٣٥

لقوا حتفهم ، ولم يبق على قيد الحياة من المائة والخمسين
الذين كانوا تحت إمرتى إلا ثلاثة ، وقد اتجهوا إلى
أبواب المدينة ليحترفوا التسول بقية حياتهم ، ولكن من
هذا القادم إلى هنا ؟

٤٠

(يدخل الأمير هنرى)

الأمير : ما هذا ؟ أتقف عاطلاً هنا لا تحرك ساكناً ، أعزنى ، سيفك ،

إن سادة كثيرين يرقدون الآن جثثاً هامدة جامدة
تحت أقدام الأعداء المتباهين المختالين ،
هؤلاء السادة لم نثار بعد لموتهم ، أرجوك أن تعيرنى
سيفك .

فولستاف : أواه يا هال ، أتوسل إليك أن تسمح لى أن أسترده أنفاسى
لحظة من الزمان ، إن جريجورى الغشوم^(١) القاءى
القلب لم يأت من الأعمال مثل ما أتيت اليوم ، لقد
قتلت برمى ، قضيت عليه قضاء مبرماً .

هـ الأمير : إنه سالم آمن حتى باق ليقتلاك ، أرجوك أن تعيرنى سيفك .
فولستاف : أعاهدك أمام الله يا هال ، إنه إذا ظهر أن برمى
ما يزال على قيد الحياة فإنك لن تأخذ سيفى فحسب
بل لك أن تأخذ بندقيتى إذا أردت .
الأمير : أعطنى إياها ، أهى فى هذا الجراب .

(١) Turk Gregory . كلمة Turk هنا بمعنى المتوحش الشرس . ويرى بعض الشراح
أن جريجورى المقصود هنا هو البابا جريجورى السابع (هــ براند) لكن هذا الوصف أكثر
إنطباقاً على البابا جريجورى الثالث عشر (١٥٧٢ - ١٥٨٥) علو لإنجلترا اللورد الذى يارك
مذبحة القديس بارتوليو إن لم يكن هو الذى أوعز بها والذى وعد بأن يفقر جميع ذنوب من يقال
الملكة اليزابيث .

فولستاف : أجل يا هال . إنها ساخنة ، إن هنا ما يخرج مدينة

٥٦

بأكملها وينهبها نهباً .

(يسحب الأمير البندقية من الجراب فإذا هي زجاجة من النبيذ)

الأمير : ما هذا ، أهذا وقت العبث والسخرية ؟

(يلتقي بالزجاجة في وجهه وينصرف)

فولستاف : إذا كان برسى لا يزال على قيد الحياة فسأطعنه طعنة

نجلاء ، (ثم يقول لنفسه) إذا اعترض طريقى هكذا .

وإذا لم يعترضنى واعترضت أنا طريقه عامداً فليصنع

بى ما يصنع بشريحة من لحم القديد . إني أكره هذا

الشرف المكشّر عن أنيابه ، الذى يبيديه سير ولتر .

اللهم هبى حياة ، فإن استطعت أن أصونها وأحميها

فيها ، وإن لم أستطع ، جاء الشرف دون بحث عنه

أو سعى إليه ، وهذا نهاية قولى .

٦٥

(يخرج)

المنظر الرابع

نفير الحرب . إعارات . بدخل الملك والأمير وقد جرح في خده ولورد
جون لانكستر وإيرل وستمورلند |

الملك : أرجوك يا هارى
أن تكف عن القتال فقد نزفت من الدم أكثر مما تطيق .
أذهب معه يا لورد جون لانكستر .
لانكستر : لن أذهب معه يا مولاي حتى أدمى أنا أيضاً .
الأمير : أرجوك يا مولاي أن تذهب إلى جبهة القتال
حتى لا يملأ غيابك عن الممعة أنصارك وأصدقاءك فرعاً
واضطراباً .

الملك : سأفعل ذلك .
سيدى لورد وستمورلند ، أرجوك أن تفقد هارى إلى
خيمته

وستمورلند : هيا يا سيدى . فسأقودك إلى خيمتك .
١٠ الأمير : أتفقدنى يا سيدى اللورد ؟ لست فى حاجة إلى مساعدتك ،
وحاشا لله أن يحول بجرح سطحي كهذا
بين أمير الغال وبين شهود مثل هذه المعركة

التي يرقد فيها النبل ماطحاً بدمائه على أرضها تطأه
الأقدام

وتزهو رماح الثوار بما أحدثته من مذابح .

١٥ لانكستر : لقد أطلنا الراحة أكثر مما ينبغي ، فهيا يا ابن العم
وستمورلند

فإن واجبتنا يدعوننا إلى السير من هذا الطريق . تا لله
هيا بنا .

(يخرج الأمير جون وستمورلند مسرعين)

الأمير : قسماً بربي لقد خدعتني في أمرك يا لانكستر ،
فما كنت أحسبك على هذا القدر من سمو الروح .
لقد أحبيتك من قبل يا جون حب الأخ لأخيه ،
أما الآن فلإني أجلك كما أجل روحي . ٢٠

الملك : لقد رأيته يمسك باللورد برسي ويضيق عليه الخناق
ويجعله على مرمى من ظبي سيفه

ويصمد له أطول مما كنت أتوقع

من محارب ناشئ مثله .

الأمير : أواه ، إن هذا الفتى
ينفخ فينا جميعاً من روحه وقوة عزمه .
(يدخل دجلاس من مكان آخر في الميدان)

دجلاس : أهذا ملك آخر ، لأنهم يتكاثرون كما تتكاثر رؤوس
هيدرا ، كلما قطع منها رأس نبت مكانه آخر . ٢٥

أنا دووجلانس منزل القضاء المحتوم
بكل من يبدو في لباس الملك أو شعاره .
من تكون يا هذا الذى يزور شخص الملك .
أنا الملك بعينه الذى يحزنه يا دجلاس
إنك لقيت كثيرين ممن يتشبهون به ،
ولم تاق الملك نفسه . ٣٠

الملك هنرى

إن لى ولدين يجدان فى السعى وراءك ووراء برسى فى
الميدان ،

ولكن ما دام حسن الحظ قد رمانى بك
فسأنا ذلك ، فدافع عن نفسك .

٣٥ : أضحى ألا تكون إلا صورة أخرى مزيفة للملك ،
وإن تكن فى الحق تبعد فى سميت الملك ،
وأيا تكن فسأقاتلك ،
وأنتصر عليك .

(يتقاتلان وبينما الملك يتعرض للخطر يدخل أمير الفال)

الأمير : ارفع رأسك أيها الإسكتلندى الخسيس
ولا تعرضت لأن تفقد هذا الرأس إلى الأبد ،

إن أرواح الأجداد شيرلى واستافورد وبلنت ترفرف على
سيفى وتملاً ذراعى قوة ،

إن أمير الغال هو الذى يتهددك ،

أمير الغال الذى ما وعد وعداً إلا أنجزه

(يتقاتلان فيفر دجلاس) قر عيناً يا مولاي ، كيف

حالك يا مولاي ؟

لقد بعث سير نيكولاس جوسى يطلب النجدة ،

وكذلك بعث كليفتون ، وسأضى لفورى لـنجدة

كليفتون .

٤٥

الملك : قف تمهل واهلأ برهة نستجمع فيها أنفاسنا ،

حقاً لك لقد استعدت أجدادك وسمعتك الطيبة التى كاد

يلهب بها ميلك السابق للعبث واللهو ،

وكشفت عن اهتمام زائد

ورعاية فائقة لحياتى .

بهذا العمل العظيم الذى أنقذت به حياتى

٥٠

الأمير : رباه ، ما أكثر ما بالغوا فى الإساءة إلى

حين زعموا أنى راغب فى موتك ،

ولو أن ما قالوه حقاً

لخليت بين يدى دجلاس

المنتصرتين الساجرتين وبينك
ولكان هذا التخلي أمضى سلاحاً وأعجل في القضاء
عليك

٥٥

من أى جرعة سامة على الأرض ،
ولوفر هذا على ابنك أعمال الغدر والخيانة فى التآمر
عليك .

الملك : امضى لنجدة كليفتون ، وسأمضى أنا لنجدة سير
نيكولاس بجوسى

(يخرج ويدخل هوتسبر)

هوتسبر : إذا لم يخطئنى النظر فأنت هارى مونموث .
الأمير : هذا كلام من يحسب أنى أريد أن أنكر اسمى .
هوتسبر : إن اسمى هارى برسى .

الأمير : إذن فأنا ألقى

هذا التأثير الصنديد الذى يحمل هذا الاسم ،
أما أنا فأمير الغال ، ولا تحسبن يا برسى
أن فى طوقك بعد الآن أن تشاركنى فى المجد أو تقاسمنى
العظمة ،

فما من نجمين يستطيعان أن يتحركا فى فلك واحد ،
ولا تستطيع إنجلترا واحدة أن تحتل ملكاً مزدوجاً

٦٠

يتقاسمه هارى وبرسى وأمير الغال .

هوتسبر : وهذا ما لن يكون يا هارى ، فإن الساعة قد حانت

للقضاء على أحدنا ، ولكم تمنيت على الله
أن يكون اسمك الآن في ثبث الفروسية والحروب عظيماً
ممجداً كاسمى .

٧

الأمير : لأجعله أعلى وأعظم من اسمك قبل أن أفترق عنك ،
ولأنزعن كل براعم المجد المفتحة على جبينك ،
وأجعل منها لإكليلا أنوج به رأسى .

هوتسبر : لم أعد أطيق غرورك . (يتقاتلان ويقترب منهما فولستاف)

فولستاف : أحسنت صنعاً يا هال ، عليك به يا هال ، أقدم يا هال
وثق أنك لن تجد هنا مباراة في الملائكة .

٧٦

(يدخل دوجلاس مرة ثانية ويتقاتل مع فولستاف الذى يسقط إلى الأرض متظاهراً بأنه
مات ثم يخرج دجلاس . هوتسبر يخرج ثم يسقط على الأرض)

هوتسبر : أواه يا هارى ، لقد حرمتنى أجماد شبانى ،

ولأهون عندى أن أطيق فراق هذه الحياة الهشة

من أن أطيق فراق هذه الألقاب المجيدة التى كسبها
منى .

إن فقدان هذه الأجماد يحز في نفسى أكثر مما يحز

سيفك في جسدى ،

٨٠

ولكن ما تكون الأفكار ؟ أليست من توابع الحياة
ومستلزماتها ، وستقف هي الأخرى عندما تذهب
والحياة نفسها ؟ أليست العوبة في يد الزمن يلهو بها
حيث يشاء ،

والزمن وإن قيس به دورات الحياة ومدتها
أليس هو الآخر يجرى لغايته ثم ينقضى حين تنقضى
الدنيا ؟

أواه إن في استطاعتي أن أتنبأ لكن يد الموت الفانية
الباردة تمسك لساني ،
لا يا برسى ما أنت إلا تراب ، وما أنت إلا طعام لا . .
(يموت)

٨٥

الأمير : طعام للديدان أى برسى الشجاع ، وداعاً أيها القلب
الكبير ،

ليه أيتها الأطماع الواهية ، كيف بليت خيوطك
وتقلص نسجك ؟

لقد كانت حدود مملكة بأسرها تضيق عن أطماع هذا
الجسد حين كانت تدب فيه الروح ،
أما الآن فإن قدمين من خبث الأرض مكان فسيح
لثواه .

٩٠

إن هذه الأرض التي وسعتك جدثاً هامداً
 كانت تضيق بك سيداً مقداماً وأنت حي .
 ولو أنك كنت حياً تحس وتشعر بمدايحى
 لما صغت هذا الحمد ولا قلعت بين يديك آيات
 العرفان المنبعثة من أعماق القلب ،
 ولكنى دعنى أستر وجهك الجريح بهذا الغطاء العزيز
 على نفسى

٩٥

(ثم يطفى عيني هو تسبر بريشه من خوذته)
 واسمح لى نيابة عنك أن أشكر نفسى
 على أداء مراسم الوفاة هذه
 وأستودعك الله ، ولتأخذ معك حسناتك إلى الجنة !
 أما سيئاتك فلتترقد معك فى لحلك
 دون أن تذكر على شاهد قبرك
 (ينظر فولستاف ملق على الأرض) ليه ، أهذا أنت

١٠٠

أيها الصديق القديم ؟ أكل هذا اللحم يعجز
 عن أن يستبقى رفقاً من الحياة ؟ يا لك من مسكين
 يا جاك ، وداعاً ؟
 وددت لو استطعت أن أفديك بمن هو أفضل منك .
 ليه ولو أننى كنت مفتوناً بالغرور
 لكنت خسارتى فيك فادحة .

١٠٥

إن الموت لم يصب اليوم من الغزلان ما هو أشد منك
سمناً ،
وإن كانت له ضحايا أعز مكاناً وأعظم قدراً في هذه
المعارك الدامية .

سأحتفل بإفراغ أمعائك وتحنيط جسدك في القريب
العاجل ،
وحتى ذلك الوقت نم هنا في كامل هيبتك إلى جوار
برسى النبيل .

(يخرج)

فولستان : (ينهض) تفرغ أمعائي ، لو أنك أفرغت أمعائي اليوم
لأذنت لك أن تخلل لحمي وتنقعه في الملح لتأكل منه
في الغد ، تا الله لقد كان الموقف يستدعي الخداع
والغش ، واو أنى لم أنخدع ولم أغش لأوفاني هذا
الإسكتلندي الثائر الغضوب أجلى وقضى على . أهو
الغش والخداع ؟ لقد كذبت نفسي ، فما أنا بالغاش
ولا بالخادع ، وإن الموت هو الغش والخداع بعينهما .
فالرجل الذى تعوزه الحياة هو الصورة المزيفة للإنسان ،
أما الرجل الذى يتظاهر بالموت يحتفظ بالحياة فما هو
بالمزور ولا المخادع ، وإنما هو بحق الصورة الصادقة

الكاملة للحياة .

١٢٠

إن التبصر خير سمات الشجاعة . وبهذا التبصر صنت
نفسى . وأنقذت حياتى . تا لله ما أشد فرقى من هذا التأثير
الملتهب برسى ، وإن يكن ميتاً مسجى . فأى شئ يمنع
أن يكون هو الآخر مخادعاً مثلى ، فينفض عنه غبار
الموت وينهض ؟ وأيم الحق إنى لأخشى أن يكون خيراً
منى فى المكر والخديعة .

١٢٥

إذن لأقضين عليه وأقسمن إنى قتلته ، وى .. أى شئ
يمنعه أن ينهض ما دمت أنا قد نهضت ؟ وما من أحد
يستطيع أن يكذبنى فى روايتى إلا أن يأتى ببشاهد
عيان ، وما من أحد يراى الآن . إذن يا رجل (يطعته)
خذ هذه الطعنة الحديدية فى فخذك ، وهيا أحملك
معى .

١٣٠

(يحمل هوتسير على ظهره ويسير ، ويسود أمير الغال ومعه اللورد جون لانكستر) .

الأمير : بخ . بخ . بخ . يا أنخى جون لقد خضبت سيفك بدم
الأعداء لأول مرة

بشجاعة فائقة .

لانكستر : ولكن مهلاً من يكون هذا الذى نراه هنا ؟

ألم تقل لى إن هذا الرجل البدين قد مات ؟ ١٣٥

الأمير

: أجل ، وقد رأيته بعيني ميتاً لا حراك به
جريحاً يتزف دمه ملقى على الأرض . أأنت حى ؟
أم هو الخيال يعبث بناظرينا ؟
أرجوك أن تتكلم فلن نثق بما تراه العين دون أن يؤيده
السمع .

١٤٠

فولستاف

: إنك لست كما تبدو .
بل الحقيقة ما ترى ، فلست شبحاً ذا رأسين ، وإنما أنا
جناك فولستاف ، وإذا لم أكنه حقاً فما أنا إلا وغد
مخاتل ، وهذا هو برسى (يلقى الجثة على الأرض)
وإذا كان لأبيك أن يكافئنى على صنيعى هذا فيها
ونعمت ، وإلا فعليه أن يقتل برسى الثانى بنفسه
وأقول لك الحق إنى أتطلع لأن ينعم على بلقب إيرل
أو لقب دوق .

١٤٦

الأمير

فولستاف

: ويحك . . لقد قتلت برسى بنفسى ورأيتك صريعاً .
: هل فعلت ذلك بنفسك ، يا إلهى . . يا إلهى ، إن هذه
الدنيا غارقة فى الكذب والبهتان ، أؤكد لك أنى كنت
ملقى على الأرض متقطع الأنفاس ، وكذلك كان هو ،
ثم نهضنا كلانا فى وقت واحد وتقاتلنا ساعة طويلة
حسب ساعة شروزبرى . فإذا كان لكم أن تصدقونى

فيها ، وإن لم تصدقوني فليحمل وزر ذلك على رؤوسهم أولئك الذين يجب عليهم أن يجزوا الناس عن الشجاعة والإقدام . ولاني لأقسم لكم بأغلظ الأيمان إنني أصبته بهذا الجرح في فخذه ،

١٥٥

ولو أن الرجل كان حياً وأنكر هذا ، لألقمته سني هذا .
: هذه أغرب قصة سمعتها في حياتي .

لأنكستر

: هذا أغرب رجل عرفته يا أخي جون .
(ثم يلتفت إلى فولستاف ويتحدث إليه)

الأمير

هيا يا جاك احمل متاعك على ظهرك في رفق ،
وإذا كان الكذب خليقاً بأن ينيلك جزاء أو امتيازاً
فإني سأزيته بكل ما في طوق من حجج براقية .
(يسمع نفير التراجع) ، إن النفير يعلن التقهقر . لقد

١٦٠

كسبنا معركة اليوم ،
فهيأ بنا يا أخي نصعد إلى أعلى نقطة في الميدان ،
ونرى أي رجالنا على قيد الحياة وأيهم مات .
(يخرج أمير الغال ولورد لأنكستر)

فولستاف : سأتابعكم طلباً للجزء كما يقولون ، ومن يجزني يجزه الله !
وإذا صرت عظيماً فسيتفص وزني ، ذلك أني سأظهر
وأؤوب ، وأهجر النبذ ، وأعيش حياة نظيفة مطهرة
كما ينبغي أن يعيش الرجل النبيل .
(يتبعهما وهو يجر وراءه الحثة)

المنظر الخامس

(صوت النفير - يدخل الملك وأمير الغال ولورد لانكستر وأيرل وستمولند ومعهما ورستر وفرنون أسيرين)

- الملك : وهكذا يجحد العصيان دائماً من يردعه ،
 أى ورستر ، أيها الخبيث الطوية ،
 ألم نبعث إليكم جميعاً بأنعمنا وصفحننا وعبارات حبنا ؟
 ألم تقلب أنت عروضنا رأساً على عقب ؟
 ألم تخزن الأمانة التي وضعها في عنقك قريبك ؟
 لقد قتل ثلاثة من الفرسان من جماعتنا اليوم ،
 وكان في الإمكان أن يبقى إيرل نبيل وعديد من رجالنا
 على قيد الحياة في هذه الساعة
 لو أنك أخلصت السفارة بين جيشينا
 كما يليق بكل رجل مسيحي صادق الإيمان .
 ١٠ ورستر : لقد حملني على ما فعلت رغبتى في السلامة ،
 وإني لأتقبل نصيبي بصبر ،
 وما دمت لم أستطع أن أتجنب هذا المصير ، فليقع
 عبؤه على رأسى .

: خذوا ورسترو أمضوا فيه القتل ، وكذلك فرنون .

الملك

أما بقية المذنبين فسأندبر أمرهم رويداً (يخرج ورسترو

١٥

وفرنون محروسين) وبعد ، فما هو الموقف في الميدان ؟

: إن النبيل الإسكتلندي لورد دوجلاس

الأمير

حين رأى أن الخط قلب له ، في معركة اليوم ، ظهر المحزن

وأن اللورد برسي قتل -

٢٠

وأن الخوف قد دب في قلوب رجاله جميعاً فر هو الآخر

معهم

فسقط في أثناء فراره من فوق التل وأصيب برضوض

خطيرة

مكنت متابعيه من القبض عليه ،

وهو الآن في خيمتي ، وإني أتوسل إلى مولاي

أن تترك لي أمره .

: بكل سرور .

الملك

: إذن فسأعهد إليك يا أخي جون لانكستر

٢٥ الأمير

بشرف هذه المكرمة ،

فاذهب إلى دوجلاس وأطلق سراحه

ليذهب حيث يشاء حراً طليقاً بلا فدية ،

فإن شجاعته التي أبدأها اليوم وكلل بها جباهنا

- ٣٠ قد علمتنا كيف نخضع هذه الفعال السامية
ولو كانت من صفات أعدائنا .
لأنك : أشكر لسموك هذا الفضل العظيم ،
وسأسارع لإبلاغه ذلك .
المك : لم يبق أماننا بعد ذلك إلا أن نقسم قواتنا ،
٣٥ فتسارع أنت يا بني جون مع ابن عمي وستمولند
إلى يورك لتواجه
نورثمبرلند والأسقف سكروب
الذين انتقضا علينا فيما علمت وأخذنا يجمعان قواتهما .
أما أنا وأنت يا هاري فستتجه إلى الغال
٤٠ لنحارب جلندور وليرل مارش .
إن العصيان في هذه البلاد لابد أن يكبح جماحه
إذا لقي من الروح العنيف يوماً آخر كهذا اليوم ،
ومادام مسعانا قد جالفه التوفيق في الأولى
فما ينبغي أن نكف عن متابعة العصاة حتى نفوز على
الجميع .
(يخرجون)

الملك هنرى الرابع

الجزء الثانى

ترجمة الأستاذ مصطفى طه جيب

مراجعة

الأستاذ محمد شفيق غربال الأستاذ محمد بدران

أشخاص الرواية

Rumour	:	الإشاعة ^(١) تقدم الرواية
King Henry IV.	:	الملك هنرى الرابع
	:	الأمير هنرى . . الذى توج فيما بعد ملكاً باسم هنرى
Henry, Prince of Wales	:	الخامس
	:	أبناء الملك هنرى الرابع
Prince John of Lancaster	:	الأمير جون لا نكستر
Prince Humphrey of Gloucester	:	الأمير همفري جلوستر ،
Thomas (Duke) of Clarence	:	الأمير توماس كلارنس
	:	رجال من شيعة الملك
Earl of Warwick	:	إيرل وروك
Earl of Westmoreland	:	إيرل وستمورلند
Earl of Surrey	:	إيرل سري *

(١) تقوم الإشاعة بتقديم الرواية لترى بين حوادث الجزء الأول والجزء الثانى من مسرحية « الملك هنرى الرابع » وتظهر على المسرح متخفية فى قناع من الجلد تخرج منه عدة السنة مجنحة وقد وضعت على رأسها قلنسوة على صورة لسان ذى جناحين كبيرين وهى صورة مألوفة للإشاعة كما صورها الأدباء من قديم ويرجع أصلها إلى فرجيل وشوسر .
* هؤلاء يمثلون دورهم بالإشارة لا بالنطق .

إيرل كنت *

Gower

جور

Blunt

هاركورت

Harcourt

سير جون بلنت *

: اللورد قاضى القضاة

: خادم قاضى القضاة

Earl of Northumberland

: إيرل نورثمبرلند

Scroop

: إسكروب رئيس أساقفة يورك

Lord Mowbray

{ لورد موبراي

Lord Hastings

{ لورد هاستنجز

Lord Bardolph

{ لورد باردولف

Sir John Coleville

{ سير جون كولفيل

Travers

: من حاشية نورثمبرلند

ترافرس

Morton

:

مورتون

Poins

: رائد الأمير هنرى

إدوارد بوان

Sir John Falstaff

{ فولستاف

Bardolph

{ باردولف

Peto

{ بيتسو

Pistol

{ بيستول

غلام	: تابع فولستاف .
شالووسيلنس	: من قضاة الريف Shallow, Silence
دينى	: خادم شلو Davy
فرانسس ، وندل وآخر	
فانج ، وسنير	: جاوئش وأحد ملاك الأراضى Fang, Snare
مولدى ، شادو ، وارت ، فييل ، بلكاف : جنود ريفيون	
	Mouldy, Shadow, Wart, Bullcalf
السيدة نورثمبرلند	: Lady Northumberland
السيدة برسى	: Lady Percy
كويكلى	: صاحبة الحانة Mistress Quickly
دول تيرشيت	: Doll Tearsheet
خاتمة	
سادة وخدم ، بواب ، قواصون	
ثلاثة من فارشى السمار	
المنظر	: لإنجلترا .

الجزء الثانى

من مسرحية الملك هنرى الرابع
(وركورث - أمام أبواب قلعة نورمبيلند)

(مقدمة)

[تدخل الإشاعة وقد لبست قناعا تدلت منه ألسنة متعددة]

الإشاعة : افتحوا آذانكم وانصتوا ، فهل منكم أحد يرد أن يسد
أذنيه

حين يتردد صوت الإشاعة العالى ؟

من الشرق إلى الغرب حيث تغيب الشمس
أجوب متنقلا من مكان إلى مكان مسرجة الريح
دائبة على إذاعة أنباء الحوادث

التي تبدأ بالوقوع على ظهر هذه الكرة الأرضية .

وعلى متن ألسنتى تركب النيمة التى لا تنهى أبداً
فأحملها من مكان إلى مكان وأعلنها بكل لغة
وأرسلها مدوية لأملأ مسامع البشر بكاذب الأخبار ،
فأتحدث عن السلام على حين تكون العداوة المتسيرة

- ١٠ وراء بسمه الأمن المتكلفة تدمى العالم .
ومن سواى أنا الإشاعة ، من سواى أنا
وحلى يخلق الحشود ويستعرض القوات المهولة التى
تتأهب لرد العدو
حينما تبدو الأيام كأنها تكن وليداً قذفته فيها الحرب
العاتية الغشوم
على حين أنها تحمل آثار شر آخر ،
١٥ وعلى حين أن لا شىء من ذلك يعكر صفو الزمان . .
وما الإشاعة إلا يراعة مثقبة تنفخ فيها التكهنات والأحقاد
وتلعب عليها الأهواء والتنبؤات . .
إنها آلة موسيقية سهلة الاستخدام يسيرة التناول
حتى ليستطيع أن يوقع عليها فى غير ما مشقة المارد
البليد الإدراك ذو الرؤوس المتعددة ،
وتنفخ فيها الجماهير المذبذبة المضطربة التى لا تقرأ أبداً .
ولكن ما حاجتى إلى أن أحلل وأشرح على هذا النحو .
٢٠ ذاتى المعروفة تماماً لمن ينتمون إلى أسرى ؟ .
وبعد ، فما الذى حملنى أنا الإشاعة على المجيء إلى هنا .
لقد بجئت ألث من الجرى لأسبق أنباء انتصارات
الملك هنرى

الذى صرع بعد قتال دام عنيف فى ميدان القتال
بشروزبرى،

هوتسبر الشاب ، وهزموه هو وجنوده شر هزيمة ،

وأطفأ لهيب الثورة

بدماء الثوار أنفسهم .

ولكن ماذا أقصد بقول الحق فى مستهل الحديث ؟

إن مهمتى أن أعلن أن هارى مونموث قد خر صريعاً

تحت وطأة سيف هوتسبر النبيل

وأن الملك اضطر أن ينجى رأسه الممسوح بالزيت
المقدس ،

ويعفره فى الثرى أمام قوة دووجلان وبطشه

لقد نشرت هذه الأنباء وأشعتها خلال البلدان الريفية

المنتشرة على طول الطريق ما بين ميدان القتال فى

شروزبرى

وبين هذا الحصن المتهم الذى عفا عليه الزمن ،

حيث يرقد والد هوتسبر نورثمبرلاند العجوز مدعياً المرض . .

وقد أقبلت الرسل والرسل تجرى على عجل متعاقبة

وقد أنهكها السفر

وما من واحد منها أتى بأنباء أخرى غير التى علمتهم

لهاها .

٢٥

٣٥

٣٥

لقد جاءوا عن السنة الشائعات بأنباء كاذبة تدخل
 السكينة على النفس ،
 وهي لكاذبها أشد خطورة من أنباء الشر الصادقة .
 (تخرج)

الفصل الأول
المنظر الأول
نفس المنظر السابق

[يدخل لورد باردولف]

لورد باردولف : (ناديا) من يحرس هذا الباب . . من هنا . . يا هذا
(يظهر البواب على السور من فوق الباب)

أين الإيرل

البواب : ما أنت يا سيدى حتى أقول له

لورد باردولف : قل للإيرل

إن اللورد بادولف هنا .

البواب : إن سيادة اللورد يتمشى الآن فى البستان

فإذا سمحت يا مولاي فاطرق الباب

وسيجيبك الإيرل بنفسه .

(يتقدم إيرل نورثمبرلند وهو يمرح متوكتاً على عصا وقد عصب رأسه)

لورد باردولف : ها هو ذا الإيرل قادم .

نورثمبرلند : ما وراءك من أنباء يا لورد باردولف فإن كل دقيقة
تمر الآن

يغلب أن تلد نازلة من النوازل ،
ولا غرو فالزمان أرعن أهوج أفات زمامه وأضحى
كالحصان الجامح

١٠

يطأ كل ما يلقاه أمامه .

لورد باردولف : سيدى الإيرل النبيل ،

لقد جئتك من شروبرى بنياً يقين .

نورثمبرلند : خيراً إن شاء الله .

باردولف : خيراً كما يحب القلب ويهوى .

لقد جرح الملك جروحاً مميتة أشرف بها على الهلاك ،
وكان من حسن الطالع الذى يصاحب مولاي اللورد
ابنك

١٥

أن قتل الأمير هارى لفوره ، وقد قضى دجلاس على
كل من الأخوين ولدى بلنت .

أما الأمير جون الشاب ورستمورلند وستافورد فقد ولوا
الأدبار من الميدان ،

روقع خنزير مونغوث السمين ، أى سير جون البدين
أسيراً فى يد ابنك .

أواه إن مثل هذا اليوم الذى جاهدنا فيه الأمراء
وأجهزنا عليهم

٢٠

وأحرزنا لأنفسنا نصراً مؤزراً يوم يتيه به الزمان ،
ولم تشهد الدنيا مثله منذ انتصارات قيصر .

نورثمبرلند : وكيف استقيت هذه الأنباء ؟

هل شهدت الموقعة بنفسك

أو قادم أنت من شروزبرى ؟

٢٥ باردولف : بل تحدثت مع أحد القادمين من هناك يا مولاي اللورد

— سيد كريم العنصر طيب السمعة .

وقد أفضى إلى بهذه الأنباء بكل أمانة على أنها

الحق الصراح .

نورثمبرلند : ها هو ذا خادمي ترافرس مقبل نحونا ، لقد بعثت به

منذ يوم الثلاثاء الماضي إلى هناك ليتسقط الأنباء . .

(يقترب ترافرس)

٣٠ باردولف : سيدى اللورد لقد مررت به فى الطريق وسبقته إليك ،

وهو غير مزود بأنباء مؤكدة

اللهم إلا ما عساه أن يكون قد استقاه منى ليعيده

على مسامعتك .

نورثمبرلند : هيه يا ترافرس ماذا تحمل لى من طيب الأنباء ؟

ترافرس : سيدى اللورد لقد لقينى فى الطريق سير جون أوو فريل

وأمرنى أن أعود إليك

وحملنى أنباء سارة ، ولما كان جواده أسرع عدواً
من جوادى

٣٥

فقد سبقنى فى الطريق. ، وعلى أثره جاء سيد آخر
يبحث جواده فى قوة وقد أنهكته السرعة إنهاكاً حماله
على أن يتوقف إلى جانبي

ليريح حصانه المكدود ،

وليسألنى الطريق إلى شستر ،

وقد استفسرت منه عن أنباء الموقف فى شروزبرى ،

٤٠

فأنبأنى أن الثورة قد خانها الحظ

وأن مهماز * الأمير الشاب هارى برسى قد برد

وحين بلغ هذا الحد أطلق لحصانه القوى العنان

وانحنى عليه يعمل مهمازيه فى جانبي حصانه الذى

أعياه طول السفر ،

وزاد خفقان قلبه سرعة العدو

٤٥

وظل يواصل حفزه بأشفار مهمازه حتى استجاب له

الحصان المضنى

فانطلق ينهب الأرض فجأة فى ثورة وعنف

لم يدعألى مجالا لمزيد من الاستيفصاخ .

* يلقب هنرى برسى بلقب Hotspur أى « المهماز الحامى » وبرود المهماز كناية عن

سوته .

نورتمبرلند : هيه يا رجل .

أعد على ما قال ، أقال لك إن مهمازى هارى برسى

الشاب قد بردا ؟

أقال لك إن هارى الحار الدم قد أصبح بارداً لاهياة فيه ،

٥٠

وأن الثورة قد خانها الحظ ؟

لورد باردولف : مولاي ماذا أقول ، وماذا أدع ؟

قسماً بشرفى لأراهن بكل أملاكى مقابل ربطة ساق

لا تساوى شيئاً ،

على أن مولاي اللورد الشاب ابنك قد أحرز النصر

اليوم وفاز فى المعركة —

ثق مما أقول ولا تدع الشك يخالجك لحظة فى أن

الأمر على غير ما ذكرت .

نورتمبرلند : إذا كان الأمر كذلك فقيم أطلق هذا السيد الذى

٥٥

وقف إلى جانب ترافرس

تلك الأنباء عن هذه الخسائر؟

باردولف : من . . ؟

هذا الرجل إنه مجرد وغد زعيم سرق الحصان الذى يركبه ،

ولعمري إنه لم يصدر فى أقواله إلا عن الخدس والرجم

وبالغيب .

ومع ذلك أنظر فيها هي ذى أنباء جديدة تفد علينا .

(يرى مورتون وهو يقترب منهما)

٦٠ نورمبرلند : أجل إن عارض هذا الرجل كصفحة الغلاف

تنبي عن طبيعة موضوع الكتاب الحزن الذى يضمه .

إنه كالشاطئ الذى يغمره الطوفان الغامر

حتى إذا ما انحسر ظلت على صفحته آثار الدمار
الذى أصابه

— تكلم يا مورتون وقل هل جئت من شروزبرى ؟

٦٥ مورتون بل فررت من شروزبرى يا سيدى اللورد النبيل ،

فررت من الموت الكريه الذى أرخى سدوله البشعة
على شيعتنا ليرهبها

نورمبرلند : وكيف ابنى وأخى؟

إنك ترتعد . وإن الصفرة التى تعالو وجهك

أفصح فى التعبير عن مرادك من كل لسان ،

إنك مثل ذلك الرجل الذى أزاح الستر عن خيمة

بريام^(١) ودخل إليه فى جوف الليل

٧٠

مضعضاً منهوكاً مقطوع النفس كتيباً

تعلوه صفرة الموت وقد خيم عليه الأسى

ليبلغه بأن طرودة قد احترق نصفها .

ولكن بريام كان أسرع إلى معرفة نبأ الحريق من
منظره قبل أن يستطيع الرجل النطق بما أراد أن يقوله له ،
وأنا كذلك قد عرفت موت برسى قبل أن ينطق به
لسانك ،

٧٥

إنك تود أن تبادلني الحديث بذكر مناقب ابني فتقول
هكذا : إن ابنك قد أبلى في هذا ، وأبلى في ذاك ،
وإن أخاك قتل هذا وأن النبيل دوجلاس قد جاهد
جهداً عظيماً ،

فتملاً أذني المتشوقة ببلائهم النبيل ،
ولكنك في النهاية تصك أذني بما يصمهما عن الاستماع
إلى أي شيء آخر
بأهة تطلقها تبدد كل ما صغت من آيات مجدهم
وشجاعتهم
وتختم قولك بأن أخى وابني والجميع قد ماتوا .

٨٠

مورتون : إن دوجلاس لا يزال على قيد الحياة وأخوك كذلك ،
أما سيدى ومولاى ابنتك . .

نورثمبرلند : ويللى ، إنه مات ،
أرأيت كيف يجد الشك جواباً سريعاً .

إن الذى يراوده الخوف من شيء ما لا يريد أن يعرفه ،
تأتيه المعرفة بالغريزة من التطلع إلى عيون الآخرين
فيعرف أن ما كان يحذر قد وقع ، ومع ذلك تكلم
يا مورتون

وقل لسيدك الإيرل إن تنبؤه كاذب .

تكلم ولا تخش مغبة التجروء على إيرل بتكذيبه وثق
أنى سأعد هذه نقيصة محبة

وأكافئك على الإساءة إلى خيراً .

مورتون : إنك أعلى مقاماً من أن أناقضك ،

وإن روحك لروح صدق وإن مخاوفك لحقيقة
لا جدال فيها .

نورثمبرلند : وعلى الرغم من كل ذلك فإنى ما زلت آمل ألا تقول
إن برسى قد مات ،

إنى لأرى فى عينيك اعترافاً غريباً بموته . وإن لم
تنطق به شفتاك ،

إنك لتهز رأسك وتمسك لسانك عن قول الحق معتقداً
أن وراء الجهر به خطراً كبيراً أو إثمًا عظيماً

قل الحق ولا تخف شيئاً . وإن يكن قد مات فأفصح ،
فما أجرم لسان يحمل نبأ موته .

فالاتم من يكذب على ميت ،
لا الذى يقول إن الميت ليس حياً .

ولكن الذى يبادر بحمل الأنباء السيئة ١٠٠

يؤدى عملاً غير مشكور ، ويظل لسانه يرن فى الآذان
كأنه ناقوس الوداع الرتيب الكئيب
الذى يقرع لوداع صديق راحل .

لورد باردولف : لا أستطيع أن أتصور يا سيدى اللورد أن ابنك قد مات .

مورتون : إنى لأسف إذ أحملك على تصديق هذا الذى

تمنيت على الله ألا أراه ولا تشهده عيناي .

ولكن عيني هاتين قد رأته وهو مضرج بدمه وقد
أخذته الوهن والإعياء ،

يحاول أن يرد الضربة بضربة مثلها لمارى مونموث الذى
عاجل برسى بضربة ألقت به إلى الأرض صريعاً

وهو الذى لم تخنه شجاعته قط

١١٠

ومن ثم لم يستطع بعدها أن يهب على قدميه أبداً وفيه بقية
من حياة .

ولأوجز الحديث فاقول لكم إن موت هذا الذى كانت

روحه تشعل الحماسة

فى صدر أشد الفلاحين خوفاً فى معسكره

حين انتشر نبؤه في الصفوف
سلب أشد عسكره شجاعة وصلابة حماسهم وحميتهم
ذلك أن رجاله كانوا يستمدون صلابتهم وثباتهم من قوة
روحه وشدة بأسه ،

١١٥

فلما انثلم حد سنانهم انقلبوا بعضهم على بعض
وعادوا سيرتهم الأولى من الحمل وفتور الهمة والتشاغل
كأنهم رصاص بليد ثقيل .
وكما أن الجسم الثقيل في ذاته

١٢٠

إذا اندفع بشدة انطلق مسرعاً في طريقه ،
كذلك فعل جنودنا الذين أثقل كاهلهم الحزن على فقد
هوتسبر

وزادهم الخوف خفة
فاندفعوا يفرون من الميدان طلباً للسلامة
بأسرع مما تنطلق السهام من كنانتها إلى مرماها .
وفي تلك الساعة سرعان ما وقع النبيل ورستر في الأسر ،
وسرعان ما بارك الإسكتلندي العتيد دوجلاس الدموي ،
الذي أبلى سيفه أحسن البلاء في المعركة
وسفك دماء ثلاثة كانوا يشبهون الملاك في مظهرهم ،
سرعان ما بارك فعال جنوده المخزية وتعلى عن كبريائه

١٢٥

وأطلق ساقيه للريح مقلداً أولئك الذين ولوا ظهورهم

للمعركة .

١٣

ولكنه فى فراره عثرت قدمه من الخوف فأحيط به وأسر
وغاية القول

أن الملك كسب المعركة وأنه بعث بقوات أخرى
تسير بأقصى سرعة تحت قيادة الشاب لانكستر
ووستمورلند للملاقاةك يا مولاي .

هذه هى الأنباء بأكملها .

١٣٥

نورثمبرلند : أما عن هذا فإنى سأجد يوماً ما وقتاً كافياً للأسى .

إن فى السم ترياقاً ،

وهذه الأنباء كان من شأنها أن تسقمنى لو أنى كنت
صحيحاً معافى ،

أما وأنا مريض فقد شفقتنى إلى حد ما ،

وكما أن المريض البائس الذى أنهكت الحمى مفاصله
وجعلت أطرافه تنوء تحت ثقل جسمه الحى ويتساقط
تحت عبئها كما تتساقط المفاصل الواهنة .

١٤٠

يثور خوفاً من النوبة التى تأتية ، وينفلت من بين
ذراعى من يمرضه ،

وينطلق في عنف شديد لا يستطيع أن يكبحه أحد
 كأنه النار إذا اشتعلت . فكذلك أنا ،
 فإن يكن المرض قد أضعف أطرافى وأوهنها ، فإن هذه
 الأحزان التى استارتنى
 قد جعلت قوة مفاصلى تتضاعف ثلاثة أضعاف .. إليك
 عنى الآن أيتها الغصاة الأنيقة التى يتوكأ عليها المرضى ،
 إن هذه اليد يجب أن يغطيها قفاز ذو صفائح ومفاصل
 من الصلب .

١٤٥

وبعداً لك أيضاً أيتها العصاة اللينة التى يرتديها الناقهون ،
 فأنت وقاء رقيق للرءوس لا يصمد لطعنات الأمراء
 الذين مرنوا على الهجوم وتمرسوا بالغزو .

ولأربطن جبهتى بالصلب وأضع على رأسى قلنسوة
 الحرب الحديدية

١٥٠

ثم فلتوافنى بعد ذلك أشد ساعات الزمان حلقة
 وليواجهنى أقصى ما يستطيع الحقد والزمن أن يسددها
 إلى نورمبرلند الغاضب !
 فستجد منى نفرة بنفرة وثورة بثورة .

فلتنطبق السماء على الأرض وليسُدَّهما الاضطراب
 والقوضى ولتخل يد الطبيعة عن نظامها

لترك المحيط الثائر يغمر الأرض بمائه وليندثر النظام
وتحل القوضى

١٥٥

وتصبح هذه الدنيا مسرحاً متصل الفصول
يؤجج روح الشر والعداوة ويزيد ضرامها أمداً لانهاية له ،
وتسود فيه روح قابيل وحدها ، روح الابن البكر
قاتل أخيه ،

ولتنطو كل الصدور على هذه النزعة الدموية حتى
حتى ينتهى هذا المنظر البشع

١٦٠

بانتهاء البشرية كلها ودفنها في الظلام الأبدى .
ترافرس : إنك تسىء إلى نفسك يا مولاي بإطلاق العنان لهذه
المشاعر العنيفة .

باردولف

: لا تخل بين حكمتك وفارك يا مولاي بل اجعلهما
قرنين كالعهد بك أيها الإيذرل الحبيب

مورتون

: إن حياة أعوانك المحبين لتعتمد عل صحتك
التي إن استنفدتها على هذا النحو في هذه الثورات العنيفة
فلا مفر لها من أن تتداعى —

١٦٥

لقد حسبت حساب الحرب يا سيدى اللورد النبيل —
وقدرت احتمالات الكسب والخسارة قبل أن تنادى
بتجيش الحيوش للثورة في وجه الملاك ،

ولا بد أنه كان في تقديرك
أنه حين يحمى وطيس القتال وتشتد الضربات سيقع
ابنك فريسة لإحداها ،
ولأنك لتعرف أنه مخاطر يمشی إلى الهيجاء على أذق
من الصراط ،
ولأنه بهذه المخاطرة أدعى إلى أن يسقط من أن يتغلب
وينجو ،
وكنتم تعلم حق العلم أن بدنه معرض للجروح والندوب ،
وأن روحه الغلابة النائرة
ستحمله على أن يخوض أشد الأماكن خطورة سعياً
وراء النضال .

١٧٠

ومع ذلك لم تتردد في أن تقول له تقدم .
ولم يكن شيء من هذا ، وإن كان متوقعاً حدوثه ،
ليكبح جماح الحوادث عن أن تسير في طريقها في
عناد وإصرار ،

١٧٥

فما الذي جد بعد ذلك ؟
أو ما الذي أتت به هذه المغامرة الجريئة من جديد
غير ما كان متوقعاً أن يحدث ؟

لورد باردولف : لقد كنا نحن الذين اشتركنا جميعاً في هذه المغامرة
السبئية الطالع

١٨٠

شعر أننا نغامر في بحار خطرة مضطربة .
وأن فرص النجاح أماننا ضئيلة وأنها لا تعدو واحداً إلى
عشرة .

ومع ذلك غامرنا أملاً في الكسب المنتظر ،
وأسكننا كل مظان الخطر الذي نخشى وقوعه ،
وما دمنا قد غلبنا على أمرنا . فلنغامر مرة أخرى علنا
نستعيد مكاننا .
فهي نحاول مرة أخرى ولنضجح كلنا في سبيل ذلك
بحياتنا وأموالنا .

. ١٨٥

مورتون : لقد آن الآوان أو فات يا سيدى اللورد النبيل .
ولقد سمعت خبراً لا أشك في صحته ، وأنا أصغر في
قول عن غاية الصديق ،
أن رئيس أساقفة يورك ، ذلك الرجل الوديع ،
قد هب ثائراً على الملك تؤيده قوات منظمة .
والأسقف يا سيدى رجل تربطه بأعوانه وشائج متينة
مزدوجة .

١٩٠

إن سيدى اللورد ابنك لم يكن له سلطان إلا على
الأبدان،

فلم يحارب معه إلا الأشباح والأبدان .

ذلك أن وصف الحركة بالخروج على الملك

فصلت ما بين أعمال البدن وأعمال الروح عند هؤلاء الناس،

١٩٥

وكانت مثار نزاع بين أرواحهم وأبدانهم ، فكانوا

يحاربون بشعور مريض وعلى مضض .

كما يفعل الذين يتعاطون الجرعات الطبية ، فكان

أسلحتهم وحدها هي التي كانت معنا

أما قلوبهم وأرواحهم

فقد جمدها كلمة الخروج على الملك ،

كما يتجمد السمك في البركة . أما الآن فإن الأسقف

٢٠٠

قد خلع على هذه الثورة ثوب الدين ،

وإذا كان الأسقف معروفاً بالإخلاص والقداسة في

جميع أفكاره ،

فقد تبعه الناس بأجسادهم وعقولهم .

وزاد ثورته فضلاً وقوة حين جعل من ريتشارد شهيداً،

وجعل دوافعها الانتقام لنفس أزهقت بالباطل في

بومفرت

٢٠٥

وأرجعها إلى الله فهو الذى يحفزه وهو الذى يسيطر عليه
ومنه يستمد العون لتحقيق غايته .

وقال للشعب إنه يهب ليحمى أرضاً مزقتها الطغيان ،
وما زالت تتطلع إلى الحياة تحت سلطان بولنبروك العظيم .
وقد استجاب لدعوته العظماء والدهماء على السواء .

نورثمبرلند : لقد سمعت بهذا من قبل ، ولكن الحق أقول ،
إن هذه النازلة التى نزلت بي أخيراً قد محت ذكره من
رأسى .

تعالوا ادخلوا معى ولمتشاور مع كل إنسان
فى أيسر الطرق للسلامة والانتقام ،
وابعثوا الرسل وارسلوا المكاتيب واجمعوا الأصدقاء
والأعوان مسرعين .
فما كان أعواننا قط قلة وما أظننا فى حاجة إلى أكثر
من هؤلاء الأعوان .
(يخرجون)

المنظر الثاني

شارع فى لندن

(يدخل سير جون فولستاف يعرج متوكئاً على عصا يتبهم غلامه حاملاً سيفه ودرعه)

فولستاف : يا غلام ، أيها المارد ماذا قال لك الطبيب عن نتيجة تحليل البول ؟

الغلام : لقد قال يا سيدى إن البول نفسه طبيعى وصحى ، ولكن صاحب البول قد يكون مصاباً بأمراض أكثر مما يعرف أو يتصور .

فولستاف : إن رجلاً كثيرين من كافة الطبقات يشعرون بالزهو والفخار حين يتخذوا منى مادة لسخريتهم ، وعقل هذا الإنسان المخلوق من طين ، المحشو بالتزوات أعجز عن أن يبتدع شيئاً من السخرية اللاذعة أو الفكاهة المضحكة عما أبتدع أنا أو عما يصاغ للتندر بى ، فلست ألعياً فحسب ، بل ابعث حضور البدية وسرعة الخاطر فى غيرى من الناس . والآن : أرانى أمشى أمامك ، فأبدو كمختريرة قتلت صغارها

إلا واحداً منها . وإلا يكن الأمير قد ألحقك بي ليظهر ما بيني وبينك من فارق على خير وجه ، فإنني إذنب لساقط التمييز ، يا شبيه الإنسان يا ثمرة العهر ، لأول لك أن تثبت في قبعتي من أن تمشي خلفي وتقفو خطواتي . . وما حدث قط أن كان لي تابع في حجم فص من العقيق حتى جئت لي أمت ، ولكني لن أجعلك فصاً في حلية من ذهب أو فضة . بل سأكسوك بأحط الثياب وأعيدك إلى سيدك لقاء حلية أنالها منه . سأعيدك إلى سيدك الفتي الذي لم تثبت بعد لحيته . وإنه لأقرب عندي أن تثبت لحية في باطن كفي من أن تثبت شعرة واحدة في عارضى سيدك ، الذي لا يفتأ يقول إن له طلعة الملوك ، أتم الله بهاء خلقه حين يشاء ، فوجهه لا يشين صفاءه شيء قط . وله أن يستبقيه ملوكياً كاملاً^(١) فلن يكسب حلاق منه بضع بنسات أبداً . وسيدك رغم ذلك لن يفتر عن المباهاة كما لو كان قد بلغ مبلغ الرجولة وأبوه بعد أعزب . ولسيدك أن يقدر نفسه كما يشاء لها ، أما أنا فلي فيه رأي آخر . هذا ما ينبغي أن تتأكد منه . . وماذا قال لك المعلم

(١) الملوكي عملة إنجليزية قيمتها عشر شلنات ، أي هو أوسع الوجه .

دومبلدون عن التحرير اللازم لبطانة معطى القصير
وأكمأى الواسعة ؟

٣٢

الغلام

: قال ياسيدى إنه ينتظر منك أن تقدم له ضامناً خيراً من
باردولف ، فإنه لا يستطيع أن يقبل ضمانك وضمانه ،
وأنه غير راض عن هذا الضمان .

٣٧

فولتاف

: ألا فليلعنه الله كما لعن الفتى الشره^(١) ، وليحترق
لسانه باللهب أكثر فأكثر . إلا أنه اخيتوفل^(٢) جديد
وليد بغى ، وغد شرير يقول بلسانه ما ليس فى قلبه
يبدى استعدادة لخدمتى ثم من ورأى يصمم على ضمان
إن هؤلاء الأوغاد ذوى الرؤوس الفارغة لا يستخدمون
إلا الأحذية المرقعة الكعوب ويضعون حزم المفاتيح
فى مناطقهم فإذا ما عاملهم إنسان بالخير ، معاملة
أمانة لا أصروا على المطالبة بالضمانات . ولعمري
لأفضل عندى أن يملأوا فى بالسم من أن يحاولوا
إسكاتى بالإصرار على كلمة « الضمان » لقد توقعت
أن يبعث إلى اثنتين وعشرين ياردة من التحرير لأنى
فارس أمين . ولكن ما الذى بعث ؟ بعث يطلب

(١) إشارة إلى قصة الفتى ولمازر - الكتاب المقدس لوقا ١٦ : ٢٤ .

(٢) من مشيرى النوى داود الذين اشتركوا مع ابنه إيشالوم فى الثورة ضده انظر .
الكتاب المقدس ، صمويل الثانى ١٥ عدد ١٧ .

ضماناً يطمئن له . فليطمئن ، فقرنه نام ، ومن خلال
القرن يلوح فجر امرأته ، ولكن الديوث لا يرى شيئاً
على الرغم من أن لديه مصباحاً يضيء ما حوله .
وأين ياردولف .

٥٤

الغلام : لقد ذهب إلى سميث فيلد ليشترى لسيادتك حصاناً .
فولستاف : لقد اشتريته في سانت بول وسيشترى لي حصاناً من
سميث فيلد وليتني أستطيع أن أبجد زوجة في إحدى
المواخير إذن لجمعت بين السوءات الثلاث في العبد
والحصان والزوجة (١) .

٦٠

(يدخل كبير القضاة ومعه خادم)
الغلام : سيدي ، إن الرجل النبيل الذي حكم على الأمير لضربه
إياه بسبب ياردولف قادم نحونا .

٦٤ فولستاف : انخفضي عن ناطره فأنا لا أريد أن أراه .
(يتسلل إلى عطفة والغلام خلفه)

كبير القضاة : من هذا الذي يسير هناك ؟
الخادم : إنه فولستاف إن أذنت يا مولاي .
٦٨ كبير القضاة : أهو هذا الذي كان موضع الاتهام في حادثة السرقة

(١) في الأمثال الإنجيلية أن من يذهب إلى وستمنستر للزواج أو إلى سميث فيلد
لشراء حصان أو إلى سان بول لشراء عبد فقد يجد العاهر والوغد والحصان المهزيل .

الخدم : هو نفسه يا سيدى اللورد ، ولكنه منذ ذلك الوقت

قام بأعمال عظيمة فى شروزربرى وهو مكلف فيما سمعت

الآن بمهمة لدى اللورد جون لانكستر

٧٢

كبير القضاة : أهو ذاهب إلى يورك ؟ استدعه للقاءى .

الخدم : يا سير جون فلستاف .

٧٦ فولستاف : قل له يا غلام إنى أصم لا أسمع .

الغلام : ارفع صوتك ليسمعك سيدى فهو أصم .

كبير القضاة : أنا واثق من أنه يصم أذنيه عن كل ما هو خير .

اذهب وامسكه من ذراعه وأت به فأنا أريد أن أتحدث

إليه .

(يجرى ويمسك بكفه)

٨٢ الخادم : يا سير جون .

فولستاف : ما هذا ! وغد حدث ومتسول أيضاً ؟ أليس فى

الدنيا حروب ؟ أليس فى الدنيا عمل ، أليس الملك فى

حاجة إلى رعايا ؟ وأليس الثوار فى حاجة إلى جنود ؟

وإذا كان من العار أن تنحاز إلى أى فريق إلا فريق

معين فلاهون أن تنحاز إلى الفريق الأسوأ من أن

تتسول ، حتى ولو أطلق على الجانب الأسوأ اسم أشد

سوءاً من لفظة « ثورة » .

- ٩٠ الخادم : لقد أخطأت قصدى يا سيدى .
- فولستاف : يا سيدى كيف أخطئ قصدك ؟ هل قلت إنك رجل شريف ، وإنى لأنزل عن فروسي ورجلي وأقول لك إنى كاذب ، لو أنى قلت لك ذلك . ٩٤
- الخادم : أرجوك يا سيدى أن تنزل عن فروسيتك وأن تأذن لى أن أقول لك إنك كاذب لو أنك قلت لى شيئاً آخر غير أنى رجل شريف . ٩٨
- فولستاف : وكيف آذن لك أن تقول لى هذا ! وكيف أتخلى عما هو متعلق بى ! إن أنا أذنت لك بهذا فلأشتق ، وإن أنت أذنت لنفسك فأجدى بك أن تشتق . ١٠٣
- أنت كلب صيد ضل أثر صيده . امش !
(يقرب كبير القضاة)
- الخادم : (ينحى) سيدى إن مولاي اللورد يرغبى أن يتحدث إليك .
- فولستاف : سيدى اللورد الطيب ، أطاب الله يومك ، لشد ما أنا مسرور بلقائك خارج بيتك ، فقد علمت أن سيادتكم مريض ، وأرجو أن تكون قد خرجت من البيت بنصيحة أطبائك ، فسيادتكم رغم أنك لم تتجاوز سن الشباب عليك مسحة من الشيخوخة وبك أثر من فعل الأيام .

١١٥ فأتوسل إليك بكل خضوع يا مولاي أن ترعى صحتك ،
كبير القضاة : لقد بعثت في طلبك يا سير جون قبل سفرك إلى
شروزبرى .

فولستاف : إن أذنت يا مولاي لقد بلغنى أن الملك عاد من حملته
في ويلز يشكو بعض العلة والإرهاق . ١٢٠

كبير القضاة : لست أتكلم على جلالة الملك ، ولكنى أقول إنك
امتنعت عن المثلث أمامى حين دعوتك للحضور .
فولستاف : وبلغنى أكثر من ذلك أن جلالتة أصيب بهذا الصرع
الملعون . ١٢٤

كبير القضاة : شفاه الله ، وأرجو أن تدعى أتحدث إليك .
فولستاف : هذا الصرع كما أعلم هو نوع من الحمول ، نوع من
الحذر يصيب الدم ، هو وخز لعين .

١٣١ كبير القضاة : لم تصف لى أعراض هذا المرض ؟ ليكن ما يكون .
فولستاف : إن مبعثه هو الحزن واشتغال البال وكد الدهن . ولقد
اطلعت على سببه وأعراضه . فى كتاب جالينوس ،
إنه نوع من الحذر .

كبير القضاة : يخيل إلى أنك مصاب بهذا المرض ، فإنك لا تسمع
ما أقول لك . ١٣٧

فولستاف : فليكن ما ترى يا سيدى اللورد ، إن أذنت لى فإن

- ١٤١ الذى أشكوه منه هو مرض ثقل السمع وضعف الإصغاء
- كبير القضاة : إذا عاقبتك بالسجن ووضع الأغلال فى قدميك فإني سأشفيك من هذا الصمم المتعمد . ولست أبالي أن أكون طبيبك المداوى . ١٤
- فولستاف : إني فقير يا سيدى اللورد . فقر أيوب . ولكنى لست أكثر منه صبراً ، وفى طوقك يا سيدى أن تجرعنى وصفتك وتحبسنى لفقرى ، ولكن المسألة التى يشك فيها العتلاء بعض الشك أو الشك كله هى مقدار صبرى على احتمال علاجك . ١٥٠
- كبير القضاة : لقد بعثت أستاذعك حين كانت هناك أمور خطيرة تنسب إليك قد تقتضيها حياتك لأستجوبك فى شأنها ، ولكنك امتنعت عن الحضور .
- فولستاف : لقد امتنعت عن الحضور عملاً بمشورة محامى العالم بالقوانين السائدة فى هذه البلاد . ١٥٦
- كبير القضاة : الحق يا سير جيون إنك تعيش مجللاً بخزى كبير .
- فولستاف : من له مثل سعة خصرى لا يستطيع أن يجلل بخزى أقل حجماً من هذا . ١٦٠
- كبير القضاة : إن دخلك ضيق ، ولكن لإسرافك عريض .
- فولستاف : وددت لو كان الأمر على العكس من ذلك يا سيدى .

فكنت ضيق الحصر عريض الدخل .

كبير القضاة : لقد أضللت الأمير الشاب .

فولستاف : بل لقد أضلني الأمير . فما أنا إلا السائل البدين الأعمى

وهو الكلب الذي يقودني .

١٦٨

كبير القضاة : إني لأكره أن أنكأ جرحاً قد التأم ، وأن أعاقبك على

جرم غفره لك حسن بلائك الأخير في الحرب في

شروزبري ، فقد أريت حسناتك فيها على سيئاتك في

جاذزهل . ولك أن تحمد هذه الحرب الضروس ،

فلولاها ما أقلت من معقبات عمالك السيئ بمثل هذه

السهولة .

١٧٣

فولستاف . سيلبي اللورد !

كبير القضاة : وما دام الأمر قد انتهى بخير فدع الأمور تجري في

أعنتها ، ولا توقظ الفتنة النائمة وتحرك الذئب الهاجع .

١٧٦

فولستاف : إن إيقاظ الذئب الهاجع خطر كتبع الثعلب الماكر .

١٨٠ كبير القضاة : وى . . إنك شمعة خير نصفها قد احترق .

فولستاف : بل شمعة ضخمة توقد في الحفلات والمواسم يا سيلبي

اللورد . كلها من الشحم المذاب السريع الاحتراق ،

وإذا قلت إنها من الشمع فإن ضخامة جسمي خير

برهان على ما أقول .

كبير القضاة : إن ذقنك ليس فيه شعرة واحدة بيضاء ولو أن شعرة بيضاء واحدة نبتت لعلمتك كيف تتصرف برزاة تناسب تقدم سنك .

١٨٥

فولستاف . إن كل شعرة في تحمل نصيبها من العرق والكد . أجل العرق والكد .

كبير القضاة : إنك تتبع الأمير الشاب في كل خطواته صاعداً وهابطاً وتصاحبه كالشيطان تملك عليه نفسه .

١٨٨

فولستاف : لست شيطاناً يا سيدى اللورد . فالشيطان كما تعرف ويعرف الناس عملة زائفة لا تفي بوزنها الحقيقي ، بل هي أخف قيمة . على حين أن الذى يرانى على ثقلى هذا لا يملك إلا أن يقبلنى على علاقى ، ذهباً خالصاً لا غش فيه ولا نقص فى قيمته ، دون أن يلجأ إلى الميزان . ولكنى أسلم مع ذلك أنى فى بعض الأحيان لست سريع الصرف والتداول ، فأنا بطيء المشى ولست أدرى ماذا أقول ، فلست ممن يستخدم فى الحساب ، والرجولة الحققة ليس لها حساب فى هذه الأزمان التى يقاس فيها كل شئ بما يجلبه من مال فى الاتجار الرخيص ، حتى إن الرجال ذوى الشجاعة الحقيقية قلما يجدون عملاً يليق بهم خيراً من قيادة الدببة فى المعارض ، والرجال ذوى البديهة

الحاضرة والنكتة المسعفة لا يجدون عملاً إلا سقاة في
 الحانات ، ويصرفون ذكاءهم ويضيعونه في جمع
 الحساب للزبائن ، وأصحاب المواهب الإنسانية الأخرى ،
 خضوعاً منهم للزمان الغادر الذي لا يقدر كفايتهم
 فيغبطهم عليها ، لا يكادون يساؤون حبة من خردل .
 وأنتم الكبار المتقدمون في السن لا تكادون تعرفون
 بكفايتنا نحن الشباب ، إنكم تقيسون حرارة عواطفنا
 نحن الذين لانزال في مستقبل العمر وميعة الصبا بمقياسكم
 العتيق الذي أحال كل شيء في أنظاركم ، أنتم الكبار
 الذين جفت مرائركم ، إلى شيء مرير . إني لأعترف
 صادقاً أننا نحن الطليعة من الشباب لانزل فتية لما
 تغادرنا الشقوة .

كبير القضاة : أما زلت تعد نفسك أنت الذي وخطك العمر وكتب
 اسمك في سبث المسنين بأبرز الحروف التي يعملها
 الزمن في أمثالك ؟ أما زلت تعد نفسك شاباً ؟ ألسنت
 تحس رطوبة العين ، وهن اليد وصفرة الخد ، وبياض
 اللحية ، وانضمار الساق ، وانتفاخ البطن ؟ ألم يتكسر
 صوتك ، وتضيق نفسك ، ويترهل وجهك ؟ وينجو
 ذكاؤك ؟ ألم يعد الزمن على كل أعضائك وحواسك ؟

ومع ذلك لا زلت مصراً على أن تسمى نفسك شاباً .
تباً لك يا سير جون . تباً . . تباً !

فولستاف : سيدى اللورد . لقد ولدت حوالى الساعة الثالثة بعد

الظهر برأس أبيض وبطن منتفخ بعض الشيء .
لقد استقبلت الدنيا منذ مولدى كهل المنظر ، أما عن
صوتى فقد كسرتة صيحات الحروب والصيد وأناشيد
الكنيسة المقدسة ، ولن أحاول بعد هذا مزيداً من
الدليل على فتوى وشبابى . وفى الحق أنى لست شيخاً
إلا فى حكمتى وإدراكى . وإذا عن لإنسان أن يتحدثانى
ويبارينى فى القفز والرقص على ألف مارك فليقرضنى
قيمة الرهان ، وأنا على أتم استعداد أن أقبل تحديه وأن
أدخل معه فى المباراة . أما عن الكلمة التى كالمها الأمير
لك فى أذنك فقد صدرت عنه بوصفه غراً أهوج ،
وتقبلتها أنت بوصفك سيداً عاقلاً رزيناً . وقد عفتة
على صنيعه هذا ، وندم الأسد الشاب على فعلته وكفر
عن خطيئته (مخاطباً نفسه) لا بالتمرغ فى التراب ولبس
المخرق من الثياب . بل بحق العذراء كفر عنها بلبس
الجديد من الحرير وشرب النبيذ الجاف .

كبير القضاة : حسناً .. أسأل الله أن يرزق الأمير الشاب رفيقاً خيراً منك .

فولستاف : بل اسأل الله أن يرزق الرفيق أميراً خيراً منه .
 ٢٣٠ فأنا لا أستطيع أن أخلص يدي منه .

كبير القضاة : لقد تكفل الملك بالأمر فقطع ما بينك وبين الأمير
 هاري ، فقد علمت أنك ذاهب في صحبة اللورد جيون
 ٢٣٤ لا نكستر للملاقة الأسقف هو ولورد نورثمبرلند .
 فولستاف : أجل ، والفضل في هذا لحيلتك يا سيدي . (رافعا صوته)

ولكن أرجو يا سيدي ألا يفوتكم الدعاء لنا . أنتم يا من
 تقيمون آمنين في أحضان الوطن تتمتعون بنعمة السلامة
 والأمن ، بألا تلتحم قواتنا بقوات العدو في يوم حار ،
 فأنا وحتى السيد المسيح لم أحمل معي إلا قميصين
 اثنين على أمل ألا أتعرض لعرق فياض . أما إذا كان
 لقاءنا في يوم حار واضطرت أن ألوح بشيء غير
 زجاجتي هذه ، فلا شربت بعدها أبداً ، حتى لا أبصق
 بصاقاً أبيض من شدة السكر . ومهما يكن من شيء
 فإنه ما من خطر يطل برأسه ويهدد البلاد حتى أرى
 به ويبري بي لأعجله ، ولكني لن أدوم لم أبد الدهر ،
 وهذا ليس عجيباً ، فهو شأن شعبنا الإنجليزي منذ
 خلق حتى اليوم . لا يكاد يعرف عاملاً مجدداً حتى
 يدفع به دائماً في كل عمل ويدس به في كل أمر ،

حتى تصبح بطولته أمراً عادياً . وإذا كان حقاً ما تقول
من أنى رجل مسن فن واجبك أن تعمل على إراحته ،
وما أكثر ما تمنيت على الله ألا يكون اسمى مربباً للعدو
كما هو الآن ، إذن لكان خيراً لى أن أموت قاعداً من
البلى فى عقر دارى من أن تستنفذ قواى وأمزق إرباً
بهذه الحركة الدائبة التى لا تهدأ .

٢٥١

كبير القضاة : تحشم يا رجل . . وأحسن السلوك وليبارك الله لك فى مهمتك .
فولستاف : هل لسيادتك فى أن تقرضنى ألف جنيه لأستعين بها
على تجهيز نفسى .

٢٥٥

كبير القضاة : ولا ملياً واحداً . ولا ملياً واحداً . فثلك لا يحتمل
الضرب وداعاً وأبلغ تحياتى إلى ابن عمى وستمورلند .
(يخرج كبير القضاة ومعه خادمه)

٢٥٨

فولستاف : اقذف بى فى البحر بعثلة ذات ثلاث شعب إن أنا فعلت
ما قلت لى . إن الإنسان لا يستطيع بحال ما أن يفرق
ما بين الجشع وكبر السن ، إلا بقدر ما يفرق بين
الشباب والغواية ، ولكن النقرس يزيد مرارة المسنين
على حين يعذب الزهرى الشباب ويفريهم فرياً .
وهكذا لكل دور من أدوار الحياة لعناته التى تسبق
لعناتى . يا غلام !

٢٦٤

(١) يستعمل كلمة الضرب بمعنىين . صرب النقرس وضرب العقاب .

- الغلام : سيدى
 فولستاف : كم معى من النقود ؟
 ٢٦٧ الغلام : شلنن ونصف يا سيدى .
 فولستاف : لست أعرف دواء لهذا الداء الذى يستهلك مالى ،
 فالاقتراض لا يشفى .. ولكنه يمد أجل العلة ..
 أما الداء نفسه فقد عز على العلاج .. اذهب يا غلام
 واحمل هذا الخطاب إلى سيدى لورد لانكستر ،
 وهذا إلى إيرل وستمورلند ، وذلك إلى محظيتى
 العجوز أرسولا ، التى ما فتئت أقسم لها كل أسبوع
 أنى سأزوجها منذ نبتت أول شعرة بيضاء فى لحيتى ..
 هيا عجل عجل ونفذ ما أمرك به . ثم عد إلى وأنت
 تعرف أين تجدنى .

(يخرج الغلام)

أواه لست أدرى ما ألم بإخصى ! أهو النقرس أم هو
 الزهرى أهو داء المسنين أم داء الشباب ، إن أحدهما
 يفنى لإخصى ويؤله على أى حال . وإذا عرجت فما
 فى هذا من بأس فإن رداء الحروب عذر أتحملة
 لأخفى به دائى ، وسيضمن لى هذا مكافأتى عن
 بلائى . إن سعة الحيلة وحضور البديهة يستغلان كل
 شىء ، وسأحول العلة والعجز إلى راحة وكسب .

(يخرج وهو يمرج)

المنظر الثالث

قصر كبير أساقفة يورك

(يدخل كبير أساقفة يورك وهاستنجز وموبراي ولورد باردولف)

كبير الأساقفة : وهكذا استمعتم إلى قضا وأحطتم علماً بمدى قوتنا ،
فناشدتكم الله جميعاً أيها الأصدقاء النبلاء
ألا ما كشفتم في صراحة عن رأيكم في موقفنا وآمالنا
في النجاح ،
ولنبداً بك يا سيدي القائد العام فما رأيك في استعداداتنا
وقواتنا . .

موبراي : إلى أقر عن طيب خاطر بما حملنا السلاح من أجله ،
ولكني أكون أسعد
لو عرفت مدى ما لدينا من وسائل
لتحسين مركزنا وتدعيمه
لمواجهة قوات الملك وسلطانه .

هيستنجز : إن مجموع القوات التي جندناها والتي نستطيع حشدنا
في الميدان

تبلغ خمسة وعشرين ألفاً من صفوف الجنود الممتازين ،

ونحن نعتد في تعزيز قواتنا على أمل راسخ
في عون يأتينا من إيرل نورمبراند الذي يطوى حناياه
على ضغينة للملك تتقد بها جوانبه ،
وتسعرها ألوان الأذى التي حاقت به .

١٥ لورد باردولف . المسألة إذن : يا لورد هيستنجز ، وضعها الآن هكذا :
أهل في قدرة قواتنا الحالية وهي الخمسة والعشرون ألفاً
أن تصمد لقوات الملك دون عون من نورمبرلند .

هيستنجز : بل قد تستطيع الصمود ، إن أعانها .

باردولف : هذه هي المسألة بحق العذراء . . .

فإذا كنا نرى في أنفسنا دون عونه ضعفاً ،

٢٠ فرأى أن الأولى بنا ألا نخطو خطوة لا نستطيع تلافها ،
حتى نضمن أن مساعدته قد دنت منا .

أما التوهم والرجم بالغيب ، والتوقع وافترض العون غير
الأكيد ،

فأشياء لا يصح التعويل عليها في تدبير شئون خطيرة
تسفل فيها الدماء كتلك التي نحن بسبيلها .

٢٥ كبير الأساقفة : هذا صحيح جداً يا لورد باردولف .

وهذا هو الذي أودى بهوتسبر الشاب في شروزبرى .

باردولف : هذا هو عين ما حدث يا سيدى اللورد فقد طعم بالآمل .

وأكل الهواء على أمل أن يأتيه العون

وأغرى نفسه بحساب إمدادات

٣٠

جاءت أقل من أقل ما قدر في فكره .

وبهذا الخيال الجامح

الخيال الذى هو أليق بالمجانين . اندفع بقواته إلى الموت

مغمضاً العين عن واقع الأمر ، فكان الهلاك مصيره .

هستنجز : ولكن ، إن أذنت لى ، ما من ضير أبداً فى أن يحسب
الإنسان

٣٥

حساب الاحتمالات وأن يشكل الآمال .

باردولف : نعم ما من ضير إذا كانت نتيجة الحرب الحاضرة

متوقفة على المعركة الآتية .

ولكن فى هذا كل الضير إذا كانت المعركة الدائرة

كتلك التى نواجهها . .

فالاعتماد على النجاح فيها على الأمل

هو كالا اعتماد على الثمر من براعم باكرة تظهر فى الربيع

قبل إبانها .

ذلك أن الاحتمال فى أن يقتلها الصقيع فى أكمائها قبل

أن تزهر

٤٠

أكثر من احتمال نضجها وإثمارها .

إننا إذا أردنا البناء وجب علينا أن نقيس أبعاد الأرض
ثم نضع أنموذجاً للبيت .

فإذا عرفنا حجمه

قدرنا تكاليف البناء .

فإذا تبين لنا أنها تفوق قدرتنا

فأى شيء نعمل اللهم إلا أن نضع أنموذجاً جديداً
ننقص منه بعض المرافق لتتفق التكاليف مع قدرتنا .
أو على أسوأ الفروض أن يعدل عن البناء كلية .

٤٥

والأمر العظيم الذى نحن مقبلون عليه أشد وأدهى
من مجرد بناء .

إنه لأمر عظيم نتيجته فى الأغلب هدم عرش من أساسه
وإقامة آخر مكانه .

٥٠

ومن ثم فهو يستدعينا أن نفحص عن الموقف والخطة ،
وأن نتفق فيما بيننا على أساس متين .

وأن نستجوب المختصين . وأن نعرف مقدار مواردنا .

وكيف تستطيع خططنا

أن تواجه خطة خصومنا

٥٥

وإلا كنا كمن يتحصن بالورق ويتستر بالأرقام

ويعتمد على أسماء الرجال بدلا من الاعتماد على الرجال

إن مثل هذا كمثل الذى يضع نموذجاً لبيت
ليس فى طاقته احتمال تكاليفه فلا يقدر على تكملته
فيقف العمل فيه ولا يتم إلا نصفه . ويترك هذا
النصف الذى أنشأه

٦٠

معرضاً للسحب الباكية
ولأن تخريبه أنواء الشتاء القاسية .

هيستنجر

حتى ولو سلمنا بأن أماننا
على ما كانت تحمل من علامات احتمال النجاح
قد ولدت ميتة ،

٦٥

وأن ما لدينا الآن هو كل ما نرجو من النجديات ،
فإنى أرى أن ما نحن عليه من عدد وقوة — جيش قوى
متين

يكفل لنا أد نواجه الملك فى قوة توازن قواته .

باردولف

: أقوات الملك لا تتجاوز خمسة وعشرين ألفاً عدا ؟

هيستنجر

: إن القوات التى سنواجهها لا تزيد على ذلك . بل لعلها
لا تبلغ ذلك يا لورد باردولف . وهذا ما يعيننا ،

٧٠

ففرقه الثلاثة

موزعة على ثلاثة جيوش .

فقد وجه جيشاً لقتال الفرنسيين

وآخر لمواجهة جلندور . والجيش الثالث لا مناص

من أن يواجهنا .
وهكذا ترى هذا الملك المزعزع وقد تفرقت قواه أثلاثاً ،
وأخوت خزائنه حتى باتت تصفر فيها الريح من الفقر
والخلاء .

٧٥

كبير الأساقفة : ومن ثم فلا خوف إطلاقاً
من أن يجمع قواه جميعاً
ويواجهنا في كامل عدته وعدده .

هستنجر : لو أنه فعل ذلك لترك ظهره مكشوفاً ولتبعه الفرنسيون
والغاليون .

٨٠

على أعقابهم ينهشون أطرافه . . لا ، لا تخشوا هذا البتة .
باردولف : ومن الذى يحتمل أن يقود حملته علينا .

هستنجر : دوق لانكستر وستمورلاند سيقودان الجيش ضدنا .
وسيقود هو الحملة بنفسه ضد الغاليين ومعه هارى مونموث ،
أما من ينوب عنه فى الحملة على الفرنسيين
فلست اعلمه على اليقين .

٨٥ كبير الأساقفة . هيا بنا إلى العمل .

ولنبداً بإذاعة أنباء أسباب امتشقنا لحسام وانتقاضنا
على الملك .
فقد مات الجماعة هذا الذى اختارته ملكاً عليها .

وظفح كيل المحبة حتى انقلب إلى ضده ،
وبدأ الشعب يمج هذا الذي أغرم بحبه يوماً ما ،
فلا قرار ولا غناء لمن يحاول أن يبني عرشه على قاوب
العامة المتأرجحة التي لا تثبت على شيء .

٩٠

إيه لك أيها العامة الحمقاء
ألم تشق عنان السماء بهتافاتك العالية بخياة بولنجروك
والدعاء له

قبل أن يصبح ما أردته أن يكونه .

فلما ازدان بما كنت تطليه له

ملأت نفسك منه أيها الأكلول النهم

٩٥

حتى عتمته وبدأت من نفسك تدافعيه لتلفظيه وتحاولي
التخلص منه بكل سبيل

.. واهاً لكم أيها السوقه .. ما أشبهكم بالكلاب الفضالة !
ألم تلفظوا من بطونكم الشرهه وتلقوا في عرض الطريق
ملككم رشارد

وها أنتم الآن تعودون إلى قيئكم لتزددروا ما لفظتم ،

ولتعظمووا هذا الذي سبق أن تخليتم عنه . وأنتم

تتصايحون شغفاً به وبحثاً عنه . فأى أمان لمثل هذا

الزمان ؟

١٠٠

إن الذين تمنوا موت رتشارد حين كان حياً يرزق ،
 أصبحوا اليوم يتمسحون فى قبره موطين به ،
 وأنتم أيها السوقه الذين قذفتم بالرماد فى وجهه وهلتم
 التراب على رأسه المقدس -
 يوم عاد إلى لندن فى أعقاب بولنجبروك الذى استثار

إعجابكم
 وسار هو فى شوارعها فى حال من البؤس والألم ،
 وهى تحتفى مزهوة بمصرعه ،
 أنتم أيها السوقه أنفسكم تصيحون الآن أيها الأرض
 انشقى وأخرجى لنا ذلك الملك ، وخذى هذا !
 ألا لعنة الله على قلب أفكار الناس !

لأنهم ليخيل إليهم أن الماضى والمستقبل كلهما خير
 ليس بعده خير ، أما الحاضر فشر ما بعده شر .

موبزى : ألا نذهب الآن فنجمع قواتنا ونبدأ العمل ؟
 هستنجر : إننا رهن بمشيئة الظروف . وقد اقتضت الظروف أن
 نسير قدماً ولا بد لنا أن نطيعها فيما أمرت .

(يخرجون)

الفصل الثانى

المنظر الأول

ايست تشيب . بالقرب من حانة رأس الحلوف

تدخل صاحبة الحانة ومعها المحامى فانج وهو رجل ضخم خبيث

صاحبة الحانة : هل سجلت يا سيد فانج قضيتى ؟

فانج : لقد سجلتها .

صاحبة الحانة : وأين الشرطى ؟ هل هو شرطى قوى مقلد ؟ وهل

سينفذ أمر القبض بشجاعة .

فانج : (ينادى بأعلى صوته) يا غلام أين سنير ؟

صاحبة الحانة : رباه ! السيد سنير الطيب .

(الشرطى سنير ، وهو شرطى أعرج ، يدخل جارا قسيه جرا)

٨ سنير : ها أنذا . . ها أنذا

فانج : يجب أن تقبض على سیر مجون فولستاف يا سنير .

صاحبة الحانة : أجل يا سيدى الطيب سنير . يجب أن تقبض عليه .

١٢ قد اتخذت كل الإجراءات .

سنير : قد يكلف هذا بعضنا حياته . فربما طعننا بخنجره .

صاحبة الحانة : واخيبتاه لهذا اليوم المنكود . . خذوا حذرکم منه ،
فقد طعننى ذات مرة فى بئى . . فعل ذلك بوحشية
وأیم الحق ، غير آبه لما يحدث من أضرار ما دام سيفه
مشرعاً . إنه يطبق بسيفه على فريسته لا يبالى رجلاً
كان أو امرأة أو طفلاً .

٢٠

فانج : إذا استطعت أن ألثم به ، فلن أبالى بطعناته .

٢٤ صاحبة الحانة : لا ، ولا أنا ستجلىنى إلى جانبك .

فانج : آه لو استطعت أن أمسك به مرة واحدة . . وآه لو دنا

من قبضتى وأصبح فى متناول يلى

صاحبة الحانة . إن ذهابه إلى الحرب سيخرب بئى ، وأؤكد لكم أنه
مدین لى ديناً لا حد له ، فاقبض عليه جيداً أيها السيد
الطيب فانج . وأحكم وثاقه ، ولا تدعه يفلت يا سيد
سنير . إنه سيحضر على الفور إلى باى كورنر -
- وأستمحىكم الملعونة - ليشتري سرحاً لحصانه وهو
مدعو لتناول العشاء فى حانة « رأس اللبوة » ؟ فى
شارع لميرت عند السيد اسموث تاجر الحرير .
أتوسل إليكم أيها السادة ما دام الإعلان قد تم ،
وما دامت قضيتى قد ذاع نبأها فى الدنيا كلها ،
أن ترغموه على الحضور أمام القاضى ليجيب عن

دعواى ، فإن مائة مارك مبلغ ضخم لا تستطيع امرأة وحيدة مقطوعة مثلى أن تحتل خسارته . . لقد احتملت واحتملت فوق طاقتى ، وماطلنى المرة بعد المرة ، ما طلنى واستأجلى من يوم ليوم ، حتى بات مجرد التفكير فيما حدث عاراً وخزياً . إن مثل هذه المعاملة لا شرف فيها ولا أمانة ، إلا إذا أريد أن تكون المرأة مطية ذلولاً تحمل الإساءة من وغد خئون .

(يدخل سير جون فلستاف وباردولف والفلام مقبلين من الشارع)

انظروا ها هو ذا قادم من بعيد ومعه الوغد باردولف ذو الأنف الأحمر ، هيا أديا واجبكما ، أديا واجبكما هيا يا فانيج وأنت يا سنير هيا أديا واجبكما واقبضا عليه من أجلى .

٤٧

فلستاف : هيه يا رجال . . فيم هذه الضجة التى لا طائل وراءها وما شأنكما ؟

٥١ فانيج : سير جون إنى أقبض عليك بناء على طلب السيدة .
فلستاف : إليكم عنى أيها الأوغاد تنحوا ، جرد سيفك يا باردولف واقطع رقبة هذا الوغد بأمر منى ، وألق بهذه المرأة الدنسة فى قناة صرف الماء .

٥٤

(باردولف يجرد سيفه ويبدأ القتال على الأثر)

صاحبة الحانة : أيلقيني في القناة ، لألقينك أنت فيها ، أتجرؤ على أن تفعل هذا ، أتجرؤ أيها الشقي الحبيث ؟ ويك .
 هذه جريمة قتل نفس أيها الوغد القاتل ، أتجرؤ على قتل رجال الله ورجال الملك . . ويك أيها الشقي القاتل السفاك . . ما أنت إلا قاتل سفاك دماء رجال ونساء . ٦١

فولستاف : نحهم عنى يا باردولف .

فانج : النجدة النجدة

(يتجمع بعض المارة)

صاحبة الحانة : أيها الرجال الطيبون . . أحضروا نجدة أو نجدتين (الغلام ياجهما) إنك لن تجرؤ . . إنك لن تجرؤ..
 أفى إمكانك أن تجرؤ على قتلهم ؟ أفى إمكانك هذا ؟
 قل أيها الشقي تكلم يا سفاك الدماء (تضربه وتهرب) ٦٢
 (فانج يقبض على فولستاف)

فولستاف : (متعباً) اغرب أيها الخادم الحقيير ، تنح أيها الوغد المنتصب ، إليك عنى يا حامل العصا ، لتكونن آخرتكم على يدى .

(يدخل كبير القضاة ورجاله)

كبير القضاة : ماذا حدث . . الزموا الهدوء . . يا هؤلاء جميعاً .

صاحبة الحانة : سيدى الطيب ، أترسل إليك أن تحزنو على وأن تقف
فى صنى . ٧٢

كبير القضاة : ليه يا سير جون . . ماذا تفعل ؟ أنتشاجر هنا وتضج
وتصخب

أبلىق هذا بمكانتك وبوقتك هذا أو عملاك ؟
لقد كان حرياً بك أن تكون على الطريق تحت الخطى
إلى يورك ؟

. . ابتعد عنه يا رجل . لم تتعلق به هكذا ؟
صاحبة الحانة : أواه يا سيدى العظيم الموقر . . إن أذنت لى بالحديث
فأنا أرملة فقيرة من ايست تشيب ، وهذا الرجل مقبوض
عليه بناء على شكواى لانتفاضة حقى .

كبير القضاة : وكم يبلغ حقك هذا ؟
صاحبة الحانة : إنه أكثر من بعض مالى . . إنه مالى كله يا سيدى ،
فقد أخذ كل ما جمعت وأتى على الأخضر واليابس
فى بيتى ، والنهم كل مؤنتى فى بطنه البدين هذا ،
ولابد لى أن أسترده بعضها وإلا أخذت أنفاسه وركبت
رقبه كما يركب الكابوس الثقيل .

فولستاف : فى زعمى أننى أدنى إلى أن أركب المشتقة إذا وجدت
مرتفعاً من الأرض أصدد به عليها . ٨٨

كبير القضاة : كيف حدث هذا يا سيرجون ؟ تباً لك ، أو يليق
بالرجل ذى الميول الطيبة أن يجلب على نفسه هذه
العاصفة من السخط ؟ ألا تشعر بالحزى يا رجل حين
تضطر أرملة فقيرة أن تترك هذا المركب الصعب لكى
تتقاضى حقاً لها عليك ؟

فولستاف : ما هى جملة المبلغ الذى أنا مدين لك به ؟

صاحبة الحانة : لو أنك كنت رجلاً شريفاً فبحق العذراء أنت مدين لى
بنفسك وبالمال أيضاً : ألم تقسم لى وأنت جالس إلى
المائدة المستديرة فى حجرة الدرفيل فى فندقى وأنت
تصطفى نار الفحم الذى تجلبه السفن ، على الكأس
المذهبة يوم الأربعاء من أسبوع الأحد الأغر حين
شج الأمير رأسك لتشبيهك لإياه بأحد المغنين فى
وندسور ، ألم تقسم لى وأنا أغسل جرحك أنك
ستتزوجنى وتجعل منى السيدة زوجتك . هل تستطيع
أن تنكر هذا ؟ ألم تحضر أثناء هذا الحديث المرأة
الطيبة زوج الخزار لتستعير منى صباية من خل وسمى
الثرثرة وروت لنا أن لديها طبقاً شهياً من الجمبرى
فسال لعابك وأبدت رغبتك فى أن تأكل بعضاً منه ،

فقلت لك عندئذ أنه لا يناسب الجروح الحديثة التي لم تندمل بعد ؟ وألم تقل لي عندما هبطت السلم إنك لا تود أن أرفع الكلفة بيني وبين هؤلاء النسوة الفقيرات لأنهن سيدعونني بعد فترة قصيرة بسيلتي ؟ وألم تقبلني على أثر ذلك وتطلب إلى أن أقضك ثلاثين شلناً ؟ إني أدعوك الآن أن تجيب عن كل هذا وأن تقسم على الكتاب المقدس أن تقول الحق ؟ أنكر هذا يا رجل إن استطعت إلى الإنكار سيلا .

١١٦

فولتاف : يا سيدى ، هذه امرأة مسكينة ناقصة العقل ، إنها تهذى في كل مكان تذهب إليه وتقول على رموس الأشهاد إن ابنها الأكبر يشبهك تمام الشبه وتدعى أنك أبوه . فقد كانت هذه المرأة في سعة من الرزق ، ولكنها فقدت مالها . والحق يقال أن الفقر قد ذهب بعقلها . أما هؤلاء البلهاء من رجال الضبط فإني أرجو أن تنيلني حتى منهم .

١٢٢

كبير القضاة : يا سير جون . . يا سيد جون إني خير بأساليبك التي تقلب بها الحق باطلا ، أؤكد لك أن لا هذا التظاهر بالعزة والكرامة ولا هذا السيل من الكلمات التي تتدفق من لسانك في صلف واعتداد يفرق كل وصف ،

يمكن أن يحول بيني وبين أن أقر العدل في هذه
المسألة . فأنا أرى أنك قد احتلت على هذه المرأة
السهلة القيادة وسخرتها لخدمة أغراضك بنفسها ومالها .

١٣٢ صاحبة الحانة : هذا صحيح وأيم الحق يا سيدى .

كبير القضاة : أرجو أن تلزى الصمت . اسمع يا سير جون ، أد لهذه
المرأة دينها الذى اقترضته منها وعوضها عما ألحقته بها
من أضرار أد الدين نقداً صحيحاً واستغفر عن الأضرار
بتوبة نصوح .

فواستاف : سيدى اللورد . إنى لن أحتمل هذا التعنيف صامتاً .

بل لا بد لى من رد ، إنك تسمى يا سيدى الاعتزاز
الشريف بالنفس صلفاً وقاحة . فإذا ما استكان
الإنسان ولزم الصمت قيل عنه أنه رجل عفيف
صادق . لا يا سيدى ، ما هكذا يكون القول . .
إنى مع الخضوع والاحترام اللائقين بشخصك أقول
إنى لا أطلب مجاملة أو محابة . وإنما أطلب تخليصى
من قبضة هؤلاء الحراس لأنى أقوم بمهمة عاجلة في
خدمة الملك .

كبير القضاة : إنك تتكلم كأنما المهمة التى كلفك الملك إياها تبيح لك
أن ترتكب الأخطاء . تصرف فى الموقف يا رجل

بما تملية عليك سمعتك ومكانتك وأوف هذه المرأة
المسكينة حقوقها .

فولستاف : تعالى إلى يا صاحبة الحانة . .

(ينتحى بها ناحية)

(يدخل السيد جور ومعه رسالة)

كبير القضاة : والآن أيها السيد بجور . ما الأنباء ؟

جور : إن الملك يا سيدى والأمير هنرى أمير ويلز على الأبواب
أما بقية الأنباء فهذه الرسائل كفيّلة بإيضاحها .
(يقرأ كبير القضاة الرسالة وهو ممتنع فى أثناء قراءتها)

١٥٢ فولستاف : (جانباً إلى صاحبة الحانة) أعدك بشرفى وأنا السيد الشريف
صاحبة الحانة : لعمرى لقد قلت لى هذا من قبل .

فولستاف : أعدك وأنا الرجل الشريف . لا تتحلّى فى هذا الأمر
بعد .

صاحبة الحانة : بحق هذه الأرض الشريفة التى أقف عليها أن كلامك
هذا سيضطرّنى إلى أن أرتهن صحافى ومعلقائى التى أزين
: بها حجرة مائدتى .

١٥٧

فولستاف : دعك من الصحاف . . والأكواب . الأكواب هى
الأوعية الوحيدة المفضلة للشراب ، أما المعلقات فصورة
قصة مضحكة أو صورة قصة طفل من الإنجيل ،

أو صورة مقلدة لمنظر ألماني لصيد الغزال خير ألف مرة
من ستائر حجرة النوم أو معلقات الحوائط التي عشن
عليها الذباب . . اجعلى المبلغ عشرة جنيهات إن
استطعت . . هيا اهدنى فتالله لولا هذه الحدة التي
تنتابك أحياناً لما فضلتك امرأة في إنجلترا . اذهبي
واغسلي وجهك ، واسحبي شكواك ، اهدنى فما ينبغي
أن تعاملينى بهذه الغلظة ، ألا تعرفينى ؟ وما من شك
: في أنك قد دفعت إلى هذا العمل دفعاً .

١٦٨

صاحبة الخانة : أرجوك يا سير جون أن تكتفى بعشرين نييلاً^(١) ، فوأيم
الحق إنى لأكره أن أرهن صحافى والله يتولانى بعد ذلك .

١٧٢

فولستاف : خل عنك يا سيدتى . . فسأدبر الحصول على المال من
جهك أخرى ولكنك ستظلين طول عمرك حمقاء .

صاحبة الخانة : اسمع ستحصل على المبلغ ولو اضطررت إلى رهن
ردائى . . وآمل أن تأتى للعشاء وأن ترد لى جميع مالى
مرة واحدة .

١٧٧

فولستاف . إذا عشت . . (إل باردولف) اذهب معها ،
صاحبها ، لازمها حتى تحصل على القرض .

(١) النييل عملة إنجليزية تساوى ٨ شس و ٦ تلس

صاحبة الحانة : ألا تلتقي دول ترشيت على العشاء ؟

فولستاف : حسبنا كلاماً ، دعيتها تحضر .

(تخرج صاحبة الحانة وباردولف ومن ورائهما رجال الضبط والغلام)

كبير القضاة : (إلى جور) لقد سمعت أنباء ليست طيبة .

فولستاف : وما هي الأنباء يا سيدى ؟

كبير القضاة : (إلى جور) وأين قضى الملك ليلة أمس ؟

جور : قضاها في باسنج ستوك يا سيدى .

فولستاف : أرجو أن يكون كل شيء على ما يرام يا سيدى . .

ترى ما الأنباء يا سيدى ؟

كبير القضاة : (إلى جور) وهل عادت كل قواته معه ؟

جور : لا بل ذهب ألف وخمسمائة راجل وخمسمائة فارس لمعاونة

لورد لانكستر في حملته على نورثمبرلند وكبير الأساقفة .

فولستاف : هل عاد الملك من ويلز يا سيدى النبيل ؟

كبير القضاة : (إلى جور) ستتلقى خطابات منى فوراً ، فتعال معى

واصحبنى أيها السيد الطيب جور .

(يهتان باللعاب)

فولستاف : سيدى !

كبير القضاة : (محتداً) ماذا تريد ؟

فولستاف : (إلى جواد) أيها السيد جور أسمح لى أن أدعوك

لتناول العشاء معي ؟

جور : إن على أن أتبع سيدى الطيب هذا انتظاراً لأوامره ،
شكراً لك يا سير جون الطيب .

كبير القضاة : يا سير جون إنك تطيل التسكع هنا أكثر مما ينبغي ،
مع أن مهمتك تقتضيك أن تجند الجنود من كل
البلاد التي تمر بها . وأنت في طريقك للانضمام إلى
الأمير جون .

فولستاف : (إلى جور) هل لك في تناول العشاء معي أيها السيد
جور ؟

كبير القضاة : عن أى سيد أحق هذا الأدب يا سير جون
فولستاف : أيها السيد جور . . إذا كان سلوكي غير لائق فتالله
إن من علمني هذا الأدب لأحمق . (إلى كبير
القضاة) يا سيدى هذا هو أسلوب المبارزة وأدبها
الصحيح . دقة بدقة . . ثم يفرق الندان على وفاق .
كبير القضاة : فليخفف الله عنك ويرشدك . . فما أنت إلا أحق
كبير .

(يخرجون)

المنظر الثاني

لندن . حجرة في بيت الأمير

(يدخل الأمير هنرى وبوان وقد وصلا أخيراً من ويلز)

الأمير : (وهو يلتقى بنفسه على مقعد) أشهد الله أننى فى غاية الإعياء
بوان : أبلغ الأمر هذا الحد ؟ لقد كنت أحسب أن الإعياء
لا يجرأ على أن يرقى لمن كان مثلك من ذوى المراكز
السامية .

الأمير : فى الحق قد أصابنى الإعياء ، وإن كان فى الاعتراف
به ما يشين عظمتى ويخجلنى ، ألا يبدو مهيناً بى أن
تشهى نفسى زجاجة صغيرة من البعة ؟
بوان : إن نزعات الأمير ينبغي أن لا تنزل به إلى اشتها مثل
هذه الأشياء الدنية .

الأمير : إن شهيتى فيما يبدو ليست نبيلة كمحتدى . فى الحق
أن نفسى لتشهى البعة الصغيرة ، وإنى والحق لأذكر
الآن تلك البعة وهى ذاك الشئء التافه ، ولست أشك
فى أن هذه الأشياء الحقيرة لتبغضنى فى مكانتى
السامية ، وما أشد ما يصيبنى من العار إذ تبدلت إلى

حد أن أذكر اسمك ، بل وإلى أن أتعرف على وجهك
 في الغد حين تلقاني وأن أعني بعدد الجوارب الحريرية
 التي تملكها - أي هذا الزوج الذي تلبسه الآن والزوج
 الآخر الذي كان قرمزي اللون وذهب طول الاستعمال
 بلونه - وأن أعني في ذاكرتي مجموعة قمصانك التي
 لا تتجاوز واحداً للاستعمال وآخر يستبدل به بعد .
 ولكن هذا الأمر يعرفه خيراً مني حارس ملعب التنس ،
 فأنت لا تهجر أرض الملعب ولا تكف عن تسلية
 نفسك بالكرة والمضرب ما دام في جعبتك قميص
 تستطيع أن تظهر به هناك ، وهذا ما لم تفعله منذ زمن
 طويل لأنك اضطررت اضطراراً إلى أن تتخذ من
 قميصك الثاني ملابس لأطفالك غير الشرعيين .
 وهكذا أتت شهواتك الدنية على فضاة قميصك كما أتت
 الأراضي الواطئة على هولندا . والله وحده هو الذي يعلم
 هل هؤلاء الأطفال غير الشرعيين الذين أوهنوا قواك
 سيرثون ملكوت السموات . ومع ذلك فالقابلات يقلن
 دائماً إنه لا تثريب على هؤلاء الأطفال لأن بهم يكثر
 النسل ولأنهم يزيدون الأعقاب قوة وعدداً .

: يا لسوء العاقبة . ابعد كل الأحماد التي أتيت بها تذهب

روعة ما صنعت بهذا القول الغث ؟ هلا قلت لي
أيها الفتى كم من الأمراء الأجداد ذوى الفتوة يلغون
لغوك هذا ، بينما أبائهم يتنون تحت عبء المرض
كما يتن أبوك الآن ؟

٣٦

: بوان . . أفضى إليك بشيء واحد أطويه في دخيلة
نفسى .

الأمير

: نعم وأيم الحق . . على أن تقول شيئاً طيباً عظيماً .
: هو شيء يطيب سماعه لذوى الأفهام الذين لا يبذونك
نشأة ومحتداً .

بوان

الأمير

٤١

: هات ما عندك . . فأنا مهياً لتلقى أية صدمة ولن يهزنى
هذا الشيء الوحيد الذى ستلقى به إلى .

بوان

: لعمرى قد يكون من غير اللائق بي أن أكون حزين
النفس الآن لأن أبى مريض ولكن رغم هذا دعنى
أسر إليك بوصفك رجلاً اتخذته صديقاً لأنى لا أجد
خيراً منه . إنى محزون لمرضه محزون حقاً .

الأمير

٤٨

: ما أثقله من عبء أن تحزن لمرض أبليك .
: تا لله إنك لتأخذنى كأنما وهبت نفسى للشيطان وسجلت
اسمى فى كتابه كما فعلت أنت وفلستاف فأصبحتما
بلا شعور ولا وجدان مغرقين فى النذالة إلى أقصى حد .

بوان

الأمير

لتكن النهاية هي المحك الذى يكشف عن معدن الرجال.
ومع ذلك فدعنى أفضى إليك أن قلبي يذوب حسرة
ويتقطع لأن أبى مريض وأن مصاحبتى الأشرار من
امثالك قد جعلتنى بالتطبع غليظ المظهر لا أكاد
أظهر ما أخفى من حزن دفين .

٥٦

: وما سبب هذه الشكوى ؟

بوان

: ترى ماذا تظن بى لو أنى بكيت ؟

الأمير

: لا أظنك إلا أميراً مسرفاً فى النفاق .

٦١ بوان

: وهذا ما سيظنه كل إنسان، فما أنت إلا رجل محظوظ

الأمير

حين توافق خواطرك خواطر الناس جميعاً . وما من

إنسان أقدر على أن يحدو فى تفكيره حدو تفكير الناس

منك يا بوان . فإنك تسير على دربهم ولا ريب أن كل

إنسان سينعتنى بالنفاق والرياء . ولكن هلا قلت لى

ما الذى دعاك أيها القاضى الفاضل أن تحكم على

مسلكى هذا الحكم .

: لأنك غارق فى الملذات . . ولأنك شديد الارتباط

بوان

بفلسفات لا تكاد تفارقه .

٦٩

: وشديد الصلة بك أيضاً .

الأمير

: تالله انى رجل محسن السمعة طيب الأحدوة . ولقد

بوان

سمعت ثناء الناس على بأذني هاتين ، وأسرأ ما يقال
عنى أنى رجل معسر لأنى الأخ الأصغر وأنى رجل قوى
البنية جبار وهما صفتان أقر أن لا محيلة لى فيهما .
يا الله هذا هو باردولف قادم .
(يدخل باردولف ومعه الغلام فى ثياب غريبة)

٧٦

الأمير : ومعه الغلام الذى أعطيته فلستاف . . لقد كان حين
أعطيته إياه لا يزال بشراً سوياً ومسيحياً : ولكن انظر
كيف مسخه هذا الوغد البدين قرداً .
٨٠ باردولف : حفظ الله عظمتك .

الأمير : وحفظك أنت أيضاً . . أى باردولف النبيل !
باردولف : رويدك أيها الحمار الطيب . . أيها الغر الخجول
ألا بد لك من أن تعلوك حمرة الخجل ؟ وفيم تشند
حمرة خجلك الآن لقد صرت أقرب إلى امرأة خجول
منك إلى تابع سيد مقدم من المحاربين الأفذاذ كسيدك
هذا ؟ أئمة ما يدعو إلى أن تسيل حمرة الشراب من فنية
مغلقة هكذا ؟

٨٦

الغلام : لقد ناداني يا سيدى منذ لحظة من كوة الحانة الحمراء
حيث كان يحتسى زجاجة من نبيذ ولم أستطع أن أميز
بين وجهه الأحمر وبين زجاج النافذة الأحمر ،

ولكن أخيراً وقعت على عينيه وقد بدتا وكأنما تطلان

من ثقبين هما في ثوب صاحبة الحانة الأحمر الحديد .

٩٢

الأمير : ألا ترى أن الغلام قد انطلق لسانه واستفاد من صحبة
فلستاف ؟

باردولف : إليك عنى أيها الوغد الصغير .. أيها الأرنب المذعور
الذى يشب على رجله الخلفتين .

٩٦ الغلام : إليك عنى يا حلم الثيا^(١) اللعين .. إليك عنى .

الأمير : أفدنا يا غلام أى حلم هذا ؟

الغلام : بحق العذراء يا سيدى ، لقد حلمت الثيا أنها ولدت

١٠٠ شعلة من نار ، ولذلك أسميته حلم الثيا .

الأمير : هذا تأويل تستحق عليه نصف جنيته يا غلام ..

وهاك هو ذا (يعطيه نقوداً)

بوان : أواه ليت هذه الزهرة الطيبة تعيش بمنجاة من الآفات ،

١٠٥ وها هو ذا نصف شلن يصونك ويرد عنك المكروه .

باردولف : لئن لم تؤد به صحبتكم إلى المشتقة ، فإن هذه المشتقة

ستحرم من نصيبها المشروع الحق .

(١) حلم الثيا : رأت هكيبا فى منامها قبل أن تلد باريس إياها ولدت شعلة نار
ولما ولدت مليجر قيل لها إنه سيظل حياً ما دامت الشعلة لم تحترق . وسواء كان تكسير
هو الذى خلط بين الأسطورتين أو لم يكن فإن صدور هذا القول من الغلام يدل على أنه أوفى
شيئاً من العلم بالأدب القديم .

الأمير : وكيف حال سيدك يا باردولف ؟
 باردولف : بخير يا سيدى . لقد سمع بمقدم عظمتك إلى المدينة
 وهالك خطاباً منه .
 (يفض الأمير الرسالة ويقرا)

بوان : يا له من خطاب يقدم بمزيد من الاحترام . وكيف
 حال سيدك المكتنز لحماً ؟ ١١٢

باردولف : إنه سليم الجسم معاف يا سيدى ؟
 بوان : لعمرى إن شطره الخالد فى حاجة إلى طبيب ، ومع ذلك
 فهو لا يتحرك لخطايه ، وروحه إن تكن مثقلة بالخطايا
 مريضة فهي كعهدها لا تكف عن الشرور أبداً ولن
 تموت . ١١٦

الأمير : إنى لا أجزى لهذا السرطان الحبيث أن يألفنى كما يألفنى
 كلبي ، وهو يستغل مركزه منى إلى أقصى حد ..
 انظر كيف يكتب إلى ! ١١٩
 (يظهر عنوان الرسالة)

بوان : (يقرأ) « من جون فلستاف الفارس » إنه بصر على أن
 يعرف كل إنسان أنه فارس ، لأنه لا يتحدث عن
 نفسه فى أية مناسبة إلا أقحم هذا اللقب فى حديثه ،
 مثله فى ذلك مثل الأقربين إلى الملك فإنهم إذا ما وخزوا

أصبعهم نادوا « إن بعض دم الملك قد أريق » .
 فإذا سألهم سائل متغابياً : « كيف يحدث هذا ؟ »
 أسرعوا بانتهاز الفرصة لإسراع المستدين إلى تحية من
 يتوسم فيه الاستعداد لإقراضه ، وقالوا على الفور
 « نحن أبناء عمومة الملك الفقراء يا سيدي » .

١٢٨

: لا ريب في ذلك فهم يصرون على أن يثبتوا صلهم بنا
 ولو رجعوا القرون القهقري إلى يافث^(١) . ما علينا من
 من هذا ، ولنقرأ الرسالة (يقرأ) « من سير جون
 فلستاف الفارس إلى ابن الملك وأقرب الناس إلى أبيه ،
 هاري أمير ويلز ، أهدي تحياتي »

الأمير

: ويحه . . هذه شهادة .

بوان

: صه (يقرأ) « سأقلد الرومان الأشراف في الإيجاز »

الأمير

: لا مشاحة أنه يعنى قصر النفس ، إن أنفاسه ضاقت .

بوان

: (يقرأ) « أحبيك وأتمنى لك أطيب التمنيات وأقدم لك

الأمير

ثنائي العاطر وأستودعك الله . لا تسرف في الألفة مع
 بوان . فإنه يسىء تقدير مكرماتك إلى أبعد حد حتى
 ليقسم أنك ستتزوج أخته نل . استغفر لخطاياك
 كما يجب حين لا تجد شيئاً أفضل تشغل به نفسك . .

(١) يقال إن يافث هو الجد الأعلى للأوروبيين .

ووداعاً . المخلص لك إذا أحسنت معاملته . وغير
المخلص لك إذا أسأت معاملته . بجاك فلسطين
كما يلقبني خلصائي ، وجون عند إخوتي وأخواتي
وسير جون فلسطين كما تعرفي أوروبا كلها .

١٤٩ يون : سأعمر هذا الخطاب في النيبذ يا مولاي وأطعمه إياه .

الأمير : معنى هذا أنك ستجعله يبتلع كلماته عشرين مرة . .

ولكن قل لي يا ند ، أتعلمني عنى بهذه الطريقة ؟

١٥٢ وهل صحيح أنك قلت أني سأتزوج أختك لا محالة ؟

يون : أرجو ألا يصيب الفتاة حظ أسوأ من هذا ، ولكني

لم أقل ذلك أبداً .

الأمير : إننا نمضى حياتنا في العبث ، والملائكة من فوقنا تشرف

علينا من عليائها ساخرة من فعالنا (إلى باردولف) هل

سيدك هنا في لندن ؟

باردولف : أجل يا سيدى .

الأمير : وأين تناول عشائه ؟ هل تناول الخاف العجوز طعامه

١٦٠ في حظيرته المعتادة ؟

باردولف : أجل في مكانه القديم يا سيدى في ابست شب .

الأمير : وفي صحبة من ؟

باردولف : في صحبة من أهل المحبون المنحليين من أصدقائه القدامى .

الأمير : وهل تتعشى معه امرأة ما ؟
 باردولف : لا نساء إطلاقاً يا سيدى . اللهم إلا السيدة كويكلى
 العجوز والسيدة دول تيرشيت .

١٦ الأمير . وأياً تكون هذه الداعرة ؟
 باردولف : إنها امرأة شريفة يا مولاي وتمت بصاة القرابة إلى سيدى .
 الأمير : لعلها قرابة من طراز قرابة أبقار القرية لثور المدينة .
 ١٧٣ ألا نسقط عليهم يا ند فى موعد العشاء ؟
 بوان : أنا ألزم لك من ظلك وسأتبعك حيثما تذهب .
 الأمير : اسمع يا باردولف . . وأنت يا غلام . . لا تفوها بكلمة
 عن وجودى فى المدينة لسيدكما . . وها كما ثمن هذا
 السكوت .

(يعطيهما نقودا)

١٧٩ باردولف . لن أنطلق بينت شفة يا سيدى فليس لى لسان .
 الغلام . أما أنا يا سيدى فسأصون لسانى .
 الأمير . اذهبا إذن رافقتكما السلامة (يخرج باردولف والغلام)
 لا بد أن ترشيت هذه عاهر .
 بوان : أؤكد لك يا سيدى أنها امرأة متبدلة مطروقة لكل إنسان
 كالطريق بين لندن وسانت أوليتز .
 ١٨٥ الأمير : كيف السبيل إلى أن نرى فلستاف منطلقاً على سجيته

دون تحفظ وأن نراقبه الليلة دون أن يرانا ؟

١٨٨

: فلتنتكر في قميص من الجلد وميادع كالسقاء ونقوم
بالخدمة على مائدته .

يوان

١٩١

: أأنحط من إله إلى نور ؟ يا له من مسخ ثقيل ! لقد
فعلها جوبتر من قبل ، وأنا سأنزل من ابن ملك إلى
ساق ، فياله من تحول حقير هذا الذي سأفعله ،
ولكن الغاية الحمقاء تبرر الوسيلة الحمقاء . فهيا
اتبعني يا ند .

الأمير

(يخرجان)

المنظر الثالث

وركورث . أمام القلعة

(يدخل نورثمبرلند والسيدة وزوجه والسيدة برسى)

نورثمبرلند : أتوسل إليك يا زوجي العزيزة وأنت يا ابنتي الكريمة ،
ألا تحاولا الوقوف في وجهي ومنعني من السير في هذا
الطريق الوعر .

وأتوسل إليكما ألا تسائرا الزمان في عبوسه

فتسببا مثله المتاعب لبرسى^(١) .

• الزوجة : لقد سلمت الأمور للمقادير وكففت عن الكلام
فافعل ما بدا لك ولتكن حكمتك رائدك .

نورثمبرلند : وأسفاه أيتها الزوجة الحبيبة . . إن شرفي في الميزان
ولا سبيل لي أن أسترده إلا بالذهاب إلى الحرب .

السيدة برسى : أواه . . ومع ذلك فأستحلفك بالله ألا تذهب إلى هذه

الحرب !

١٠

لقد أتى عليك يا أبتاه وقت حثت فيه بعهدك

(١) يقصد نفسه

حين كان الوفاء تدعوك إليه أسباب أقوى كثيراً من
أسباب اليوم
كان ذلك يا أبتاه حين كان فلذة كبذك برسى ،
وشغاف قلبي هارى المحبوب
يصوب النظرة تلو النظرة إلى الشمال مستطلعاً مقدم أيه
بقواته ،

ولكن نظراته المتصلة ارتدت خائبة .

فإنذا الذى أغراك يومئذ بالتخاف والبقاء فى عقر دارك ؟
لقد ضاع بسبب قعودك يومئذ شرفان شرفك وشرف ابنك
فأما شرفك فأسأل الله إله السماء أن يرده عليك أبيض
ناصعاً .

أما شرفه فقد كان بريقه يخطف الأبصار من فوق رأسه
كما تلمع أضواء الشمس فى حلقة السماء .

وعلى هدى نوره تحرك فرسان إنجلترا كلهم
ومضوا يملأون الكون بفعالهم النبيلة .

لقد كان حقاً المرأة التى يرى فيها شباب النبلاء أنفسهم
والمذوال الذى ينسجون على مثاله .

وما كان أحدهم ليرى نفسه ذا ساقين إن لم يقلد مشيته ،
وسرعة عباراته وهى من عيوبه الطبيعية

أصبحت الطراز المحبب لذوى الشجاعة من الشبان
وكان أهل الرزانة فى الحديث يخرجون عن هذه الصفة
النبيلة ويزدرونها

٢٥

ويتصنعون طريقته ليبدوا على مثاله .
وهكذا كان برسى المثل الأعلى الذى يسعى كل منهم
لبلوغه . كان مثلاً فى حديثه وفى مشيته
وفى طعامه وفى هواه

٣٠

وفى مسلكه العسكرى وفى نزواته .
كان المثل - والمرأة والصورة والكتاب والمدرسة -
الذى شكل الآخرين ووجههم . فيا له من معجزة
بين الرجال !
هذا المخلوق المثل الذى لا يدانيه إنسان قد تخلت
أنف عنه

٣٥

وتركته بلا عون وتركته وحيداً
يلقى إله الحرب الرهيب فى صراع غير متكافئ
وخليته يخوض غمار معركة
ليس فيها من عدد الدفاع إلا زنين اسم هوتسبر .
خلوت به وحرمة مساعدتك وعونك ،
فحذار ، ثم حذار أن تسيء إلى روحه

باعتماد أن دوافع الشرف تملى عليك أن تسارع إلى
معاونة الآخرين

٤٠

أكثر مما كانت تملى عليك معاونته . ذرهم وشأنهم . .
فإن الفريق وكبير الأساقفة قويان بنفسيهما
ولو كان لحبيبي هاري نصف ما لهما من قوات وجند
لكنك اليوم أشبعه عناقاً وتقيلاً
وأنا أتحدث عن موت الأمير مونموث .
: تبألك ولقلبك ،

٤٥ نورث

إنك لتسليينى يا بنيتى الجميلة شجاعى وعزى
بإثارتك هذه الأخطاء القديمة .
ولكنى مع ذلك يجب أن أذهب إلى الحرب وأن ألقى
الخطر وجهاً لوجه .

وإلا سعى الخطر إلى في مكان آخر
وأخذنى على غرة في غير استعداد له .

٥٠ الزوجة

: بل إلى أسكتلندا

حتى يجرب النبلاء والعامّة المسلحون
قواهم في المعركة ضد الملك بعض التجربة .
: فإذا ما أحرزوا تقدماً وظهرت قواتهم على الملك
فسارع بالانضمام إليهم وشد أزهم وزدهم قوة على قوة .
السيدة برسى

ولكننا نستحلفك بالحب الذى نكنه لك
 أن تدعهم وحدهم أول الأمر ليجربوا قواهم ، لقد فعل
 ذلك من قبل ابنك
 فقد تركته بلا عون وخليته وحده يجرب قواته فى المعركة
 فكان فى هذا هلاكه وترمل .

ولن تطول حياتى بعده
 وقتاً يسمح لى أن أروى ذكراه بدمعى الهتون
 حتى تنمو وتسمق وتطاول عنان السماء
 وتبقى ذكرى خالدة حية لزوجى النبيل .

نورث : مهلا ، مهلا أدخلنا معى
 فقد بلغ السيل الزبى فى رأسى وشل تفكيرى عن الحركة
 ولم أعد أدرى أى سبيل أسلك .
 وبودى لو أذهب للقاء كبير الأساقفة ،
 ولكن آلاف الأسباب تمنعنى وتمسك بى فى مكانى .
 لأحسمن أمرى وأذهبن لى اسكتلندة !
 حيث أبقى لى أن تحين الفرصة ويدعونى داعيها للعمل .
 (يخرجون)

المنظر الرابع

لندن

(حجرة خاصة في حانة رأس الخلوف في إيست تشيب صفت فيها مائدة وكراسي وبها أبواب ثلاثة واحد إلى الخلف وثنان إلى اليمين وثالث إلى اليسار . فرانسس يعد المائدة فيضع عليها النبيذ والفاكهة . يدخل ساق آخر يحمل طبقاً من التفاح) .

فرانسس : يا للشيطان . . ما هذا الذي جئت به إلى هنا ؟ تفاح قديم متغضن ؟ ألا تعلم أن سير جون لا يطيق منظر هذا التفاح المتغضن المسمى تفاح جون .

٣

الساق الثاني : تالله لقد قلت الحق ، فقد حدث ذات مرة أن وضع الأمير أمامه طبقاً من تفاح جون المتغضن ثم قال له : إن أمامنا الآن خمسة آخرين كلهم سير جون ، ورفع قبعته في تحية ساخرة وهو يقول : « سأستلذن الآن من هؤلاء الفرسان الستة ذوي الوجوه الذابلة المستديرة » ، وقد أثار هذا القول غضب سير جون الشديد ولكنه تناساه الآن .

١٠

فرانسس : مد الغطاء إذن على المائدة ثم ضع التفاح عليها وحاول إن

استطعت أن تحضر ضوضاء سنيك^(١) فإن السيدة
تيرشيت تؤثر أن تستمع إلى بعض الموسيقى .

الساق الثاني : هيا اسرع فإن الحجرة التي يتناولون فيها طعامهم شديدة
الحرارة وهم سيأتون على الفور . ١٥

فرانس : اسمع يا غلام . . سيحضر الأمير إلى هنا ومعه السيد
بوان حالا وسيتنكران في لباسنا وميادعنا ويجب أن
لا يعلم سير جون بمقدمهما وقد أنبأنا بهذا بارودولف . ٢٠
(يدخل فلستاف من اليسار وهو يغني ثم يخرج على الفور)

الساق الثاني : (وهو يلاحقه بنظراته) تالله لتكونن تسلية رائعة ،
وما أجملها من خطة !

فرانس : سأذهب لأبحث عن سنيك ، ولعلني أوفق لإحضاره .
(يخرج وتدخل صاحبة الحانة والسيدة دول تيرشيت من الحجرة التي
إلى اليسار)

صاحبة الحانة : إني لأراك وأيم الحق يا عزيزتي غاية في قوة البنية سليمة
الجسم وأحسن بنبضات قلبك تدق بانتظام كما يهوى
الفؤاد ووجهك أحمر كالوردة ، إن كل شيء فيك
والحق أقول على غاية ما يرام ، ولكن يبدو أنك وأيم الحق
قد أسرفت على نفسك في شرب نبيذ الكناري ،

وهو نبيل نفاذ قوى التأثير يذهب بعقل شاربه ويملاً
دمه بالأبخرة ويجعل الإنسان شديد الاضطراب سريع
الاستثارة قبل أن يدرك شدة أثره . فكيف حالك الآن ؟

٣٢

دول

: (فى أعياء) أحسن مما كنت . . !

(يأخذها الفواق - تجلسان)

لقد أحسنت القول فإن القلب الطيب يساوى ثقله
ذهباً ولكن مهلاً فهنا هو سير جون قادم نحونا .
(يعود فولستاف وهو يغنى)

فولستاف : « عندما جاء أرثر إلى القصر فى أول الأمر » (إلى الساق
جانبا) - « أخل الحانة - » وكان ملكاً عظيماً » .
(يخرج الثانى من اليمين) مرحى ، أهذه أنت يا سيدة دول .

٣٨

صاحبة الحانة : إنها تشكو أزمة وأيم الحق .

فولستاف : هكذا كل من على شاكلتها . يشكون الأزمة إذا خلت
حياتهم من الحركة والمغامرة .

٤١

دول : يا لك من وغد قدر . . أهذا كل ما عندك من سلوى لى .

٤٤ فولستاف : إنك تسمنين الغزلان النحيلة يا سيدة دول .

دول : أنا أخرج الغزلان البديئة . إنما يخرجهم النهم والعلل
أما أنا فلا .

فولستاف : إذا كان الطاهى يعيش على النهم فأنت تساعدن على

ظهور العلل يا دول . إننا نأخذها منك يا دول ،
 ٥٠ إننا نأخذها منك . . اعترفى بهذا سلمى به يا عزيزتى .
 دول : أى نعم وحق العذراء إنكم تأخذون حليتنا وجواهرنا
 تخطفونها خطفاً .

فولستاف : « قلائدك وعقودك اللؤلؤية . . ماساتك وجواهرك » .
 فإن يأتيها مقتحم جسور فسيرتد عنها وهو يجرر ساقيه .
 وإنك لتعرفين ذلك . وليخرجن ، من حماتها وقد
 اثنت حربيته وليحتملن تضميد بثورة وقروحه بشجاعة
 وليعرضن نفسه للخطر فوق فوهات المدافع النارية في
 جلد وشجاعة . ٥٦

دول : اشقت نفسك أيها الثعبان الموغل في الوحل . اشقت نفسك
 وإلى حيث ألفت .

صاحبة الحانة : قسماً إن هذا دأبكما من قديم . . لا تتخلفان عنه .
 إذا اجتمعتما فلن تلبثا أن تختلفا وتتشاحنا وكلاكما
 والحق يقال حاد الطبع لا تستويان في قدر ، ولا يستطيع
 أحدكما أن يحتمل نقائص أخيه أو يسكت عنها .
 فيا لسوء الطالع ، (إلى دول) لا بد لأحدكما أن
 يصبر ويحتمل الآخر ، ومن واجبك أنت أن تحتملى
 فأنت الجانب الضعيف أو الإناء الخالى كما يقولون . ٦٥

دول

: وهل يستطيع إناء خال ضعيف أن يضم هذا البرميل الضخم الممتلئ ؟ إنه ممتلئ بمحمولة تزيد على حمل سفينة من نبيذ بوردو ، إنك لن ترى في حياتك سفينة قد شحنت من الداخل بمثل هذا الحمل الضخم ، ومع ذلك فتعال يا جاك نعش صديقين فأنت ذاهب إلى الحرب وما أدرى هل أراك بعد أو لا . وما يدرى ما يكون .

٧٢

(يدخل فرانس)

فرانس

: سيدى إن الملازم بيستول موجود فى الدور الأسفل ويود أن يتحدث معك .

دول

: فليشتق هذا الوغد العرييد . لا تأذن له بالحجىء إلى هنا إنه أسلط الأوغاد لساناً فى إنجلترا .

٧

صاحبة الحانة :

إذا كان ماجناً عرييداً فلا تأذن له بالقدوم إلى هنا ، لا تأذن له فإننى وأيم الحق أريد أن أعيش محترمة وسط جيرانى ، أريد أن أحافظ على مظهرى بينهم ولا أسىء إليهم بالسماح لأمثال هذا العرييد بالدخول فى بيتى ، إننى امرأة طيبة السمعة محترمة عند خير جيرانى ، ولا أريد أن أخسر سمعتى . أغلق الباب فلن أسمع للمعريدين أن يدخلوا بيتى . . أغلق الباب من فضلك .

٨٦ فولستاف : اسمعى يا صاحبة الحانة .

صاحبة الحانة : هلى روعك يا سير جون . وكن على ثقة لى لن اسمح للمعربدين أن يدخلوا بيتى أبداً .

فولستاف : ألم تسمعى ما قيل أنه أحد ضباطى .

صاحبة الحانة : دعك من هذا . . دعك من هذا فلا فائدة من وراء

تأكيدك أنه أحد ضباطك . إن المعربدين لا يسمح لهم

بدخول بيتى مهما يكن الأمر . لقد استدعانى السيد

تسك^١ ممثل القاذون فى يوم مضى وقال لى ، وكان

ذلك غير بعيد بل قبل يوم الأربعاء الماضى . قال لى

بمحضور السيد « أبكم » واعظنا : « أيتها الجارة كويكى

٩٥

يجب أن تستقبلى فى بيتك الشرفاء حسن السيرة .

لقد جلبت على نفسك سوء السمعة وجعلت الناس

يلوكون اسمك بالسنتهم . وقد أدركت الآن السر فى

قوله هذا . عرفت إن ذلك سببه سماحى لهؤلاء المعربدين

من أمثال ضابطك بالدخول فى بيتى . فقد قال لى

إنك امرأة شريفة والناس يحسنون الظن بك ، لذلك

يجب أن تعنى باختيار الذين يترددون عليك . ثم قال

ولا تستقبلى فى بيتك أبداً المعربدين . ولذلك لن أسمح

بدخول المعربدين إلى بيتي إطلاقاً ولعلك تدهش
إذ تسمع ما قال لي . . لا لن أسمح للمعربدين أن
يدخلوا إلى هنا أبداً .

١٠٤

فولستاف : إنه ليس عربيداً يا صاحبة الحانة . إنه شاطر خفيف
اليد في الزهر والورق . تستطيعين أن تربتي عليه
كما تربتين على كلب أليف دون أن يلحقك أذى .
وأيم الحق إنه لن يعربد مطلقاً مع دجاجة هلوك إذا
أحس منها نفوراً أو غضباً .
ناده أيها الساقى .

١٠٩

(يخرج الساقى فرانس)

صاحبة الحانة : أتقول إنه شاطر مخادع من رجال الخزانة إني لن أمنع
الرجال الشرفاء من دخول بيتي ولن أمنع المخادعين
ولكن أكره العريضة وأمقتها وتنقبض نفسي بمجرد
ذكرها انظروا أيها السادة كيف أرتعد إن جسمى
ينتفض غضباً .

١١٤

دول : أجل إنك تنتفضين يا صاحبة الحانة .
صاحبة الحانة : أحق هذا ؟ إني أنتفض وأهتر وأيم الحق كأني ورقة
في مهب الريح ، فأنا لا أطيق العريضة ولا المعربدين .
(يدخل بستول وباردولف والغلان)

١١٩ يستول : حفظك الله يا سير حون . .
 فولستاف : مرحباً بك أيها الملازم يستول . هانذا أشرب كأساً
 نخيك (يشرب) ، وهانذا أملاً لك كأساً فأفرغه في
 صحة سيلتي صاحبة الخانة .
 (يملأ الكأس ويقدمها له)

١٢٤ يستول : سأفرغ فيها قذيفتين يا سير حون .
 فولستاف : إنها حامل يا سيلتي ومن ثم فلن تؤثر فيها قذائفك .
 صاحبة الخانة : رويدك فلن أشرب سلاقاً ولا نبيذاً ، لن أشرب
 إلا ما أجد فيه الخير لنفسى ، لن أحمل نفسى على
 ما يسر الآخرين ، فنفسى أولاً . ١٢٩
 يستول : إذن فلأفرغ كأسى لديك يا سيدة دورثى .
 (يرفع الكأس إلى فمه)

دول : تفرغ كأسك لدى ؟ أنت ! إني أحثرك أيها الوضع
 أأنت الذى تقول هذا أيها الوغد الحقيق ، المقلس ،
 الغشاش ، الذى لا يملك قميصاً ؟ اغرب عنى أيها
 الشقى القذر . أنا لست لأمثالك إني فى مستوى سيلك . ١٣٥
 يستول : إني أعرفك يا سيدة دورثى حتى المعرفة .

دول : اغرب عن وجهى أيها الوغد النشال . إليك عنى
 أيها اللص القذر ، بحق هذا النبيذ لأضرين وجهك

العفن بمديتي إذا سولت لك نفسك أن تعبت بي
أو تتخذني مادة لمجولك ابتعد أيها الوغد الذي المخادع
الذي يتظاهر بالحنديّة لمجرد حمله سلاحاً زائفاً
من منذ متى يا سيدى خلعت على نفسك هذه الجنديّة
وزينت بكيفيك بهذه الأربطة . ألا قلت لى بحق نور
السموات منذ متى اصطنعت هذا المظهر ؟ يالك من
ضابط هزيل .

١٤٣

بستول : لا عشت إن لم أفسد زينتك واقطع هذا العقد الذى
تزينين به رقبتك جزاء لك على هذه القحة .
فولستاف : كفى يا بستول — ولا تزد ، وما أريدك أن تقدم لى
برهاناً على قوة انطلاقك أكثر من أن تنطلق من هنا ،
وتفرغ صحتنا من وجودك .

صاحبة الحانة : لا . لا تفعل شيئاً هنا أيها اليوزباشى الطيب بستول
أيها اليوزباشى الكريم .

١٥٠

دول : يوزباشى ! يالك من مخادع كريبه ملعون . . ألا تخجل
من نفسك حين تدعى بما ليس لك ، ألا تحس عار
حين يدعونك يوزباشياً آه . . لو أن اليوزباشية كانوا
من رأى ، وأحسوا بما أذنبت فى حقهم ، إدن لطردوك
خارج هذه الحجرة ، وانها لوالى عليك بهراواتهم مؤذنين

لعدوانك على ألقابهم قبل أن يكون لك حق فيها .
 أتدعو نفسك يوزباشياً أيها العبد الحقير ؟ وبم بلغت
 هذه المرتبة ؟ التجرؤك على قطع عقد غانية في بيت ١٥٥
 من بيوت الخنا ؟ أهو يوزباشى ، إلى حيث ألفت أيها
 الشقى إنه يعيش على القراصية العفنة والفطير الجاف .
 أهذا يوزباشى . . يا للعار . . بحق نور السماوات
 إن هؤلاء الأوغاد سيبتدلون هذه الكلمة حتى تغدو ١٦٠
 كريمة في الأسماع ككلمة « المباشرة » التي كانت
 كلمة طيبة قبل أن يسيئوا استعمالها ، ولذلك فإن
 من واجب من يحملون لقب اليوزباشى أن يعملوا على
 صيانتها .

باردولف : أتوسل إليك أيها الملازم الطيب أن تنزل من هنا .

١٦٥ فولستاف : ادن منى يا سيدة دول . . واستمعى لما أقول لك

(يتحيان جانبا)

بستول : لا لن أنزل . أؤكد لك يا أنباشى باردولف أنى قادر

على أن أمزقها إرباً ولا بد لى من أن أنقم منها .

الغلام : أتوسل إليك أن تنزل من هنا .

بستول : لا لن أنزل حتى تحل بها اللعنة أولاً . . لن أتحرك حتى

ألقى بها في بحيرة بلوتو الملعونة في أعماق جهنم في

ملكوت أرييوس إله الظلام .. لا لن أنزل حتى
أسلمها للعذاب الأليم ألا فليكن التوفيق حلقى
فيا أهدف إليه . إلى الجحيم .. إلى الجحيم أيتها
الكلاب .. إلى الجحيم أيتها الأشرار .. أليس في
يدى إيرين^(١) .

صاحبة الحانة : (وهي ترتعد خوفا) ناشدتك الله أيها اليوزباشى الطيب
بيستول أن تهذا ، إننا في ساعة متأخرة من الليل ..
أتوسل إليك أن تخفف من غضبك .

١٧٦ يستول : هذه حيلة خداعة من أفانينك تريدني بها أن تخدعيني
وأن تسخرى مني لتتخلص من وجودي وتلقى بي إلى
الخارج
ولكن أنى لك هذا .. أنى للأوغاد والجياذ المهزولة من
حنالة آسيا

التي لا تقوى على مسيرة ثلاثين ميلا في اليوم ،
أنى لها أن تقارن بقيصر وكانيبال^(٢) وأبطال طروادة ..
ألا فلتحل عليهم اللعنة وليركسوا في أعماق القبور

(١) إيرين : اسم للسيف إذ كانوا يطلقون على سيوفهم أسماء محبوباتهم .

(٢) يريد هانيبال .

مع سير بروس ملك الظلام . ألا نخل السحب
تصخب وتجلجل بأصواتها ،
فما كان لنا أن نتطاحن أو نتعارك من أحل أمثال هذه
الترهات التافهة

١٨٠

١٨٤ صاحبة الحانة : تالله إن هذه الكلمات لمرة أيها اليوزباشى .

باردولف : اذهب أيها الملازم الطيب ، فأخشى ما أخشاه أن
ينقلب الأمر إلى شجار فى الحال .

بستول : (يصيح) حسبك ، أيموت الرجال هوناً كما تموت

الكلاب ؟ وأتسلم التيجان فى خضوع كما تسلم
المشابك التافهة وفى أيدينا الحديد الصارم ؟ أليست
هنا إيرين ؟

١٨٨

صاحبة الحانة : إيرين ! أقسم لك بشرفى أيها اليوزباشى إن هذه المرأة

ليست هنا ، ولو كانت هنا ، فىا للجحيم . . كيف
تظن أنى أمنعها عنك . . سألتك بالله أن تهدأ .

بستول : إذن كللى واسمنى أى كاليبولس الجميلة ، وهيا اسقنى

بعض ، النبيذ

١٩٣

فإن يكن الحظ قد خاننى فإن الأمل لا يزال يحدونى—
أتحسبينا نخشى نيران المدافع ؟ كلا ذريها ترسل
نيرانها وتندفع باللسنة الجحيم فما أبالى . .

على بالنبيذ وأنت أيها السيف الحبيب ارقد هاهنا . .
(يضع سيفه) ترى هل سئمضى الوقت هنا ونهى جهادنا عند
هذه النقطة ونختتم بها أعمالنا أم لا تزال أمامنا جولات
أخرى واشتباكات بطي السيف ؟

١٩٧

فولستاف

: أود أن أهدأ يا بستول .

بستول

: أيها الفارس الحبيب دعنى أقبل راحتك وأستأذن

٢٠٠

منصرفاً ماذا ! لقد سبق أن سهرنا نرقب النجوم السبعة .

دول

: أواه . . سألتك بالله أن تلقى به إلى الدور الأسفل .

فلقد ضقت ذرعاً بثرثرة هذا الوغد .

بستول

: فلتلق بي إلى الدور الأسفل . . ألا نعرف سيبلنا

٢٠٤

أيها المهرة الصغيرة .

فولستاف

: ألقى به إلى الدور الأسفل يا باردولف كما تلقى بالقرش

فى لعبة الحظ ، وما دام لا يستطيع أن يفعل شيئاً

إلا أن يثرثر بهذا اللغو الفارغ فما يليق أن يبقى فى

صحبتنا .

٢٠٨ باردولف

: هيا انزل إلى الدور الأسفل .

بستول

: ماذا . . أنلجأ إلى سيوفنا . . أنعمد إلى سفك الدماء

(يلتقط سيفه) إذن أيها الموت خذنى حتى تحجب

إلى النوم وقصر أيامى المليئة بالحموم والآلام ،

وذروا الجروح العميقة الخفيفة المفتحة الأفواه تقطع
 حبال الحياة التي نسجتها بنات القدر الثلاث ،
 واخلوا اترويس يقرضها بمقراضه . . هيا يا اترويس
 دونك فافعل ما شئت .
 (يتقدم ويعرض نفسه للقتال)

٢١٢

صاحبة الحانة : إنا مقبلون على ثورة عظيمة .
 فولستاف : أعطني سيني يا غلام .
 ٢١٦ دول : أتوسل إليك يا جاك . . أتوسل إليك . . ألا تسل
 سيفك .

فولستاف : (يسل سيفه) انزل إلى الدور الأسفل (باردولف يمسك بستول
 ويرغمه على الارتداد نحو الباب الأيمن ومن ورائه فلستاف يتبعه)
 صاحبة الحانة : هذه ثورة عنيفة لأهجرن إدارة هذه الفنادق قبل أن
 تحيط بي المتاعب والخاوف .

(فلستاف يسد سيفه نحو بستول) أؤكد لك أن هذه
 الطعنة ستكون نتيجتها القتل ، وأأسفاه . . اغمدوا
 سيوفكم المشهورة اغمدوا سيوفكم (باردولف يدفع بستول من
 خلال الباب ثم يدخل ورائه فلستاف يمسك سيفه ، ويعود أدراجه
 وهو يلهث ويتنفس من التعب والجهد ويجلس على مقعده) .

دول : أرجو أن تهدياً يا جاك فقد ذهب الوجد . . إليه لك

٢٢٥ أيها الشقى المقدم الصغير .. إيه لك أيها البطل .
 صاحبة الحانة : ألم يمسلك الوغد بأذى .. ألم تصب بجرح في سرتك ..
 لقد خيل إلى أن الوغد وجه طعنة خبيثة إلى أحشائك .
 (يود باردولف)

٢٢٨ فولستاف : هل طردته خارج الأبواب
 باردولف : أجل يا سيدى إن الوغد سكران وقد أصبته بجرح في
 كتفه .

فولستاف : يا للوغد ! كيف تجرأ على وتحذاني؟!
 دول : إيه يا صغيرى الحبيب الشقى .. إيه أيها القرد المسكين
 وأأسفاه .. إنك تنصب عرقاً .. رويدك دعنى
 أجفف لك وجهك .. تعال إلى أيها المنتفخ الأوداج ..
 اقرب منى يا شقى فما أكثر ما أحباك وايم الحق ..
 إنك عظيم الهمة مقدم كهكتور بطل طروادة .
 إنك تعدل في شجاعتك خمسة من أمثال أجممنون
 بل تفوق عشر مرات الأبطال التسعة .. إيه أيها الشقى!
 (تلاطفه)

فولستاف : واه لك أيها العبد الخبيث ، لأجازينك أشد الجزاء
 ٢٤٠ وأخذ أنفاسك في ملحفتك يا شقى .
 دول : عاقبه إذا استطعت إراحة لفؤادك فإن فعلت فلك عندى

أن أفلك في مثرى وأخذ أنفاسك من الرقص بين
عطى .
(يدخل الموسيقون)

٢٤٤ الفلام : لقد جاءت الموسيقى يا سيدى .
فيلستاف : دعهم يلعبوا . . العبوا أيها السادة . . اعزفوا (تنساب
الموسيقى رقيقة) تعالى يا دول واجلسى على ركبتي ،
يا له من عبد وغد متبعج ، لقد أفلت الشقى من يدي
كما يفلت الزئبق .
دول : (جانباً) وتبعته أنت وأمم الحق ككنيسة ضخمة
متحركة .

(تجلس على ركبته) ألا قل لى متى تنتهى يا خنزير
بارثلميو المكنز الرقيق ، من هذه الحروب ومتى
تقلع عن الطعان أثناء الليل وعن القتال أطراف النهار
ومتى تبدأ ترقيق جسمك البالى هذا للأخرة
٢٥٢
(يدخل من الخلف الأمير ويوان متخفين في لباس السقاء)

فولستاف : كفى عن هذا الكلام يا دول الطيبة ، ودعك من
حديث الآخرة ، ولا تحاولي أن تجعلي من نفسك
نذيراً كراس الميت^(١) لا تحاولي أن تذكريني بأخوتي يا دول .

(١) التي يحملون بها الخواتم لتذكر الناس بالآخرة .

دول : اسمع يا فتى ما مزاح الأمير وما مشربه
 فولستاف : إنه فتى طيب المشرب ولكنه ليس فائق العقل ،
 وربما كان الأصلح له أن يكون خبازاً ماهراً يجيد
 تقطيع الخبز .

٢٦٠ دول : يقال أن بوان فتى حاضر البديهة .
 فولستاف : حاضر البديهة ! . ذريه إلى حيث ألقت ، هذا القرد ! .
 إن عقله أغبي من خردل توكس برى^(١) ، وخياله
 وأفكاره لا تعدو أفكار بطة برية حمقاء .

دول : إذن فقيم حب الأمير له هذا الحب العظيم
 فولستاف : لأنهما من طراز واحد وقدم واحدة ، ولأنه يحسن رى
 الأطواق ، شديد الغباء فائق الملق بارع فى ضروب
 الجسارة ، يشرب النبيذ ويقطع من اللهب جرعة واحدة .
 يركب الأراجيح مع الغلمان ويقفز فوق الكراسى
 المطوية فى خفة ومهارة ، ويقسم فى وقار مستحب ،
 ويلبس أحذية تبدو غاية فى النعومة والملاسة كأنما هى
 قطع فنية للعرض أو للإعلان عن محل أو متجر ،
 لا يثير إحنا ولا أحقاداً فهو لا يروى إلا القصص

الفاحشة ، إلى غير ذلك من ضروب المهارة في ركوب الخيل التي تتم عن قوة في البدن وضعف في العقل . هذه هي المزايا التي جعلت الأمير يؤثره بالرعاية والعطف . ذلك أن الأمير نفسه ليس إلا صورة منه ، لا يفترق عنه مقدار شعرة في ميزان الأمور (تمسح رأسه) : (جانباً) ألا يدعونا هذا الوغد المكتنز بكلامه هذا إلى صلم أذنيه عقاباً له على هذا الكذب

٢٧٧

الأمير

: (جانباً) الأفضل أن نضربه أمام بغيه هذه . : (جانباً) انظر هلى خمشت دول رأس هذا العجوز الفاجر الذى جفت عروقه بأظافرها كما تخمش البيغاء رأسها بمخيلها .

٢٨٠ الأمير

(جانباً) أليس عجبياً أن تبقى الشهوة سنوات عدة بعد فقد القدرة

يوان

٢٨٤

: قبلينى يا دول (يلتقيان في قبلة وفي الوقت نفسه يضع باردولف دراعه حول صاحبة الحانة)

فرلستاف

: (جانباً) لقد اجتمعت الزهرة وزحل في قران هذا العام ، فإذا يقول التقويم في هذا

الأمير

: (جانباً) وانظر ألا ترى هذا الوغد الملهب إنه رجله باردولف يغازل صاحبة الحانة ويعانقها ، وهي موضع

يوان

٢٩٠ : سر سیده ونجواه ، ویسها غرامه .

فولستاف : هذه القبلات التي اعطيتها قبلات نفاق .

دول : أقسم لك بشرفي أني أقبلك من قلب حب مقيم على

العهد .

فولستاف : إني رجل شيخ . . إني رجل شيخ .

دول : إني أحبك أكثر مما أحب أي شاب من هؤلاء الفتيان

٢٩٦ الحقيرين جميعاً .

فولستاف : من أي قماش تريد أن أشتري لك ردائك . سأقبض

نقوداً يوم الخميس ، وسأحضر لك قبة غداً ، فهيا

غنى أغنية مريحة فالوقت بات متأخراً وسنأوى إلى

٣٠١ فراشنا ، وسوف تنسيني عندما أبتعد عنك .

دول : أقسم لك بشرفي إن قولك هذا يجعلني أجهش بالبكاء ،

وإني أتحدثك أن تثبت أني تجملت بالثياب أثناء

٣٠٥ غيبتك ، وعليك أن تنتظر حتى ترى .

فولستاف : على بعض النبيل يا فرانسس .

٣٠٨ الأمير وبوان : قادم جالاً ، حالاً يا سيدى (يسرعان إلى الإمام)

فولستاف : (يهض) ها ، هذا ابن غير شرعى للملك . . وأنت

ألسنت بوان أخاه

الأمير : وأنت : يا كرة محشوة بالخطايا والذنوب . . أى حياة

تلك التي تحياها

٣١٢

فولستاف : حياة أفضل من حياتك ، فأنا سيد شريف وما أنت إلا ساق .

الأمير : هذا صحيح جداً يا سيدى وقد جئت لأسحبك إلى
٣١٦ إلى الخارج من أذنيك .

صاحبة الحانة : فليحفظ الله عظمتك .. ومرحباً بك في لندن ..

أقولها بإخلاص نضر الله وجهك الجميل بحق المسيح ..
أقادم أنت من ويلز

٣٢٠

وفولستاف : يا لك من حقيرة مجنونة بجلال الملكية .. وحق هذا
الجسد الهزيل وهذا الدم الفاسد (مشيراً إلى دول) أنت
على الرحب والسعة .

٣١٤ دول : وإيحك أيها البدين الأحمق إني أحتقرك .

يوان : (جانباً) مولاي إنه سيخرجنا عن الموضوع ويلهيك

عن انتقامك ويحيل الأمر كله إلى مزاح خفيف
إذا أنت لم تطرق الحديد وهو ساخن وتأخذه بخطيبته
فوراً دون أن تتبجح له فرصة للتخلص من ورطته .

الأمير : اسمع أنت أيها الحقير .. يا منجم الشحم الذي

لا يتفقد .. كيف جرؤت على أن تتحدث عني بسوء

الآن أمام هذه السيدة الشريفة العفة .

٣٣٢ صاحبة الحان : فليبارك الله قلبك الطيب يا مولاي .. فهى بحق امرأة شريفة .

فولستاف : هل سمعتنى

الأمير : نعم سمعتك .. ولقد عرفتني كما عرفتني وفررت مني يوم جادزهل . لقد عرفت أني من ورائك ، ولذلك تكلمت بما تكلمت قصداً لتمتحن صبرى . ٣٣٧

فولستاف : لا .. لا .. لم يكن الأمر كذلك ، وما حسبت قط أنك على مسمع مني .

الأمير : سأحملك إذن على أن تعترف بالكذب العمد والإساءة المتعمدة التي وجهتها إلى وعندئذ سأعرف كيف أعاقبك

فولستاف : أقسم لك بشرى يا هال لم تكن هناك أية إساءة ولا مذمة .

الأمير : لم يكن هناك أية مذمة ! ألم تنتقص قدرى ، وتسمنى خبازاً ومقطعاً للخبز ، إلى غير ذلك من النعوت .

فولستاف : لا مذمة يا هال .

٣٤٨ يوان : لا مذمة !

فولستاف : لا مذمة يا ند .. لا مذمة قط يا ند الأمين .. لقد

انتقصت منه أمام الأشرار حتى لا يترهوا في حبه ،

وبتصرفي هذا أديت واجبي كما يؤديه الصديق والفرد

المخلص من أفراد الرعية ، وأعتقد أن أباك ينبغي أن

يشكر لى هذا الصنيع لا مذمة يا هال . ولا أساءة يا ند ،
لا شىء من ذلك أبداً . . . لا شىء . . . لا شىء البتة
وأيم الحق يا فتيان .

٣٥٥

: ألا ترى الآن أن خوفك الخالص وجبتك الكامل قد
جعلاك تسيئ إلى هذه السيدة الفاضلة وذلك لكى
تسوى أنت موقفك منا أهى واحدة من عداد الأشرار ؟
وهل صاحبة حانتك هذه من الأشرار ؟ وهل غلامك
هذا من الأشرار ؟ وهل باردولف الأمين الذى تشتعل
حماسته فى أنفه من الأشرار ؟

٣٦٢

: اجب أيها السند المتداعى . أجب .

بوان

: لقد اتخذ الشيطان باردولف فريسة من فرائسه ووضع
اسمه فى قائمة ضحاياه وجعل إبليس من وجهه مطبخه
الخاص حيث يشوى مدمنى الجعة . أما الغلام فهو
ملاكه الطيب يصاحبه فى الحياة . ولكن الشيطان
يغالبه ويفغريه بالخطيئة .

٣٦٨

: وما شأن النسوة ؟

الأمير

: أما إحداهما فى جهنم فعلا وهى تعدى الأرواح
البريئة وأما الأخرى فأنا مدين لها ببعض المال ،
ولست أدري هل ستنزى عليها اللعنة من أجل ذلك أو لا .

فولستاف

٣٧٣

صاحبة الحان : لا وأؤكد لك .

فولستاف : لا . لا أعتقد أن اللعنة ستحل بك ، أعتقد أنك خلصت بسبب هذا العمل الطيب ، ولكن هناك جريرة أخرى بحق العذراء ترشك أن تودى بك ، فأنت تسمحين بأكل اللحم^(١) في فندقك مخالفة بذلك القانون ، وهذا ذنب عظيم سيحملك على أن تجارى بالصياح طلباً للرحمة .

صاحبة الحان : إن كل أصحاب الحانات يفعلون ذلك ، وما قيمة فخذة
٣٨١ أو اثنتين تؤكلان في أيام الصوم كلها .

الأمير : أيتها السيدة الطيبة .

دول : ماذا يقول عظمة الأمير ؟

فولستاف : إن عظمة الأمير يقول من الكلام ما تشور عليه رجولته
(يسمع طرق على الباب من الخارج)

صاحبة الحان : من هذا الذى يلقى الباب دقاً عالياً . انظر من الباب .
يا فرانسس .

(يدخل بيتو)

٣٨٨ الأمير : أهذا أنت يا بيتو ؟ . وما وراءك من أنباء ؟ .

(١) يقصد بأكل اللحم في أيام الصيام .

بيتو

: إن والدك الملك في وستمنستر ،

وقد أتى عشرون رسولا من الشمال كلهم ضعاف
منهكون ،

وقد مررت في طريقى إليكم
بأثني عشر ضابطاً يسيرون على عجل مكشوفى
الرؤوس .

٣٩٢

يتصببون عرقاً ، وهم يدقون أبواب الخانات
ليسألوا كل من يلقاتهم عن سير جون فولستاف .

٣٩٥ الأمير

: بحق السماء يا بوان . إني لأشعر بأنى الملموم

على إضاعة هذا الوقت الثمين عبثاً ،

بينما الثورة العاتية لا تزال مسلطة على رؤوسنا
كريح الجنوب المحملة بالأبخرة السامة المؤذية
وقد بدأت تذوب وتتساقط فوق رؤوسنا العارية المكشوفة
على بسيني ومثزرى . وأنت يا فولستاف طاب ليلك .
(يخرج الأمير هنرى وبوان وبيتو وباردولف مسرعين)

فولستاف

: والآن وقد حانت أطيب ساعات الليل وأحلاها فأنا
نغادر المكان دون أن نغتنمها (يسمع قرع جديد على الباب)
إن الباب يدق من جديد (يعود باردولف)

مرحى . . . ماذا حدث

٤٠٤

باردولف : يجب أن تسارع إلى القيادة على الفور يا سيدى
 إن بالباب اثني عشر ضابطاً جاءوا كلهم لاستدعائك.
 فولستاف : (إلى الغلام) يا غلام أد أجر هؤلاء الموسيقيين ،
 ووداعاً يا صاحبة الخانة ووداعاً يا دول ، وإنكما
 لثريان يا سيدتى الطيبتين إن ذوى المواهب يجد في
 البحث عنهم ويسعى وراءهم ، فأما الخاملون فينامون
 ملء جفونهم وأما رجال الجد والعمل فيطلبون كلما جد
 الجد . ووداعاً يا سيدتى الطيبتين . وإذا كان الأمر
 لا يستدعى سفرى على عجل ، فسأعود لرؤيتكما
 مرة أخرى قبل أن أرحل .

٤١٤

دول : أنا لا أستطيع الكلام . . إن قلبي يكاد ينفجر (تبكى)
 وتنتحب) أيها العزيز جاك أرجو أن تعنى بنفسك
 فولستاف : ووداعاً . . ووداعاً
 (يخرج مع باردولف)

صاحبة الخان : رافقتك السلامة يا سيدى ؛ فقد عرفتك تسعة وعشرين
 عاماً ، فعد في مستهل الصيف عندما تنضح البازلاء ،
 رافقتك السلامة يا سيدى ، فإ عهدتك إلا أميناً طيب
 القلب (تبكى) مع السلامة . . مع السلامة .
 باردولف : (من عند الباب) يا سيدة تيرشيت .

صاحبة الحان : ماذا حدث ؟

باردولف : مری السیلة نیرشیت أن تأتی لسیدی .

صاحبة الحانة : أسرعى یا دول . . أسرعى یا دول الطیبة .

باردولف : هیا هیا أسرعى .

صاحبة الحان : إنها آتية حالا . . إنما تمسح دموعها المتساقطة
(تجفف وجه دول)

باردولف (يدخل) حسناً ألا تسرعى یا دول ، فإن سیدی
ينتظرک

(يقودها إلى الداخل بينما تخرج صاحبة الحانة من الجهة اليسرى)

الفصل الثالث

المنظر الأول

القصر فى وستمنستر والوقت بعد منتصف الليل
(يدخل الملك فى جلياب النوم ومعه غلام)

الملك : اذهب يا غلام وادع ايرل سرى وايرل ورويك لمقابلتى
وقل لهما قبل أن يمثلا بين يدى أن يقرأ هذه الرسائل
بإمعان

وأن يدرسها دراسة دقيقة . هيا عجل
(يخرج الغلام) ترى كم ألف من أفقر رعاياى فى هذه
الساعة نائمون .

أياها النوم . . أياها النوم الجميل
يا ظئر الطبيعة الحانى بالله ألا قلت لى كيف أزعجتك
وحرمت أجبفانى لهذه الرقاد :
وسلبت حواسى نعمة النسيان ؟
ويحك أياها النوم . . كيف تؤثر الجحور الحبيسة برعايتك
وتهجر القصور الفسيحة المعطرة ويك أياها النوم . .

كيف تغشى عيون النوم فوق الوسائد الحشنة المقلقة
وتغرقهم في لجة النعاس والذباب من حولهم يطن طنيناً
يؤرق الجفون ،

وتفضلها على الأسرة العالية ذات الكلات النفيسة التي
تضم مخادع الملوك
ومن حولك أنغام حلوة تنساب في رقة تغرى بالسبات
العميق .

ويك أيها الإله الوسنان لم تختار مثواك بين الرعاع
والسوقة

١٥

وعلى الفرش الحشنة الكريهة وتذر مخادع الملوك ذات
الستر الذهبية المبرقشة

قلق أصحابها مؤرقون لا يهدأون كأنما هي آلة حساب
الزمن في علبتها إذ الناقوس دق لا يغفل لهم جفن أبداً ،
مالك أيها النوم تداعب عيني فتي سفينة

وتغرقها في سبات عميق وهو جاثم فوق الصارية العالية

التي تتأرجح فوق مهد من اللجة العاتية ،

٢٥

والرياح من حولها تعصف وتشور في غير انقطاع
وتمسك بناصية الأمواج الصاخبة

وتثنى رؤوسها الجبارة ، وتداخل ما بينها ،
وتغرق اللجة فى اللجة ، وترفعها حتى تتعلق بالسحب
العابرة المتغيرة

فى أصوات مجلجلة وصخب يبعث الموقن من الأجداث .
إيه أيها النوم الظلوم ! مالك وأنت القادر على إغراق
فى البحر المبلل فى سباتك العميق ، فى أشد الساعات
اضطراباً وخشونة

تتأبى على ملك بلمسة لجفونه المؤرقة فى هدأة من الليل
وبالغ من السكون ،
حيث الراحة مكفولة والوسائل كلها متوافرة ! ألا فلتهناً
بالنوم أيها الحقير السعيد
وما أشقى الرأس الذى يلبس التاج .

(يدخل ورك وسير جون برن وسرى)

ورويك : نعمت أصباحك وسعدت أيامك يا صاحب الجلالة .

الملك : أهو صباح سعيد يا سادة ؟

ورويك : لقد جاوزت الساعة الواحدة يا مولاي .

٣٥ الملك : إذن عتم صباحاً جميعاً يا سادتي اللوردات .

هل قرأتم الرسائل التى بعثت بها إليكم

ورويك : قرأناها يا مولاي .

الملك

إذن رأيتم كيف اعتلت بنية مملكتنا
وأدركتم الأدوية التي تنتاشها
والخطر الذي يهدد قلبها .

٤٠

وروك

: إنها أشبه بالجسم المنحرف المزاج منها بالمعتل ،
ولن تلبث أن تستعيد قوتها

حين يطب لها بالنصح السديد ويقدم لها شيء من
دواء قليل ،
وسيدى لورد نورثمبرلند لن يلبث أن تزول عنه حرارة
الحمى وتهدأ شرته .

٤٥ الملك

رباه . . ليت في طوق الإنسان أن يطلع على الغيب
ليرى ما يأتي به الزمان من أحداثان .
فيرى حيناً كيف تخر الجبال
وكيف تمل الأرض صلابتها وثباتها فتذوب في البحر .
ويرى حيناً آخر
كيف ينحسر المحيط

٥٠

تاركاً وراءه شاطئاً أوسع من ردف نبتون ،
ويرى كيف تملأ كأس الزمان صروفه وتقلباته
وسخريات القدر .

أواه لو أمكن أن يطلع الإنسان على الغيب إذاً لطوى كتابه

حين يقلب النظر فيه ويسترجع ما مر به من أهوال
وحين يطلع سلفاً على ما سنلتقى من فشل ،
إذاً لطوى كتابه وجلس مستسلماً للموت :
لم تمض بعد عشر سنوات

٥٥

منذ كان رتشارد ونورثمبرلند الصديقين الحميمين
يطعمان معاً وما كادت تمر سنتان
حتى انقلبا عدوين للدودين يتحاربان . ومنذ ثمان
سنوات

٦٠

كان برسى هذا أقرب رجل إلى قلبي ،
يجد في خدمتي والعمل لصالحى كأنه أخ شقيق
وكرس لى حبه وحنانه ،

فعل كل ذلك من أجلى وتحدى ريتشارد جهاراً
(إك وروك) ولكن أيكم كان حاضراً
يوم قال ريتشارد وعيناه تفيضان بالدمع

٦٥

هذه الكلمات التى ثبت الآن أنها كانت نبوءة صادقة
منه ؟

قالها حين لأمه نورثمبرلند وعنفه .

أظنك أنت يا ابن العم نيفل الذى شهدت الحادث إذا
لم تخفى الذاكرة ،

لقد قال ريتشارد يومها « يا نورمبرلند أنك إنت الدرج
الى سيرق عليها ابن عمى بولنج بروك الى عرشى »

٧٠

وإن أكن علم الله حينئذ خلوا من هذه الرغبة

ولكن بلغ من ثقل وطأة الظروف على الدولة

أن اضطرت الى أن أحتضن العظمة ،

وواصل ريتشارد حديثه قائلاً : ولا بد أن يأتى الوقت

الذى تتجمع فيه هذه الخطيئة الدنيئة

٧٥

ثم تنفجر ليعم الفساد »

ومضى ريتشارد فى حديثه متنبئاً بما وقع فى هذه الأيام

ومنذراً بتفريق شملنا .

: إن فى حياة جميع الناس سجلاً من التاريخ

ورويك

يصور ما فات من طبائع ومن أزمات .

٧٠

وإذا ما تأمل فيها إنسان فإنه يمكنه أن يتنبأ

على وجه قريب من إصابة الهدف .

بما ستمخض عنه تطورات الأحداث

من نتائج لا تزال مطوية فى بطون الزمن

لم يخن مولدها بعد .

٨٥

ومن تقلب النظر في أحداث الماضي على هذا النحو
استطاع ريتشارد أن يصل إلى نبوءة صحيحة
عن نورثمبرلند العظيم ؛ رآه قد خانه ،
ورأى بذرة الخيانة هذه تنمو إلى خيانة أكبر .
وهذه لا تجد تربة تنمو فيها
إلا فيك أنت .

٩٠

الملك : وهل هذه النتائج ضربة لازب .
إن يكن ذلك حقاً فلنواجهها إذن بشجاعة وصبر على
أنها أمور لا مناص ولا مفر منها
على أن هذه الكلمة لا تزال ترن في آذاني محذرة وداعية
إلى أن نهض ونعمل حتى لا نؤخذ على غرة .
لأنهم يقولون إن قوات رئيس الأساقفة ونورثمبرلند
قد بلغت خمسين ألفاً .

٩٥

ورك : هذا غير ممكن يا مولاي .
إن الإشاعات تضاعف تعداد المرهويين
كما يضاعف الصدى الصوت .
قرعيناً يا مولاي وأرجو أن تذهب إلى فراشك مطمئناً
فإن القوات التي وجهتها إليهم
كفيلة أن تحرز النصر عليهم في سهولة ويسر .

١٠٠

ولأزيدك اطمئناً يا مولاي أقول لك
 إنني تلقيت معلومات أكيدة بأن جلندور قد مات . .
 لقد أمضيت يا صاحب الجلالة طيلة الأسبوعين
 الماضيين وأنت تعاني المرض .
 وما من شك في أن بقاءك ساهراً إلى هذه الساعة
 المتأخرة

١٠٥

سيزيد من مرضك شدة .

: سأعمل بنصيحتك

الملك

ولو أن هذه الحرب الأهلية سكنت ريحها وانتهت
 لذهبنا جميعاً أيها السادة الأعزاء إلى الأراضي المقدسة .
 (يخرجون)

المنظر الثاني

أمام منزل القاضي شالو في جلوستر شاير

(يدخل شالو وسيلنس ويلتقيان وجها لوجه ومن خلفهم مولدى وشادو ووارت وفيل
وبل كاف وخلم)

- شالو : تعال يا سيدى تعال . هات يدك ، أعطني يدك يا سيدى
وحق الطيب إنك لمن القوامين المباكرين (يتصافحان)
كيف حالك يا ابن العم سيلنس الطيب .
- ٥ سيلنس : نعمت صباحاً يا ابن العم الطيب شالو .
- شالو : وكيف حال ابنة العم قرينتك ، وكيف حال ابنتك
الجميلة وابنتى فى العماد إلين
- ٩ سيلنس : وا أسفاه إنها غراب نوحى يا ابن العم شالو .
- شالو : إنها جميلة ولا شك أقولها بكل تأكيد يا ابن العم .
أعتقد أن ولم أصبح طالب علم ممتاز ألا يزال يدرس
فى أكسفورد كما عهدته ؟
- ١٣ سيلنس : أجل يا سيدى وهو يهبط كاهلى بنفقاته .
- شالو : لا بد له أن يتابع بعد ذلك دراسة القانون فى إحدى
كلياته وأظن أن ذلك بات قريباً ، وقد التحقت بعض

الوقت بكلية كلمنت وأعتقد أنهم لا يزالون هناك يتحدثون عن شالو المجنون .

١٩

سيلنس

: لقد كانوا يدعونك حينئذ شالو المايجن يا ابن العم .

شالو

: فبحق القديس لقد كنت أنعت بكل النعوت وكنت

أفعل كل ما بدا لي عامداً متعمداً من غير تحرز

ولا مبالاة بشيء ما . لم أترك شيئاً لم أفعله ، لقد كنا

صحبة في هذه الأيام أنا وجون دويت من استافورد

شير وجورج بارنز الأسود وفرنسيس بكبون وول سكويل

من أبناء كوتسول المتمرسين بأعمال الفروسية وضروب

الرياضة البدنية . وما أظن كليات القانون قد احتمع

لها مثل هؤلاء الأربعة من الشبان المايجنين الصاخبين

بعد ذلك ، وأقول لكم الحق إننا كنا أعرف الناس

بالأماكن التي تغشاها بنات الهوى من الطبقة الممتازة ،

٢٥

وكانت خيرهن مقاماً طوع بناننا ، وكان جاك

فليستاف ، سير جون الآن ، وقتئذ غلاماً صغيراً

وتابعاً لدوق نورفولك توماس مبراى .

سيلنس

: أهو سير جون هذا الذى سيأتى إلى هنا الآن ليجمع

٣١

شالو

المجندين يا ابن العم .

: هو نفسه . هو بعينه لقد رأيته يشج رأس سكوتان

عند باب القصر ، وكان لم يزل حدثاً لم يبلغ هذه
المكانة بعد . وفي اليوم نفسه تشاجرت أنا خلف كلية
جراى مع فاكهى متجول يدعى سمبسون استكشف .
يا لها من أيام بحق يسوع ، أيام الطيش والنزق التى
أمضيها ، إني لأذكرها فأذكر الكثيرين من
إخواننا الذين قضوا نحبهم .

٣٨

سيلنس : هم السابقون ونحن اللاحقون يا ابن العم .
شالو : هذا أمر لا ريب فيه ، مؤكد لا مفر منه ، فالموت
كما يقول مؤلف المزامير حتم مقضى على العباد جميعاً ،
والكل مساقون إلى الموت ؛ كم بلغ ثمن الزوج من
الثيران الجيدة فى سوق استنفورد .

٤٣

سيلنس : لم أكن فى السوق وأيم الحق .
شالو : الموت حتم .. قل لى أيزال ابن بلدتكم دبل العجوز
حياً يرزق ؟

٤٧ سيلنس : لقد مات يا سيدى .
شالو : مات .. يا يسوع يا يسوع .. أمات مع أنه كان
بارع الرماية بالقوس لقد كان صائب الرمية .. وكان
جون جونته يحبه حباً جماً ويраهن بأموال كثيرة على
براعته .. أيمكن أن يموت مثل هذا الراى البارع ؟

لقد كان يطلق السهم من كنفاته على بعد مائتين وأربعين ياردة ، فيصيب قلب الهدف تماماً وكانت سهامه المستقيمة بعيدة المدى تبلغ أهدافها من مسافة مائتين وثمانين ياردة أو مائتين وتسعين . لقد كانت رمياته تدخل السرور على قلوب مشاهديها ، كم تساوى عشرون نعجة الآن ؟

٥٥

سيلنس : هنا يتوقف على حالتها . فإن كانت في حالة جيدة فلإنها تساوى عشرة جنهات .

شالو

: فقد مات ديل العجوز !

(يدخل باردولف معه شخص آخر)

سيلنس

: هاهما اثنان من رجال سير جيون فولستاف قادمان فيما أظن .

شالو

: عمما صباحاً أيها السيدان الشريفان .

باردولف

: أرجوك يا سيدى . . من منكم هو القاضى شالو ؟

شالو

: أنا روبرت شالو يا سيدى . . سيد متواضع من أهل

هذه المقاطعة وأحد قضاة الملك . . فما الذى تبتغيه منى

باردولف

: إن قائدى يا سيدى يحبك أحسن تحية ، وقائدى هو

سير جيون فولستاف فارس مقدم بحق السماء ، وزعيم

آية فى الكرم والشهامة .

شالو : إنه يبعث لى بأطيب التحيات . . لقد كان حين عرفته
يا سيدى مبارزاً بارعاً بالعصا . كيف حال الفارس
الطيب ؟ وهل لى أن أجرؤ وأسأل كيف حال سيدتى ؟

باردولف : عفواً يا سيدى . . فالجندى يكون مكفول الراحة
أكثر ، من غير زوجة .

شالو : أحسنت القول يا سيدى وأيم الحق . . أحسنت القول
حقاً . أجل هو مكفول الراحة هذا كلام طيب . .
نعم كلام طيب حقاً ، والعبارة الطيبة تستحق بالتأكيد
بالغ الإطراء وهى دائماً أبداً تذكر بالحمد . . مكفول
الراحة لأنها مشتقة من أراح يريح . . هذا تعبير جيد .
لأنها عبارة جيدة .

: عفواً يا سيدى لقد استمعت إلى الكلمة كلمة الأمر
أتسميها عبارة ؟ وحقى هذا الصباح أنا لم أسمع قط
عن هذه « العبارة » ولكنى سأحافظ على هذه الكلمة
وأحميها بسيفي ، لتكون بحق السماء كلمة خليقة بجندى
وأمرأ حقيقاً أن يصدر من أفواه قائد رشيد . مكفول
الراحة يا سيدى كلمة تقال عندما يكون الرجل كما
يقولون متمتعاً بالراحة أو عندما يظن أنه حيثما يكون

تكفل له الراحة ، وهو أمر آية في الإبداع .

(يدخل فلستاف)

شالو : هذا كلام صحيح ، أنظر ها هو ذا سير جون فلستاف
٩٠ الطيب قد أقبل (يسرع نحوه) . . مد لي يدك الكريمة
يا سيدى . . هات يدك الكريمة يا صاحب السباحة ،
تالله إنك تبدو غاية في الصحة والقوة ، فتيا لم تمسك
الشيخوخة ، مرحباً بك يا سير جون الطيب .
(يتصافحان)

فولستاف : إننى سعيد أن أراك بخير يا سيدى الطيب روبرت شالو
٩٠ وهذا فيما أظن هو السيد شوركاراد . . أليس كذلك .
شالو : كلا يا سير جون إنه ابن عمى سيلنس . زميل فى القضاء
فولستاف : أيها السيد الطيب سيلنس أن مهنة السلام تصلح لك .
وتليق باسمك .

١٠٠ سيلنس : مرحباً بك يا صاحب السباحة الطيب .
فولستاف : (وهو يحفف جيته) تبا لهذا الجو الشديد الحرارة
أيها السادة ، هل أعددتى لى ستة من الرجال الأقوياء
الأشداء لتزودونى بهم ؟
شالو : أجل وحق العذراء . . لقد أعددناهم لك ، فهلا جلست
يا سيدى .

١٠٥ فولستاف

: (مجلس) دعوني أراهم أرجوكم .

شالو

: (مضطرباً) أين كشف المجندين ، أين الكشف ،

أين الكشف ؟ دعوني أراه ، دعوني أراه ، . دعوني أراه .

فلان وفلان وفلان هذا حسن يا سيدى . رالف

مولدى ، ذرهم يتقدموا كلما ناديت أحدهم بالاسم ،

مرهم أن يفعلوا ذلك ، مرهم أن يفعلوا ذلك ودعوني

أراهم . أين مولدى .

١١١

مولدى

: هاأنذا إذ أذنت يا سيدى .

شالو

: ما رأيك فى هذا يا سير جون ؟ إنه فتى مفتول ، فتى

وقوى وذو نسب عريق .

١١٥ فولستاف

: هل اسمك مولدى (العفن) ؟

مولدى

: أجل إن أذنت يا مولاي .

فولستاف

: هذا أدعى إلى أن تستخدم فوراً لتزيل الأرساخ التى

علقت بك .

شالو

: ها .. ها .. ها هذه نكتة بارعة وأيم الحق ، فالأشياء

العفنة قد تعفنت من قلة الاستعمال .. هذه نكتة

فريدة بارعة . لقد أحسنت القول وأيم الحق يا سير جون .

نعم لقد أحسنت القول .

١٢١ فولستاف

: .. اثقب اسمه فى القائمة .

مولدى : كفى ونحزاً .. لقد لقيت من الوخز الأمرين من قبل ،
 وخير أن تخلى سبيلى ، وتدعنى لحالى ، فإن أمى
 العجوز ، ستهلك أسى إن أنا جندت من العوز ،
 فهى ستعدم من يكدح ويفلح من أجلها .. وما أحسبك
 فى حاجة إلى أن تزيد متاعى ، ومن الناس غيرى من
 هم أكثر صلاحية منى للخروج إلى الحرب .
 فولستاف : لا عليك من هذا والزم الصمت يا مولدى . لا بد أن
 تذهب يا مولدى فقد حان الوقت لتستهلك .
 مولدى : أستهلك ! .

١٢٦

شالو : اصمت يا رجل .. اصمت وتنح جانباً ، ألا تعرف
 أين أنت ؟
 قلنتنقل إلى الآخرين يا سير جون ولأنظر من يكون
 التالى إنه سيمون شادو .
 فولستاف : حسناً وحق العذراء لآخذن هذا الشادو (الظل) لأجلس
 تحته ليكونن جندياً فاتر الحماسة .
 شالو : أين شادو ؟
 (يتقدم رجل محيل)

١٣١

شادو : هأنذا يا سيدى .
 ١٣٧ فولستاف : اسمع يا شادو ابن من أنت ؟

- شادو : ابن أمى يا سيدى .
- فولستاف : ابن أمك . . هذا أمر جد محتمل . . نعم ابن أمك
وصورة من أبيك فابن الأنثى خيال الذكر . هذا فى
الأغلب ولكن فى هذا الخيال كثير من بنية الأب . ١٤٢
- شالو : أيعجبك هذا الرجل يا سير جون ؟
- فولستاف : سنجنده للخدمة فى الصيف ، فاذكر اسمه فى القائمة ،
فإن لدينا أشباحاً كثيرة لا وجود لها نملأ بها قائمة
المجندين . ١٤٦
- شالو : توماس وارت
- فولستاف : أين هو ؟
- (رجل ممزق الثياب)
- وارت : هأنذا يا سيدى .
- ١٥٠ فولستاف : أ اسمك وارت
- وارت : أجل يا سيدى .
- فولستاف : إنك ممزق الثياب حقاً وياورت .
- شالو : أتأذن لى أن أثقب اسمه ياسير جون .. أخذه .
- فولستاف : خل عنه فهذا لا لزوم له وكفاه أن ملابسه معلقة فوق
ظهرة لا تمسكها إلا الدبابيس . فبالله لا تزده وخزاً . ١٥٦
- شالو : ها . ها . . إنك بارع النكتة يا سيدى . إنك حاضر

البدية أنا شديد الإعجاب بظرفك يا سيدى .

فرانسس فييل !

(يتقدم رجل ضئيل الجسم)

فييل : هاأنذا يا سيدى .

١٦٠ شالو : ما صناعتك يا فييل

فييل : حائك ملابس النساء يا سيدى .

شالو : هل أثقب اسمه يا سيدى

فرلستاف : لك ذلك ، ولو أنه كان للرجال لكان هو الثاقب لك ،

أرجو أن تحدث من الثغرات فى صفوف العدو ما أحدثته

فى ملابس السيدات . ١٦٦

فييل : سأبذل غاية جهدى . ولن أدخر وسعاً ، وليس لك

على أكثر من ذلك .

فرلستاف : أحسنت القول يا حائك السيدات الطيب . أحسنت

القولى يا فييل الشجاع ، لتكونن جسوراً كالحمامة

الغضبي شديد الإقدام كالقار الشجاع اثقب اسم

اسم حائك النساء جيداً يا شالو وعمق الثقب يا شالو . ١٧٣

فييل : وددت لو يذهب وارت يا سيدى ؟

فرلستاف : وددت لو كنت حائك رجال لتصلح من شأنه وتجعله

أهلاً للذهاب . فليس فى طوقى أن أجعل من قائد

للآلاف التي تكمن في ملابسه المهلهلة جندياً متطوعاً —
وفي هذا القدر الكفاية يا فيبل القوى .

١٨٠ فيبل : في هذا الكفاية يا سيدى .

فولستاف : أنا شاكر لك يا فيبل المحترم . هات التالى يا سيدى .

شالو : بيتر بل كاف من المروج .

فولستاف : فلنر بل كاف هذا . .

١٨٥ بل كاف : (شاب بدين) هأنذا يا سيدى .

فولستاف : أشهد الله أنه فتي ممتلئ قوى البنية . . هيا خذ هذا
العجيل حتى ينخور خوارياً عالياً .

بل كاف : أواه يا سيدى . . سيدى القائد .

١٩٠ فولستاف : ما بك يا رجل أتخور قبل أن تؤخر ؟

بل كاف : أواه يا سيدى إني رجل معتل ممروض .

فولستاف : وما علتاك ؟

بل كاف : برد لعين يا سيدى وسعال شديد أصابني حين عينت

في خدمة الملك لأدق أجراس الفرح يوم تنويجه

يا سيدى . ١٩٥

فولستاف : لا بأس عليك لتذهبن إلى الحرب في معطف يدفنك

بدلاً من بزة جندي وسنخلصك من هذا البرد البذي
تشكو منه ، وسأخذ تدابير ليقرع إخوانك الناقوس
بدلاً منك ولك إن استشهدت في المعركة . أهذا كل
ما عندكم من رجال ؟

١٩٩

: لقد استدعينا اثنين أكثر من العدد المطلوب لك .
فالتعليقات التي لدينا أن نعد لك أربعة رجال فقط
يا سيدى . وما دمنا قد انتهينا فأرجوك يا سيدى أن
تدخل معى لتناول العشاء .

شالو

: هيا بنا سادخل لأشرب معك . ولكنى لا أستطيع أن
أأأخر لتناول العشاء . . إلى مسرور وأيم الحق برؤيتك
يا سيد شالو .

٢٠٥

: أتذكر يا سير جون تلك الليلة التي قضيناها بطولها معاً
في حانة الطاحونة في ميدان جورج القديس .

شالو

: خلنا من هذا الحديث يا سيد شالو الطيب ودعك منه .
: ها . . ها لقد كانت ليلة بهيجة مريحة وبهذه المناسبة
ألا تزال جيل نايت ورك على قيد الحياة ؟

٢١١

: حية ترزق يا سيد شالو .
: إنها لم تكن تقدر على بعدى أبداً .
: أبداً . . أبداً . . وكانت تحب دائماً أن تقول إنها

فولستاف

شالو

فولستاف

لا تستطيع الصبر على السيد شالو .

٢١٥

: تالله لقد كنت أستثير غضبها من الأعماق . . كانت
من أجمل بنات الهوى . . فهل يا ترى لا تزال محتفظة
بجمالها ؟

شالو

: لقد هرمت . . هرمت يا سيد شالو .

٢١٩ فولستاف

: أجل لا بد أنها أصبحت عجوزاً ، ولا اختيار لها في
ذلك ، لقد بلغت الشيخوخة لا محالة ، فقد زفها روبن
العجوز إلى روبن نيت ورك قبل أن التحق أنا
بكلية كليمنت .

شالو

: كان هذا منذ خمس وخمسين سنة .

٢٢٤ سيلنس

: آه لو أنك رأيت يا ابن العم سيلنس ما رأيته أنا وهذا
الفارس . إيه يا سير جون أليس صحيحاً ما قلته ؟
: أجل ولطالما سهرنا الليل نعربد ونسكر ونسمع الساعة
تدق منتصف الليل .

شالو

: نعم فعلنا هذا يا سير جون . . هذا ما فعلناه وأيم الحق
وكانت كلمة السر بيننا ودعوة السهر والعريضة « مرحى
يا أولاد » هيا نتناول العشاء ، هيا نتعشى هيا بنا .. هيا .
(يتقدم شالو وفولستاف إلى الداخل ومن ورائهما سيلنس)

شالو

سيدى الطبيب البشجاووش باردولف ، أترسل إليك

أن تكون شفيعى ، وهاك أربعة أنصاف جنيه من عملة الملك هارى أدفعها لك بالأرباع الفرنسية ، خذها لك مقابل خدمتك لى ، فأنا أفضل أن أشتق على أن أذهب إلى الحرب ، وفى الحق يا سيدى أن الأمر من ناحيتى لا يعينى فى كثير ولا قليل ولكن المسألة أننى لست راغباً فى الذهاب وإنما أحب أن أبقى مع أصدقائى، ولولا ذلك يا سيدى لما حفلت من جانبي بهذا الأمر .

باردولف : لا عليك ، تنح جانباً يا رجل .

مولى : سيدى الطيب الباشاويش القائد . . أتوسل إليك أن تكون شفيعى وأن تتوسط فى إطلاقى إكراماً لأى العجوز ، فليس لها من يعولها بعدى أو يقضى حوائجها إن انا ذهبت إلى الحرب . . إنها عجوز ولا تستطيع أن تخدم نفسها بنفسها ، ولك مقابل هذا يا سيدى أربعون شلناً .
(يلوح له بشلن فى يده)

٢٤٩ باردولف : لا عليك تنح جانباً .

فييل : وأيم الحق إن هذا الأمر لا يهمنى فى شىء ، والإنسان لا يموت إلا ميتة واحدة ، وإذا كنا سنموت لا محالة ،

فلا مفر من أن توفي بهذا الدين إن عاجلاً وإن آجلاً .
وأنا أضيق صدرًا بالعقول الأسنة وإذا كان في ذهابي
موتى فأهلاً ومرحباً بالموت . وإلا يكن فلا بأس .
وما من أحد أعظم من أن يموت ليخلص في خدمة
أميره ، فلتسر الأمور كما تسير ، وفي أى طريق تشاء
فن يلقى حتفه اليوم فقد خُص من ذنبه وأعفى من
دينه غداً .

٢٥٥

باردولف : أحسنت القول وما أنت إلا رجل طيب .

فييل : في الحق أنى لا أطيق العقول الحقيمة .

(يعود فلستاف والقاضيان)

فولستاف : تعال يا سيدى وقل لى أى الرجال من نصيبى ؟

شالو : أى أربعة منهم ترضى عنهم .

باردولف : (جانبا) سيدى أرجو أن تسمح لى بكلمة لقد أخذت

ثلاثة جنيهاً مقابل إطلاق مولدى وبل كاف . ٢٦١

فولستاف : لا عليك كما تشاء .

شالو : تعال يا سير جون واختر الأربعة الذين تريد هم .

فولستاف : اختر أنت لى .

٢٦٧ شالو : بحق العذراء إذن خذ مولدى ، وبل كاف . وفييل

وشادو .

فولستاف : فأما مولدى وبل كاف فحلفهما . يا مولدى ابق فى بيتك حتى تتجاوز سن الخدمة وتعفى منها ، وأنت يا بل كاف أكبر حتى تبلغ سن الخدمة فتطلب إليها . لن آخذ أياً منكما .

شالو : يا سير جون . . يا سير جون . . لاتخطئ فى حق نفسك ، لإنهما أمثل رجلين للعمل معك ، وأنا أود أن أزودك برجال أكفاء يعدلون خير بجنود جيشك .

فولستاف : أتعلمنى يا سيد شالو كيف اختار الجندى الذى ينفعنى ؟ أفأعنى بالأطراف المفتولة والعضلات القوية والهيئة والجسم والرجل الطرير ؟ لا ، وإنما الذى يعينى هو الروح . . الروح يا سيد شالو . اعطنى الروح يا سيد شالو ثم لا تسئل عن شىء بعد ذلك . فهذا وارت نحيل تزدريه العين ولكن فى أثيابه أسد هزبر ، هذا الوارت سيشحن بندقيته ويطلقها ويشحنها فى سرعة المطرقة التى يندق بها الحداد المعادن ويرفعها ويخفضها فى لمح البصر وبأسرع وأخف من رافع جزار الجمرة . وهذا الرجل شادو ذو الوجه النحيل المشطور مثله ، اعطنى هذا الرجل فهو فى ضآلته لا يصلح أن يكون هدفاً للعدو ، فالعدو قد يستطيع

أن يحكم التصويب على رأس مبرة وأن تتاح له فرص
محقة للإصابة وهذا فيل حائك ملابس النساء ما أسرعه
في العدو عند التراجع بالله عليك اعطني هؤلاء النحال
وخل لك الطراره يا باردولف اعط وارت بندقية وأرني
كيف يمسك بها .

٢٩٠

باردولف : (يعطيه بندقية) قف مكانك ، تقدم إلى الأمام ،
إلى الخلف سر على هذا النحو ، سر . عد هكذا
هكذا .

فولستاف : اقرب مني وأرني كيف تستعمل بندقيتك . . هذا
هذا . حسن جداً لا عليك هذا حسن جداً (ولرت
يمسك بالبندقية ويستعملها بطريقة سجة مضحكة)

ناشدتك الله أن تعطني دائماً الصغار العجاف المسنين
ذوي الوجوه المتغضنة الرماة . أحسنت صنعاً يا وارت
وأجديت وأيم الحق . إنك أجديت يا وارت . قف
ونخذ هذا النصف شلن مكافأة لك .

شالو : (يمسك بالبندقية) إنه ليس حاذقاً في هذه الصنعة فهو
لا يحسنها ولا يؤديها على وجه صحيح ، وإني لأذكر يوماً
في ميل اند جرين عندما كنت مقيماً في كلية كليمنت
أنني قمت بدور سير داجونيت مضحك الملك آرثر

فأذكر رجلاً سرّسع كتلك التماثيل الهزيلة التي يصنعها
 الآكلون بعد العشاء من قشور الجبن لیسلوا أنفسهم ،
 وحين كان يتعري كان يبدو كأنه فجلة حمراء
 صنع لها رأس خيالي عجيب ، بحز السكين . لقد
 كان نحيفاً مهزولاً قميئاً تفتحمه العين وتزدریه .
 لقد كان الجوع مجسماً ، ولكنه كان شبقاً كالقرد ،
 وكانت البغايا يسمينه اللقاح . وكان ذا هيئة في
 ملبسه وطباعه لا يساير الزمن في طرزه ولا سلوكه
 وكان يغني للعاهرات الساقطات اللاتي تهرأ جلودهن
 السياط الأغاني والأنغام التي يرددنها سائقو العربات ،
 ثم يقسم لهن أنها من وحى خياله ومن تأليفه وتلحينه
 نظمها في الهوى والحب . هذا السيف من خشب أصبح
 الآن سيداً يتحدث عن جون جونت من غير كلفة
 كأنما هما صديقان حميمان ، مع أني أقسم إنه لم يره
 قط في حياته إلا مرة واحدة في التلت يارد ^(١) وقد شج
 رأسه وقتئذ لأنه أقحم نفسه بين منظمي هذه المسابقات .
 وقد شهدت ما حدث وقالت لجون جونت إنه ضرب

٢٢٥

٢٤٠

٢٤٥

(١) في وستمنستر حيث تعقد المسابقات الدورية .

رجلا يستحق اسمه بحق ، لأنه كان في إمكانه أن يطويه هو وجميع ملابسه يده في ثوب ثعبان السمك^(١) . لقد كانت حقيبة المزمار الرفيع الطويلة في نظره منزلا فخما بل قصراً عظيما ، ولكنه الآن يمتلك أراضى وأبقاراً حسنا . . . لأنقربن إليه إن عدت وأزداد به معرفة . . . ستكون الطريقة شاقة ولكنى سأوطئه لخدمتي وأستغله لفائدتى كأنما هو حجر الفلاسفة ، ولكنى سأبتز منه الفائدة ضعفين ، وإذا كان الخوت الضخم يأكل السمك الصغير النشط فلست أرى في قوانين الطبيعة ما يمنعنى من أن أتغذى أنا الآخر على هذا الشالو البليد . ألا فلتستقر الدنيا على وضع وبعدها أنفرغ أنا لهذا الأمر وأقلبه على وجهه

(يخرج)

(١) أى أنه ضئيل الجسم .

الفصل الرابع

المنظر الأول

بوركشير . غابة جولترى

(بدخل رئيس أساقفة بورك في لباس من حديد ومبرأى وهيستنجز ولورد باردولف وآخرون)

كبير الأساقفة : ما اسم هذه الغابة ؟

هيستنجز : إنها غابة جولترى إن أذنت يا صاحب النياقة .

كبير الأساقفة : فلنقف هنا أيها السادة ونبعث بعيوننا وأرصادنا

ليتأكدوا لنا من تعداد عدونا .

هيستنجز : لقد بعثنا بهم فعلا .

كبير الأساقفة : أحسنتم صنعا

إن واجبي يقتضي يا أصدقائي وإخواني . في هذا

الأسر العظيم

أن أفضي إليكم أنى تلقيت مؤخراً

رسائل حديثة التاريخ من نورثمبرلند

خاتمة المرمى غاترة اللهجة والمبنى يقول فيها

إنه كان بوده أن يكون هنا معنا بشخصه ومعه قوات
تتفق في عددها وعدتها مع ماله من مكانه رفيعة .
ولكنه لم يرفق إلى تجنيد هذه الجيوش ،

ومن ثم فقد اضطره هذا العجز عن تجميعها
أن ينسحب الآن في اسكتلندا حتى تواتيه الفرص التي
أخذ يدنو قطاها .

واختتم رسائله بخالص الدعوات أن يكمل الله جهودنا
بالنجاح . وأن يكتب لنا الغلبة

١٥

ويجنبنا شر ما تأتى به الأيام من حوادث في المعارك
الرهيبية مع خصومنا الذين نحاربهم .

: وهكذا انهارت صروح الآمال التي بنيناها عليه .
وتناثرت سحطاماً وذهبت أدرج الرياح .

ميراي

(يتقدم رسول)

: هيه . . ما وراءك من أنباء .

هيستنجز

: إلى الغرب من هذه الغابة وعلى مسيرة أقل من ميل
من هنا

الرسول

يربض العدو على أتم أهبة

٢٠

ومن مساحة الأرض التي تتمسك فيها قواته
قدرت عدده بثلاثين ألفاً أو نحوها .

مبارى : هذا هو نفس العدد الذى قدرنا به قواته .

فهيا نتحرك قدماً للقائه فى الميدان .

(يرى وستورلند وبعض الضباط من حاشيته يقتر بون)

كبير الأساقفة : من هذا القائد الشاكى السلاح الذى يواجهنا هنا ؟

مبارى : أظن أنه سيدى اللورد وستورلند

وستورلند : أهديكم أطيب التحيات وأمانى الصحة والعافية

من قائدنا الأمير ولورد جون ودوق لانكستر .

كبير الأساقفة : قل وأنت آمن يا سيدى وستورلند . .

ما هو الهدف من مقدمك

٣٠ وستورلند : إذن ، يا سيدى ،

إلى نيافتك على وجه الخصوص أسوق حديثى .

فلو أن هذا العصيان لبس ثوبه المعتاد ،

وقام به جماعات السوق من السفلة والأوغاد .

يقزدهم شبان طائشون فى أسئال بالية

وغلمان معوزون ،

٣٥

أقول يا سيدى . . لو أن هذه الثورة اللعينة بدت فى

صورتها الطبيعية

وظهرت على حقيقتها وفى شكلها الطبيعى الملائم لها ،

لما وجدتم هنا يا سيدى الأب المحترم ، ولا هؤلاء

السادة النبلاء

- ليخلعوا على هذه الثورة الكريمة الطائشة الوضيعة
ثوب القداسة ويظهروها بمظهر الكرامة ٤٠
- الذى تنتحله بانتسابها إليكم أيها السادة الشرفاء .
وأنت بالذات يا سيدى رئيس الأساقفة
يا من تدين بكرسيك المقدس لقيام حكومة مدينة؟ منظمة
تحافظ على السلام والأمن .
ويا من وخطت يد السلام القضية لحيته .
ويا من أعانه السلام على نشر ثقافته وعلمه .
- ويا من تصور ملابسه الأسقفية البيضاء البراءة ٤٥
وتصور رقة الحمائم ورسل السلام وروح المحبة المباركة
فيما تنكرت يا سيدى لرسالتك رسالة السلام
وأسأت التعبير عن نفسك
فتحولت من حديث السلام المحوط بالبركات ونطقت
بلسان الحرب الخشن اللعان ؟
وأحلت كتبك إلى قبور ، ومدادك إلى دماء ، ٥٠
وأقلامك إلى حراب ولسانك الإلهى المقدس
إلى نفير عال للطعان وداعية للحروب .
كبير الأساقفة : أتسألكم لم فعلت ذلك ؟ .. إذن إليك الجواب ..

فعلت ذلك في اختصار لا بلغ هذا الهدف ،
 إننا جميعاً معتلون مرضى وبإسرافنا في المملذات والشهوات
 جلبنا على أنفسنا الحمى المحرقة ،

٥٥

ولا مفر لنا إذا أردنا الشفاء من أن نريق بعض الدماء .
 وقد أصيب ملكنا السابق وتشرذم بهذه الحمى وقضى
 بها نحيبه ،

ولكني يا سيدى اللورد النبيل وستمورلند
 لا أحب أن أجثم نفسي مشقة القيام بدور الطبيب ،
 فأوصف الدواء الناجع لهذه العلة ،

٦٠

لا ولست أنضم إلى هذه الجحافل المجندة من رجال
 الحرب

لأنى عدو للسلام
 وإنما أوتر في هذه الأيام أن أنظاھر بشن حرب مروعة
 لأرد الذين صدأت نفوسهم وبشمت من الترف واللين
 إلى حياة مستقيمة وإلى صحة كاملة بإلزامهم عادات
 الجندية المنظمة

ولأطهر نفوسنا من هذا التراخي الذى يكاد يفسد علينا
 حياتنا ونجملها عن الحركة

٦٥

واسمعى أزيد الأمر لإيضاحا :

ولقد وازنت بميزان دقيق

بين الأضرار التى قد تحدثها سيوفنا التى امتشقناها وبين
المظالم التى نشكو منها

فوجدت أن متاعبنا وآلامنا أثقل موازين من ذنوبنا
وخطايانا

إننا نتابع مجرى الزمن بأنظارنا ونرى إلى أى طريق نتجه
ولكن الأمواج العاتية الطارئة

٧٠

قد انتزعتنا انتزاعاً من أحضان الشاطئ الآمن والسلام .
وحملتنا على أن نعدد آلامنا ومظالمنا

وأن نحددها تفصيلاً لنقدمها عندما تسنح الفرصة .

هذه المظالم بالذات قد رفعناها من أمد طويل قبل ذلك
إلى الملك ،

٧٥

ولكنها رغم كل ما بذلنا لم تجد منه أذنّاً صاغية كما
أملنا .

وحين يعتدى علينا وتنزل بنا المظالم ونرغب فى أن ننفضى
إليه بآلامنا وشكوانا

يحال بيننا وبين أن نلقاه شخصياً .

ومن ؟ من أولئك الذين بالغوا فى إحاقة الأذى بنا .

إن مصائب الأيام القريبة
التي مرت والتي لا تزال ذكرها عالقة بالأذهان ،
ولم تختف معالمها الدائمة
والتي ما تزال كل دقيقة تمر بنا الآن ،
تقيم الدليل عليها وتمدنا بالبرهان الحى .
هذه المصائب هي التي حملتنا على أن نظهر بهذا
المظهر الثائر ممتشقين الحسام ،

لا لنعكر السلام أو أى فرع من فروع ،
بل لنقيم حقاً سلاماً دائماً ،
اسماً وفعلاً .

قل لى متى رفض الملك طلبكم ؟
وأين أساء معاملتكم . وتجافى عنكم ؟
بل أى لورد من اللوردات حرضه الملك سراً على تحديك
أو استشارة غضبك

حتى تبارك هذه الثورة الطائشة المفتعلة غير المشروعة
وتمنح القداسة لسيفها ؟

كبير الأساقفة : إن ثورتى يا سيدى هي من أجل الصالح العام على
العموم
ومن أجل أخى الذى قتل بأمر من الملك بصفة خاصة

لأن موته خسارة لأسرتنا تمنى بالذات .

وستورلد : لا داعى لدفع هذا الحيف ،

وإذا كان ولا بد منها فلست أنت الذى تدفعه .

مبراى : لم لا يقوم بنصيبه منه ونقوم نحن جميعاً بنصيبنا . .

نحن الذين تحملنا جراح الأيام الماضية ومصائبها ، ١٠٠

وما زلنا نقاسى الظروف التى تفرضها علينا هذه الأيام
العصيبة

التي تنزل من قدرنا ومكانتنا وتعرضنا للمهانة ظلماً
وعدواناً .

وستورلد : سيدى الطيب لورد مبراى . .

لو أنك فسرت الأمور على ضوء الضرورات التى تملها
لوجدت نفسك مضطراً إلى أن تسلم بأن الزمن ١٠٥

هو الذى يوقع بك الأضرار وليس الملك ،

ومع ذلك يا سيدى ، لو أننا أخذنا الأمر من ناحيتك
الشخصية بالذات .

لما وجدنا أدنى سبب فيما أرى

يدعوك إلى الشكوى من تصرفات الملك أو من صروف الزمان .

ألم تستعد ١١٠

كل حقوق دوق نورفلاك وممتلكاته ؟

وَألم تسترد كل مخصصات آباءك الأجداد المذكورين
بالحمد والثناء وألقابهم أيضاً ؟

ميراي

: ما دمنا نتحدث عن الشرف فأى ذنب جناه أبى
استوجب تجريدته من ألقاب الشرف
حتى يقال إننى حوبيت بإعادتها إلى وأكرمت بخلعها
على ؟

١١٥

إن أبى لم يأت قط بل إن الملك الذى كان يحبه
دفعته الضرورة الملجئة فى ظل الظروف والحوادث التى
وقعت فى عهده إلى أن يتخلى عنه وينفيه ،
فى نفس الوقت الذى كان هو وهنرى بولنج بروك
قد امتطيا جواديهما وتأهبا لخوض المعركة ، وأشرأبا
برأسيهما للقتال ،
وصهل جوادهما صهيلا متصلا ليبحثاهما على أن يعملأ
مهمازيهما ويطلقا لهما العنان ،
فى نفس الوقت الذى استلا فيه رجليهما وشرعاهما تأهبأ
للتزال ،

١٢٠

وقد أسدلا على وجهيهما ، وقلحت عيونهما
بالشر من خلال ثقبوب الصليب الذى تدروا به ،
وقد أطلق نفير الحرب عالياً إيداناً بالالتحام .

عندئذ وعندئذ حين لم يكن شئ
 يحول بين أبي وبين صدر بولنج بروك ،
 واأسفاه . . قذف الملك بهراوته إلى الأرض مؤذناً
 بوقف القتال ،

١٢٥

وقد كانت حياته معلقة على هذه العصا التي ألقاها .
 وهكذا أهلك نفسه وأهلك جميع من كانوا معه ،
 هلكوا جميعاً في عهد بولنج بروك إما بسيف القانون
 الذي سلط عليها ،
 وإما بخد السيف في ميادين القتال .

١٣٠- وستمورلند : إنك ترجم بالغيب يا لورد مبراى
 فمن أدراك لأيهما كان سييسم الحظ في هذا الصراع ،
 فايرل هيرفورد كان معروفاً في إنجلترا كلها حينئذ
 بأنه سيد مغوار وفارس مقدم .

ومع ذلك لو أن النصر محالف أباك
 لما استطاع أن ينعم به ولا أن يفر بجلده من كوفتري ،
 لأن البلاد كلها كانت مجمعة على كراهيته ،

١٣٥

على حين كانت دعواتهم ومحبتهم جميعاً
 تتجه إلى هيرفورد الذي كانوا يتولون في محبته
 ويباركون خطواته ويعظمونه ويعاملونه بالإكبار أكثر

مما يعاملون الملك

ولكن هذا انحراف عن الهدف الذى جئت من أجله .

١٤٠

لقد جئت من الأمير القائد

لأقف على ما تشكون منه وأقول لكم باسمه

إنه على استعداد لأن يلقاكم وأن يصغى إليكم ،

وإذا بدا له بعد أن يستمع إليكم أن مطالبكم عادلة

فإنه سيجيبكم إليها ، وسيمحو كل شك فى ولائكم

١٤٥

ويسقط من الحساب كل ظن أوربية فيكم بأنكم أعداء .

: ولكنّه ، يضطرنا اضطراراً لأن نفرض عليه هذا العرض ،

مبرأى

ومن ثم فهو يصدر منه عن الحيلة ولم يصدر بوحى

من الحب .

: أى مبرأى! إنك لتعدو طورك إذا حملت عرضنا على

وستورلند

هذا المحمل

فهو عرض مرده الرحمة لا الخوف ،

١٥٠

فعلى مرئى البصر من هنا ترفض بجيوشنا .

واقسم لك بشرفى إن كل رجالنا تملأهم الثقة البالغة

بأنفسهم ،

بحيث لا يسمحون لأية فكرة عن الخوف أن تتسلل إلى

نفوسهم

وجيوشنا تضم رجالا مبرزين في القتال وأسماء لامعة في

النزال أكثر مما تضم جيوشكم ،

ورجالنا أكثر درية على حمل السلاح واستخدامه ،

١٥٥

ودروعنا أشد قوة والقضية التي نحارب من أجلها أعظم

شأنًا من قضيتكم ،

والمنطق ينادى بأن إيماننا بالنصر لا يقل عن إيمانكم ،

وقوتنا وشجاعتنا كشجاعتكم .

ومن ثم فلا محل للقول بأنكم قد ألجأتمونا إلى أن نتقدم

إليكم بهذا العرض .

مبارى : هيه ، لو أن الأمر لى فى قيادة هذه الجماعة ، لما

سمحت بهذه المفاوضة .

١٦٠ وستورلند : إن هذا الإصرار على الرفض يكشف عن شعورك

بالخجل من تصرفاتك

فالقضية الخاسرة لا تثبت للنقاش .

هستنجز : وهل للأمير جون مطلق التصرف ،

بحيث يمثل أباه فى جميع سلطاته ، وينوب عنه ؟

وهل هو مفوض أن يستمع إلينا وأن يقطع برأى حاسم

فى الشروط التى نعرضها

ونصر على أن يكون التفاهم والصلح على أساسها ؟

١٦٥

وستورلند : هذا الحق مخول له بوصفه قائداً عاماً

وإني لأعجب كيف تسأل هذا السؤال التافه .

كبير الأساقفة : ما دام الأمر كذلك ، فخذ يا سيدى اللورد وستورلند هذه القائمة

فهى تضم كل ما نشكرك منه وتجمع تظلماتنا الأساسية .
فإذا تحقق لنا رد هذه المظالم وإصلاح هذه الأخطاء
كل واحدة على حدة

١٧٠

فإن كل رجالنا المزيدين لقضيتنا أينما يكونون
والذين عقدوا العناصر على تنفيذ هذه الخطة فى مقاومة
الملك

إذا منحوا عفواً عاماً صحيحاً ريثاً وقانونياً
وأجيب مطالبهم وتأكدوا من التنفيذ السريع لكل
رغباتهم

فما يمس ذواتهم وأهدافهم ،

١٧٥

فإنهم يعودون إلى التزام جانب الطاعة

وبذل كل جهد فى طريقنا لتدعيم السلام والأمن .

وستورلند : سأعرض هذا على القائد العام ، ولنعتقد اجتماعاً إذا كان

يرضيك يا سادى

لنناقش هذا الموضوع على مرأى من الجيشين ،

فإما أن ننهي إلى السلام . وهذا ما أثق أن الله سيوفقنا
إليه ،

١٨٠

وإما أن نحتكم إلى السيف إذا لم نوفق إلى الاتفاق
لنهي هذه القضية .

كبير الأساقفة : سيدى . . سنفعل ذلك .

(يخرج وستورلند هو ورجاله)

مبارى : إني أحس هاتفاً في صدرى يقول لى :

إن أى شروط للسلام نتفق عليها لن نهي هذه المشكلة .

١٨٥ هيستنجر : لا تخشى شيئاً يا سيدى ، لأننا إذا وفقنا إلى أن نقيم
السلام

على شروط واسعة كهذه ، ونهائية وحاسمة ،

كالتى تقلعنا بها فإن السلام سيرتكز على دعائم ثابتة
ثبات الجبال الشم .

مبارى : أجل . . أجل . لكن مكافئتنا عند الملك ستكون فى وضع

يجعلها تتأثر بكل قيل واه وبكل نعمة تافهة .

١٩٠

أجل إن رأى الملك فينا

سيتأثر بكل أمر مغرض وكل كلمة عارضة وكل

حديث غث ،

لأن الملك سيزن مثل هذه الترهات بموازين هذه الثورة

ويشم في كل نامة ريحها .
ومهما نبالغ في إخلاصنا للملك ونستشهد في سبيل محبته
فإن رياح الشك العارمة ستدرونا كما تذرو الهشيم ،
وتجعلنا خفافاً ، لا فرق بين حب وهشيم ،
وهكذا يختلط الحق بالباطل .

١٩٥

كبير الأساقفة : لا لا يا سيدى ، ينبغي أن نضع موضع الاعتبار أن
الملك قد مل

من طول الغريبة ودقة التنقية بحثاً وراء الأخطاء والمثالب ،
وأدرك أن التخلص من عدو بالقتل
يبعث في الخلف الذين يرثون هذه المظالم أعداء
أشد وطأة وأعظم قوة .

٢٠٠

لذلك سيمحو من كتبه هذه الشكوك والريب ،
ويردها بيضاء نظيفة ،
ليعنى ذاكرته من كل قيل وقال ،

ويجنب نفسه أن يعيد تسجيل هذه المساوئ إلى ذاكرته
تاريخ خصائره كل حين وأن . ذلك أنه يدرك تمام
الإدراك

أنه لا يستطيع لكل إثارة من شك تعرض لذهنه أن
يبحث كل أسباب الفتنة في هذه البلاد واحداً إثر واحد ،

٢٠٥

فأعداؤه ملتفون بأصدقائه تتشابك جذورهم .

فإذا عمد إلى اقتلاع عدو

فإنه بهذه الطريقة قد يقلقل صديقاً ويزعزعه ،

وبذلك تكون هذه الأرض أشبه بالزوجة الشكسة

٢١٠

التي تستثير زوجها وتلجئه إلى تأديبها بالعصا ،

فإذا ما رفع عصاه ليضربها أمسكت بطفلها

ورفعته في وجهه ليحميها وبذلك تقف الضربة

التي أوشكت أن تحيق بها .

٢١٥ هستنجر : أضف إلى ذلك أن الملك قد استنفذ كل آلات تعذيبه

في تأديب المذنبين السابقين ، حتى باتت تعوزه

الأيدي الباطشة المؤدبة

وبذلك أضحت قوته كقوة الأسد الذي انتزعت أنيابه .

قد يستطيع الهجوم ولكنه لا يقدر على البطش بفريسته

لأنه لا يقوى على الإمساك بها .

٢٢٠ كبير الأساقفة : هذا جد صحيح ، ولذلك كن على ثقة يا سيدي القائد

الطيب

أننا لو أقمنا اتفاقنا على أساس وطيد سليم ،

فإن سلامنا بعد ذلك سيكون أوطد وأقوى بعد هذه

القطيعة ،

كالساق التي تصبح أقوى وأشد بعد أن تجبر من
الكسر .

مبارى : فليكن الأمر كما ترجون . . ها هو ذا سيدى لورد
وستمورلند قد عاد .

(يعود وستمورلند ويرى الأمير جون وجيشه عن بعد)

وستمورلند : إن الأمير على مقربة من هنا فإذا أذنت يا سيدى اللورد
٢٢٥ فى لقاء سموه

فى منتصف الطريق بين معسكرى الجيشين فيها ونعمت .
مبارى : على اسم الله هيا نتقدم يا صاحب النيافة كبير أساقفة
يورك .

كبير الأساقفة : اسبقنا يا سيدى وسنلحق بك على الفور .
(يخرجون)

المنظر الثاني

جزء آخر من نفس الغابة

الأمير جود : (يتقدم ويلقاهم الأمير جون) إني مسرور بلقائك هنا

يا ابن العم مبراى .

طاب يومك يا سيدى كبير الأساقفة النبيل .

وطاب يومك يا لورد هيستنجز وعمّم صباحاً جميعاً

أيها السادة .

سيدى لورد يورك لقد كان أوقع وأجل بك

أن ترى وقد أحاط بك رعيتك الذين تجمعهم أجراس

الكنيسة

ليستمعوا فى خشوع

إلى تفسيرك للكتاب المقدس

من أن ترى وقد تمنطقت بالحديد

تتحدث إلى عصبة من الثوار تستثير حماسهم بدقات

الطبول

واضعاً السيف موضع الكلمة المقدسة التى هى أليق

بك وأخلق ومجىلا الحياة إلى الموت
 — تصور أن رجلاً مآ كان يحتل مكاناً قريباً إلى قلب
 ملك ويتخذ مشيراً له في مجالسه وشئونه الخاصة ،
 تصور أن هذا الرجل الذى استوى له المجد ودانت
 له الدنيا مستمتعة بشمس عطفه
 تنكر لهذا العطف الذى يسبغه عليه الملك وأحال
 النعمة نقمة .

فوا أسفاه أية أضرار وأية إساءات يجريها هذا الرجل
 ويتركها تتدفق
 وهو يتقيأ الأمن فى الظل العظيم ! إن الأمر فى شأنك
 يا سيدى الأسقف

لا يختلف عن ذلك أبداً فمن منا لم يسمع ما يتردد على
 الألسنة

من تمسك بالكتب المقدسة وسعة اطلاعك فيها ؟
 فأنت عندنا بمثابة رئيس البرلمان الإلهى ،
 صوتك من صوت الله فأنت الوسيط بين الله وبيننا ،
 تكشف لنا عن رحمته وإرادته المقدسة

وتقربها إلى أذهاننا نحن الذين نتخبط فى الظلمات
 . . أواه مندا الذى يصدق

إنك نسيء استغلال جلال منصبك المقدس ،
 وإنك تستخدم تأييد السماء وعونها
 كما يستغل حظي الأمير ومحسوبه المزيف اسم سيده في
 الأعمال المنكرة المشينة .

٢٥

فتحت ستار الدين وبمحنة الدفاع عنه
 حشدت رعايا ظل الله في الأرض ،
 وجندتهم وزودتهم بالأسلحة ليثوروا على الملك أبي ،
 وجمعهم في أهبة وعدة كاملة ليعكروا السلام وينتفضوا
 على ظل الله في الأرض .

٣٠ كبير الأساقفة : سيدى لورد لانكستر الطيب
 أنا ما جئت إلى هنا لأثور على أيك وأعكر سلام
 بلادى ،

ولكن الحقيقة كما قلت لسيدى لورد وستمورلند ،
 أن اضطراب الأيام هو الذى حملنا
 على أن نتجمع في هذه الجموع الخيفة الهائلة
 بدافع من شعورنا بالخطر الذى يهددنا جميعاً لنعمل
 على أن نصون سلامتنا ونحمى أنفسنا من المخاوف .

٣٥

ولقد بعثت إلى سموك تظلمنا وآلامنا
 التى سبق أن رفعناها إلى القصر فقبولت بالرفض المهين

وأدى هذا الرفض إلى مولد هذه الحرب المتعددة
الرؤوس

والتي لا يزال في الإمكان تسكينها بسهولة

بالاستجابة إلى مطالبنا الحقّة العادلة

٤٠

وعندئذ تشفى الطاعة المخلصة من لوثها الجنونية

وتبقى إلى السكون وترتمى مستسلمة عند أقدام الملك .

مبارى : أما إذا لم تجب مطالبنا فلإنا على استعداد أن نجرب

حظوظنا وأن نخوض هذه الحرب حتى آخر رجل فينا .

هيستنجز : وإذا أخفقنا نحن في محاولتنا هذه وقضى علينا

فلن تهدأ المعركة فإن وراءنا أمداداً ستجرب هي

الأخرى وتعاود الكرة

٤٥

فإن لم توفق جاءت ثالثة من وراءها لتحذو حذوها

وهكذا دواليك يتوالى الشر ويتوالد

ويرث جيل عن جيل حمل عبء هذا الصراع

ويظل هذا الحال ما ظلت إنجاترا تعقب .

جون : إنك ضحل التفكير يا هيستنجز وإن بصرك لا ينفذ

كثيراً .

بل لا ينفذ في أمر أبداً حين تتعرض لسبر أغوار ما يجد

من أيام

وشورلند : إن أذنت يا صاحب السمو أرجو أن تجيئهم بصراحة
إلى أى مدى أرضيتك مطالبهم

جون : لقد رضيت عنها جميعها وسلمت بها جميعاً
وإني لأقسم هنا بشرف محتدى

إن مقاصد أبى قد أسىء تأويلها
وإن بعض من حوله من أصدقائه المقربين
قد أسرفوا فى تحريف أغراضه وإساءة استخدام
سلطانه .

سيدى إن هذه المساوى كلها ستقوم على الفور
وقسماً بحياتى لتقومن جميعاً وتصلح . فإذا رافكم هذا
وحاز عندكم القبول
فأرجو أن تسرحوا قواتكم . وتدعوها تنفرق إلى مواطنها
فى المقاطعات المختلفة ،
ونحن أيضاً سنفعل هذا بقواتنا . وهيا بنا فى هذه
البطحاء وسط معسكرنا

نشرب معا فى صداقة وود . ونتعاقق أمام جنودنا
ليروا بأعينهم أمارات المحبة والصفاء وعودة الحب إلى
قلوبنا

ولينقلوا ذلك إلى بنى وطنهم إذا رجعوا إليهم .

(وفي أثناء الحديث يأتي الخدم بموائد عليها زجاجات النبيذ والكؤوس)

كبير الأساقفة : إني أقبّل كلمتك يا سيدي وأخذك عند عدك في
تقويم المساوي وإصلاحها .

جون : وأنا أعطيك العهد والميثاق وأعدك أن أحافظ على كلمتي
وهأنذا أشرب نخبك

مستنجز : اذهب أيها اليوزباشي وأذع في الجيش أنباء السلام وأدّ
لهم رواتبهم ، ومرهم أن يرحلوا إلى بلادهم ،

٧٠

فأنا واثق أنهم سيتلقون النبأ بالبشر والسرور . . هيا
أسرع أيها اليوزباشي
(يخرج اليوزباشي)

كبير الأساقفة : في صحتك يا سيدي لورد وستمورلند النبيل .

ستمورلند : في صحتك يا صاحب النياقة ولو علمت كم بذلت
من المتاعب

ليتمخض الموقف عن هذا السلام الحالي

لشريت في حرية وبلا تحفظ ولكن مهما يكن من شيء
فلن جبي لك سينكشف في وضوح في القريب العاجل .

٧٥

كبير الأساقفة : ما أشك في حبك لي
(يشربان)

ستمورلند : إني لسعيد بهذا . .

الصحة لسيدى وابن عمى الكريم مبرأى .

مبرأى إنك تتمنى لى الصحة فى مناسبة غاية فى السعادة

لأننى أحس إحساساً مفاجئاً بشئ من المرض . ٨٠

كبير الأساقفة : حين يشعر الإنسان بالصفو ويكون فى أحسن حالاته من البهجة والسرور يحدث الكدر

وعلى العكس حين يشعر بالضيق والانقباض يكون

ذلك إيداناً بالفرج وموافاة الحظ .

وستمورلند : إذن قر عيناً يا ابن العم ما دام هذا الانقباض المفاجئ

ينبئ أن الغد سيأتى بالفرج والمسرة .

٨٥ كبير الأساقفة : صدقنى يا أخى . . فأنا أشعر بنشوة وسرور بالغين .

مبرأى : وهذا ينذر بالشر إذا سلمنا بأن قاعدتك صحيحة .

(هتافات)

جون . لقد بلغت كلمة السلام مسامعهم وأعلنت لهم . .

اسمع كيف يضحجون فرحاً

مبرأى : لو أن هذه الصيحات جاءت فى أعقاب النصر .

لكانت أكثر بهجة .

كبير الأساقفة : إن السلام كالنصر سواء بسواء

ذلك أن الفريقين فى ظله يغلبان فى نبل وترفع ٩٠

دون أن يخسر أى من الفريقين شيئاً .

جون : اذهب يا سيدى ومر جيوشك أن تتفرق هي الأخرى .
(يخرج وستورلند)

وأنت يا سيدى الطيب أرجو إن أذنت أن تأمر قواتك
أن تسير أمامنا لنستعرض الرجال
الذين كنا سنلتحم بهم ونخوض غمار المعركة معهم . ٩٥
كبير الأساقفة : اذهب أيها السيد الطيب هيستنجز ، ومرهم أن يمروا
أمامنا قبل أن يتفرقوا .
(يخرج هيستنجز)

جون : إني على ثقة أيها السادة أننا سنمضى الليلة معاً هنا
(يدخل وستورلند) إليه يا ابن العم فيم وقوف جيشنا
صامداً إلى مكانه .

وستورلند : إن القواد قد تلقوا أوامرهم منك بالوقوف .

١٠٠ ولن يتفرقوا حتى يسمعوك تأذن لهم في ذلك .

جون : إنهم يعرفون واجباتهم حق المعرفة (يدخل هيستنجز)

هيستنجز : سيدى اللورد . إن جودنا قد تفرقوا

كالغزلان الصغيرة حين يطلق سراحها

وأخذوا يعدون شرقاً وغرباً وشمالاً ويميناً متخذين طريقهم

إلى بيوتهم

أو كالمدرسة حين يؤذن لها في الانصراف يسارع

تلاميذها إلى بيوتهم أو أماكن لهم
 وستورلند : هذه أنباء سارة يا سيدى لورد هيستنجز تستحق من
 أجلها

أن أقبض عليك أيها الخائن بتهمة الخيانة العظمى ،
 وعليك أيضاً يا سيدى كبير الأساقفة وأنت يا سيدى
 اللورد مبراى ،

أنى أتهم كليكما بتهمة الخيانة العظمى .
 (يوضعون تحت الحراسة)

١١٠ مبراى : وهل هذا إجراء عادل وشريف ؟

وستورلند : وهل كان تجمعكم كذلك ؟

كبير الأساقفة : وهل تنقض عهدك على هذا النحو ؟

جون : أنا لم أتعهد لكم بشئ فيما يتصل بسلامة أشخاصكم ،
 فقد وعدتكم أن أقوم المساوى التى شكوت منها وأن
 أصلحها :

وهذا ما أقسم بشرى لى سأنفذه بكل دقة شأن المسيحى
 الشريف

أما أنتم أيها الثوار فأعدوا أنفسكم
 لتذوقوا جزاء ما جنت أيديكم وما أحدثتم من ثورة :
 لقد بدأنتم بجمع هذه القوات فى غباء وحق ، دون أن

ف :

تسبروا غور الأمور ،
 وجثتم بها إلى هنا في طيش ونزق ، ثم فرقتموها من هنا
 ببلاهة وغباء .
 دقوا طبولنا وتابعوا هذه القوات التي تفرقت أيدي سبأ
 فله وحده ندين اليوم بهذا النصر الذي لا يد لنا فيه ،
 وليحرس بعضكم هؤلاء الخونة إلى المقصلة
 التي هي المثلث الحلق لأمثال هؤلاء الخونة فهي الخدمة
 لأنفسهم القاضية على حياتهم .
 (تدق الطبول وتسير الجيوش)

المنظر الثالث

نفير الحرب - حملات ومناوشات بين جند الأمير جون وبعض الثوار
الفارين يقدم فولستاف ويواجه شخصا يسمى كولفيل ويستعدان لقتال

- فولستاف : ما اسمك يا سيدى . وما رتبتك ومن أين أنت
كولفيل ٤ : أنا فارس يا سيدى واسمى كولفيل من أبناء الوادى ؟
فولستاف : حسناً يا سيدى إذن ، كولفيل اسمك ، والفارس رتبتك
والوادى
مكانك . سيظل كولفيل اسماً لك ، وسيكون الخائن
رتبتك ، والحب مكانك وهو مكان جد عميق ، ومن
ثم ستظل تحمل اسم كولفيل من الوادى العميق . ١٠
كولفيل : ألسن سير جون فولستاف ؟
فولستاف : رجل فى أصالته يا سيدى أياً أكون .. هل تستسلم
يا سيدى أو تحملنى على أن أقاتلك وأتصيب فى
جهادك ؟ إن أنت حملتنى على أن أتصيب عرقاً فكن
على ثقة أن هذه القطرات هى دموع محببك التى
سيدرفونها حزناً على مصرعك . لذلك هز مشاعر
الخوف والفرق ، وأيقظها فى نفسك واستسلم شاكراً بين
يدى رحمى . ١٧

كولفيل : (يركم) أعتقد أنك سير جون فلسطين وبوحي هذا الاعتقاد أستسلم لك .

فلسطين : إن يظني تدل على؛ فهي أشهر من نار على علم ، وكلها ألسنة تنطق باسمي في كل مكان . ولو كانت لي بطن أقل بروزاً وأكثر ضموراً لكنت أشد الفتيان نشاطاً وأخفهم حركة في أوروبا كلها . . أواه إن رحي . . رحي (١) تحطمني وتفسد على حياتي هذا هو قائدنا يقبل (يعود الأمير جون وستمورلند وبلنت)

٢٧ جون : لقد هدأت حدة القتال فكفوا عن المتابعة الآن . واستدع قواتنا يا ابن العم الطيب وستمورلند (يسرع وستمورلند خارجاً) هيه . يا فلسطين أين كنت طوال هذه المدة .

أو عند ما ينتهي كل شيء تقبل أنت ؟
إن ألاعيبك هذه لا بد أن تؤدي

٢٢ إلى كسر مشقة من المشاق يوماً من الأيام (٢) .

فلسطين : إن الأسف ليعرفني يا سيدى اللورد لو أنني لم أعنف

(١) لى كائن امرأة .

(٢) بئى أنه لضخامة جسمه لن تتحملة المشقة بل ستكسر به .

ولم أَلَمْ لوماً كهذا الذى وجهته إلى فلان مدح المرء
بما لا يستحق هو ذم فى قالب المدح ولكنى أعرف دائماً
أن اللوم والتعنيف هو جزاء البسالة .. ماذا كنت
تحسبى يا سيدى ؟ . . .

أحسبتنى طائراً خفيف الجناحين أم حسبتنى سهماً
مارقاً ، أم حسبتنى رصاصة منطلقة ، أم حسبت أن لى
أنا البطيُّ الحركة الضعيف الخطو سرعة كلمح الفكر ؟
ومع ذلك فقد أسرعتم لى هنا مستغلاً كل ما وجدت
من الوسائل لى أبعد مدى ، واستبدلت فى الطريق
للى هنا نيفاً ومائة وثمانين حصاناً ، ركبها جميعاً حتى
كلت الواحد بعد الآخر . وما أن بلغت هذا المكان
مجهداً أشعث أغبر من رحلتى الطويلة كما أنا بين
أيديك الآن حتى أسرت سير جون كوفيل من أهل
الوادى بما لى من جسارة معصومة من الزلل نقية لم تشبها
شائبة ، أسرت هذا الفارس العضود والعدو الحسور ،
ولكن ماذا وراء هذا ، لقد رآنى فاستسلم حتى حتى لى
أن أقول كما قال قيصر روما ذو الأنف الأثني !
جئت فرأيت فانتصرت .

٢٧

: لك أن تمتدح تواضعه لأن تثنى على مزاياك، إن الفضل

جون

فى تسليمه يرجع لمجاملته أكثر مما يرجع لجهلك .
 لست أدرى لأيهما يرجع الفصل ، ولكنى قد أسرته على
 أى حال وهأنذا أقدمه إليك ، وأرجو يا صاحب السمو
 أن تأمر بإدراج هذه المفخرة فى عداد مفاخر هذا
 اليوم ، وألا تفعل فبحق السيد المسيح لأضمنها أغنية
 تكتب خصيصاً لتمجيد هذه الذكرى وأنشرها متوجة
 بصورتى ، وكولفيل ينحى ليقبل قدمى . وإذا
 اضطررت اضطراراً إلى أن أسلك هذا المسلك ، وإن
 لم أجعلكم تبدون إلى جانبنى كما يبدو - البنى المذهب
 إلى جانب الحنية الذهب : وإن لم أخسف بنورى
 فى سماء المجد الصافية أنواركم كما يطمس نور البدر
 بصيص أضواء الشهب والنجوم فى السماء التى تبدو
 إلى جانبيه كأنها رؤوس الإبر ، فلا تصدقوا بعد ذلك
 كلام نبيل مثلى . فاكفوا أنفسكم مثونة هذا وأظهروا

حقى ومكنوا لكفائى صعود درجات المجد .
 كفائتك من ثقلها لا تقوى على الصعود .
 : إذن فكنوها من أن تضىء .
 : سمكت قد فاق الحد ؟ هى أنخن من أن تضىء .
 : دعوها تفعل أى شىء من أجلى يا سيدى اللورد الطيب ،

وسموه ما شئتم ما دام ذلك يحقق لى الخير .

٦٦

جون : هل اسمك كولفيل ؟

كولفيل : هو ذلك يا سيدى .

جون : أنت من الثوار المعروفين يا كولفيل ؟

٧٠ فولستاف : وقد أسره أحد الرعايا المخلصين ومن المعروفين أيضاً

يا سيدى .

كولفيل : أجل يا سيدى . ولست فى هذا بأقل ممن هم خير منى

ممن قادونى إلى هنا

غير أنهم لو كانوا تحت أمرى ولم يسلموا لك بلا حرب
لكلفك أخذهم غالياً يا سيدى .

فولستاف : لست أدرى الثمن الذى باعوا به أنفسهم : غير أنى أعلم

أنك سلمت نفسك كما يفعل الرجل الكريم بلا مقابل

وبلا شرط . وأنا شاكر لك أن أهديت نفسك لى .

٧٦

(يسمع صوت النغير من بعد تأمر بالارتداد ويدخل وستمورلند)

جون : هيه . . هل كففتكم عن الطراد ؟

وستمورلند : لقد تم التراجع ولم يبق إلا تنفيذ الإعدام .

جون : ارسل كولفيل لينضم إلى رفاقه فى المؤامرة ،

إلى يورك ليواجه الإعدام .

٨٠

أى بلنت نخذ الرجل إلى هناك وأمعن فى حراسته .

(يخرج بلنت ومعه كولفيل) والآن أيها السادة هيا بنا
 نستعد للرحيل لنذهب إلى القصر .
 فقد سمعت أن الملك أبي اشتدت عليه وطأة المرض ،
 وستسبقنا أنباء النصر إلى مسامع جلالته
 وستحملها إليه يا ابن العم لتدخل السرور على نفسه ،
 وسأأتى على أثرك بأقصى سرعة تسمح بها ظروفنا .

٨٥

فولستاف : سيدى أرجوك أن تأذن لى أن أعود عن طريق
 جلوسشير . وأتوسل إليك ، سيدى حين تعود إلى
 القصر أن تكون شفيعى وأن تؤثرنى بعطفك فى تقريرك
 الطيب .

٩٠ جون : رافقتك السلامة يا فلستاف . سأتحديث عنك فى
 تقريرى

بخير مما تستحق بدافع من طبيعى
 (يخرج الجميع عدا فلستاف)

فولستاف : وددت لو توافر لك الألمعية والذكاء اللذان تستطيع بهما
 أن تتحدث عني بخير مما أستحق ، ليت هذه الموهبة
 تتوافر لك فهي خير لك من دوقيتك . وأتم الحق أن هذا
 الفتى الرزين الجاد لا يحبنى ، وما من أحد يستطيع
 أن يحمله على الضحك . ولا عجب فى هذا فهو

- ٩٥ لا يشرب النبيذ . وما من أحد من هؤلاء الفتيان الجادين المتزمتين قد برهن على أنه كفء لأى شىء حين وضع فى محك الاختبار . ذلك أن مداومتهم على شرب الماء القراح وما إليه من سواقل تبرد دماءهم وإقبالهم على أكل السمك فى سرف أصابهم بداء الخلوروز ^(١) ومن ثم فلأنهم حين يتزوجون يصبحون هم أنفسهم كالنساء ولولا المثيرات ^(٢) لكان بعضنا عرضة لهذا أيضاً . أجل لولا النبيذ الطيب السخى الذى يلقى جسدنا وينشطنا ويحفزنا لكنا عرضة لذلك ! إن النبيذ الطيب السخى يودى لنا وظيفتين فهو يصعد إلى الدماغ ويمتص كل الأبخرة المعتمة المتومة والمتخمرة التى تغلفه ، وينشطه فيمتنع للفهم حياً مبدعاً خلاقاً ممثلاً بالصورة الخفيفة والملتهبة والمبهجة ، هذه الصور البهيجة التى تخلق فى الدماغ حين يتمخض عنها الصوت أو اللسان تخرج إلى الدنيا وتصير بديهة بارعة .
- ١٠٠ أما الخاصية الثانية من خواص النبيذ فهى تسخين الدم

(١) Green sickness أو Chloropi₂ مرض مصحوب بفقر الدم يصيب الفتيات

أعراضه إخضرار الجلد بعض الشئ واضطراب الحيض إلخ .

(٢) كالخمر وغيره . . .

وتنشيطه، فالدم قبل النبذ يكون عند خروجه من الكبد
أبيض مصفراً بارداً راكداً وهذه الصفرة من أعراض
الخور والجبن . ولكن النبذ يدق الدم ويحركه فيندفع
من داخل الجسم إلى الأطراف القصية منه ، ويضئ
الوجه الذى يقوم بدور النذير عند الخطر لبقية
أجزاء هذه المملكة الصغيرة التى تكون الإنسان لتتسلح
وتأخذ أهبتها . وعندئذ تتجمع قوات الجسم الثانوية حول
قائدها القلب ، ليجندها . والقلب حين يشتد أزره
ويعظم أمره بهذه الحاشية المجندة حوله يقدم على أى عمل
من أعمال الشجاعة والبسالة تطلب إليه ؛ هذا الإقدام
كله مرده إلى النبذ السخى . ومن ثم فالخلق فى
استعمال الأسلحة لا قيمة له بدون النبذ ، لأنه هو
الذى يطلقه من جموده وينشطه للعمل . وليس التعلم
إلا كنزاً من الذهب مخبوءاً تحرسه الأبالة ، لا يمنح
الإجازة فى استغلاله ولا يأذن بممارسته والانتفاع به
إلا النبذ . وبهذا ينجلي الأمر فى شأن شجاعة
الأمير هارى فالدم البارد الذى ورثه بالطبيعة عن أبيه
قد تعهده كما تتعهد الأرض الضعيفة الجلباء القحلة
بالتسميد والحرث والرعاية ، تعهده بالجهود المتصلة فى

١١٥

١٢٠

١٢٥

١٣٠

تخير أطيب الأنبذة وشربها ، وتزويد نفسه بكميات وافرة منها ، كلها دسم مخضب حتى حمى دمه وصار شجاعاً مقداماً . ولو كان لي ألف ولد لكان أول درس ذنيوى أحرص على تلقينه إياهم هو أن يقسموا على أن ينبذوا شرب الماء القراح والسوائل الخفيفة وأن يلمنوا شرب النبيذ .

١٣٥

(يدخل باردولف من الخلف ويمسه من فوق كتفه) ما وراءك يا باردولف ؟
باردولف : (وهو يضحك بصوت منخفض) لقد سرح الجيش كله وتفرق .

فولستاف : ذرهم يذهبوا أما أنا فسأمر بجلوستشير حيث أزور السيد روبرت شالو المالك . لقد أصبح عجينة رخوة بين سبابتي وإبهامي أشكله وفق مشيتي ولن يمضي إلا قليل من الوقت حتى أستخدمه فيما أريد . فهيا بنا نذهب .
(يخرجون)

١٤٠

المنظر الرابع

(القصر - قاعة أورشليم - الملك يجلس على كرسي العرش وقد وقف حوله الأمير توماس كلارنس والأمير همفري جلوستر وأيرل ورك وأيرل كنت وآخرون) .

الملك : هيه . . أيها السادة إذا من الله علينا بالنصر
في هذا القتال الدامي الناشب بين ظهرائنا
فلأقودن شبابنا لخوض معارك أنبل غاية .
ولن نجرد سيفاً بعد ذلك إلا لإعلاء كلمة الدين
إن أسطولنا يقف متأهباً للعمل ، وجيوشنا قد تجمعت ،
ونوابنا في الحكم قد عينوا ومنحوا سلطاتهم ليقوموا مقامنا
حال غيابنا ،

وكل شيء يسير وفق مشيئتنا
ولم يعد يحول بيننا وبين الرحيل إلا انتظار بعض العافية
وانتظارنا أن يسلم هؤلاء الثوار القائمون الآن بحركتهم
ويقبضوا إلى الطاعة

ورك : ما أشك في أن كلتا الأمنيتين ستنعم بها جلالتك حالا
الملك : أي ولدي همفري - دوق جلوستر -

أين أخوك الأمير ؟

جلوسر : أظنه خرج للصيد فى وندسور يا مولاي .

الملك : ومن صحبه ؟

١٥ جلوسر : لست أدري يا مولاي .

الملك : ألم يصاحبه أخوه توماس دوق كلارنس ؟

جلوسر : كلا يا مولاي الطيب فتوماس حاضرمعنا هنا .

كلارنس : (يتقدم) ما هى مشيئتك يا مولاي وأنى ؟ .

الملك : لا شىء إلا الخير لك يا توماس دوق كلارنس .

كيف حدث أن تركت صحبة أخيك الأمير ٢٠

مع أنه يؤثرك بالحب وأنت تنجافاه يا توماس ؟

لك مكانة فى قلبه أكثر من كل أخوتك ،

فزدها يا فتاى وأحطها بالرعاية

لتستطيع أن تقوم بالوساطة النبيلة

بين عظمته وبين أخوتك الآخرين ٢٥

بعد أن أثوى فى لحدى ،

ولهذا أطلب إليك ألا تتغافل أو تتقاعس عن الفوز

بقلبه ، ولا تثلم حدة محبته ،

ولا تضيع مزية عطفه

بتصنع البرود وإظهار عدم المبالاة لإرادته .

فهو كريم السجايا إذا أحيط بالرعاية وخص بالعناية ،
 قريب الدموع يلبي نداء الرحمة إذا استثيرت كوامنه ،
 سخي اليد لدى كالصبح حين تستدر شفقتة
 ولكنه رغم كل ذلك صخر لا يلين إذا غمز بجانبه ،
 يقدح شرراً إذا أورى زناده قاس متقلب النزوات كالشتاء
 سريع مفاجئ كالعاصفة الثلجية التى تحمل البرد فى
 مطلع النهار

ومن ثم يجب أن ترعى مزاجه غاية الرعاية ،
 عنفه على أخطائه ولكن فى كرامة
 حين تتلمس فيه ميلا للمرح ،
 فإذا أحسست منه العبوس واكتئاب المزاج فارخ له
 الزمام ومد له جبل الصبر
 حتى تستنفذ هذه النزوات أغراضها وتهمد كما يهد
 الحوت الذى جبر إلى الأرض

بعد أن يستنفذ قواه فى المجاهدة والمقاومة
 تذكر هذا ياتوماس تكن ملجأ لأصدفائك ومثابة لم
 وأمناً
 وتكن العروة الوثقى التى تربط بين إخوتك جميعاً برباط
 متين

حتى لا تتعرض سفينة القربي التي تجمعهم وشيعة
القربي التي توحدهم
إلى أن تحرق أو تنبت حين تختلط بسموم الألسنة
الحاقلة والوقعة

٤٥

وهو أمر لا مفر منه لأنه من طبيعة الزمان والإنسان
مهما تكن هذه السموم شديدة الفاعلية
كالسم الزعاف أو البارود المتفجر .

كلارنس : سألاحظه بالعناية وأحيطه بالرعاية والحب .

٥٠ الملك : ولماذا لست معه في ونلسور يا توماس ؟

كلارنس : إنه ليس هناك اليوم . فهو يتعشى في لندن .

الملك : ومن في صحبته ؟ ألا تستطيع أن تخبرني ؟

كلارنس : في صحبة بوان وغيره من صحابته المعتادين .

الملك : إن أشد الأراضى خصوبة هي أكثرها تعرضاً للآفات

والأعشاب الضارة

٥٥

وها هو ذا ابني وظل شبابي النبيل

قد طغت عليه هذه الأعشاب وغلبته على أمره

لشد ما أنا محزون حزناً يمتد بي إلى ما بعد ساعة الموت .

إن قلبي لينفطر ويمج دماً حين يسرح بي الخيال

وأتصور ما سيثول إليه الحال عندما أوارى في التراب
إلى جانب أسلافي

٦٠

حين تبدو لعين خيالي أيام الفوضى والإباحية
التي ستواجهونها حين تنطلق شهوته العارمة على هواها
ولا تجد من يرد جماحها ،

وحين يصبح الهوى والنزق دليله وقائده ،

وحين تتجمع في يده السلطة والسلطة ،

فواجزناه كيف تلخ به عندئذ شهواته وعلى أى جناح
من سرعة تطير به نزواته

معجلة به نحو الخطر الداهم والدمار المحيى .

مولاي الرحيم ، إن اهتمامك بالنظر إلى هذه الشرور
والآثام التي تحيط بالأمير قد جعلك تجاوز حقيقته
وتباعد عن طبيعته ،

ورك

ذلك أن الأمير إنما يدرس أصحابه

كما يفعل الغريب حين يدرس لساناً جديداً ،

فهو مضطر إلى أن يدقق النظر في كل كلمة وأن
يحفظها حتى ولو كانت نابية

يملك ناصية اللغة ، حتى إذا ما ملكها

هجر حوشها ، كما تعلم يا صاحب الجلالة ،

وأدرك أن هذه الكلمات إنما تعرف لهجر وكذلك شأن
الأمير

فإيه حين تكمل تجاربه وتنضج أيامه
سيهجر هؤلاء الصحاب كما يهجر حوشى القول
ومتبذله ،
وتبقى ذكره في نفسه كالطراز أو الخط الذي تقص
عليه الملابس

ليقيس سميره حياة الآخر ين :
فينفض عنه مهاسد الماضي ويخلعها ويرتدى مكانها
مفاخر وأجساداً .

الملك

· قلما تهجر النحلة حليتها
ولو بنتها في الجيفة الميتة .

(يدخل وستورلند)

من هناك ؟ أهذا أنت يا وستورلند .

وستورلند

: الصحة لمولاي الملك ، وفيض السعادة والسرور

فوق ما أحمل من خير ! مولاي . إن الأمير جون
يقبل يدبك الكريمتين ،

وقد أخضع مبراى والأسقف سكروب . وهيستنجز
ودانوا جميعاً لحكم قانونك ،

ولم يبق الآن سيف مشرع من سيوف الثوار
بل نشر السلام أغصان الزيتون في كل مكان
أما كيف تم الأمر لنا
فهنا في هذه الرسائل تستطيع أن تقرأ وقت فراغك
يا مولاي

٩٠

تفصيل الحوادث واحدة واحدة .

الملك

: أي وستمورلند .. لأنت البشير . لأنت صداح
الصيف

الذي يأتي دائماً آخر الشتاء ليغرد ترانيم انبلاج الصباح ،
انظر ها هي ذى أنباء جديدة تغد علينا .

(يدخل هاركورت)

هاركورت

: وقاك الله يا مولاي شر أعدائك ،

٩٥

فإن تعرضوا لك فليذهب الله بريحهم
كما ذهب بريح أولئك الذين جثت أحمل إليك أنباء
اندحارهم ،

فقد هزم إيرل نورثمبرلند ولورد باردولف

ومعهم جيوش مجندة من الإنجليز والإسكتانديين .

فقد قضى عليهم وهزمهم شر هزيمة حاكم يوركشير .

أما كيف هزموا وكيف سار القتال لغايته

١٠٠

فهذه الرسائل إن أذنت يا مولاي تحمل كل الأنباء
بالتفصيل .

الملك

: ما لهذه الأنباء الطيبة السارة تسلمنى للمرض ؟
أو حتم ألا يوائى الحظ كاملاً أبداً فيأتى بالخير ملء
يديه أم لا بد من نقصان يشوبه
فيخط الكلمات الطيبة الجميلة بحروف مشوهة كرهية ؟
فاللحظ إما أن يوائى بالشبهة وينتقص الطعام

١٠٥

كما هى الحال مع الفقراء حين يمنحهم الصحة ويحرمهم
الزاد الوفير

وإما يكثر الأرزاق ويحرم الشهية كما هى الحال مع
الأغنياء

حين يعطيهم السعة فى العيش ويسلبهم نعمة الاستمتاع
بها .

لقد حق لى أن أحتق الآن وأتبع بهذه الأنباء السعيدة ،
ولكن بصرى يضعف فلا أكاد أرى وعقلى يضرب
فلا أكاد أعى .

١١٠

أواه يا رباه أمسكونى واقتربوا منى . فإن العلة قد
اشتدت بى .

(يغمى عليه ويسقط على الأرض فيسرع إليه الأمراء)

جلوستر : اطمئن يا مولاي صاحب الجلالة !
 كلارنس : أبى يا صاحب الجلالة
 وستمورلند : مولاي الملك أفق لنفسك خفف عنك وانتعش .
 ورك : الصبر الصبر أيها الأمراء .
 فأنتم تعرفون أن هذه النوبات معتادة على جلالته ،
 وكثيراً ما تنتابه .
 ابتعدوا عنه وخلوا بينه وبين الهواء يستفيق فوراً ويعد
 إلى صوابه .
 كلارنس : لا . لا إنه لن يستطيع تحمل هذه الآلام طويلاً ،
 فقد هـد كيانه رحطم بنيانه موالاة السهر والعمل وكـد
 الذهن

حتى خبت ذبالة حياته

ولن تلبث أن تنطفئ .

١٢٠

جلوستر : إن الناس تخيفنى وتدخل الرعب إلى نفسى .
 فهم يتحدثون وقد تملكهم الفزع عن ظواهر خارقة
 للطبيعة . وعن مواليد مرعبة مخيفة ، وعن أطفال حمات
 بهم العذارى من المردة والبحر
 وعن تغيير الفصول واختلاط أحوالها
 كأنما السنة فى مدارها مرت على شهور فوجدتها نائمة

فتخطتها وقفرت عنها إلى غيرها .

وقد فاض النهر ثلاث مرات متواليات دون أن يغيض

كلارنس

مرة واحدة .

:

١٢٥

ويقول العجائز وهم المؤرخون الحمقى

إن النهر فاض مثل هذه الفيضانات

قبل أن يمرض جدنا الأكبر إدوارد ويموت بقليل .

: اخفضوا أصواتكم أيها الأمراء . لقد بدأ الملك يستفريق .

ورك

: ستكون في هذه النوبة آخرته المحتممة ولا ريب .

١٣٠ جلوستر

: أرجو أن تقيموني وتنقلوني من هنا إلى قاعة أخرى .

الملك

احملوني في رفق أرجوكم .

(يحمله ورك وستورلد ويخرجون به ومن ورائهم الأمراء)

المنظر الخامس

قاعة أخرى فى القصر - الملك يتام على فراش وبين يده كلارنس
وحلوستر وورك وآخرون

- الملك : أرجو أن تعفونى من كل ضجيج أيها الأصدقاء الكرام .
إلا أن تكون أنغاماً موسيقية هادئة
تعزفها يد حانية رقيقة لتنعش روحى المعذبة .
- ورك : أعدوا الموسيقى فى قاعة أخرى .
- الملك • : ضعوا التاج هنا إلى جانبي على هذه الوسادة .
- كلارنس : لقد غارت عيوننا وتغيرت حاله تغيراً ظاهراً
(يدخل الأمير هنرى على عجل)
- ورك • : خفف الوطاء . . خفف الوطاء
(يصع التاج على الوسادة)
- الأمير : من منكم رأى الدوق كلارنس ؟
- كلارنس : هأنذا يا أخى تثقلنى الهموم .
- الأمير : أتسح الدنيا فى الداخلى ولا تمطر فى الخارج ؟
كيف حال الملك ؟
- حلوستر : فى شدة المرض .

- الأمير : وهل بلغت مسامعه الأنباء السارة ؟
أبلغوه إياه .
- جلوسر : لقد تغير كثيراً حين سمع بها .
- الأمير : إذا كان السرور قد غلب عليه فأمرضه فسيشفى دون
١٥ حاجة إلى علاج .
- ورك : خففوا الضجيج يا سادتي . (يرى الأمير هنري)
خفض من صوتك يا سيدي الأمير المحبوب .
فإن الملك والدك يتداعى للنوم .
- كلارنس : هيا ننسحب إلى القاعة الأخرى .
- ورك : أتأذن يا صاحب السمو أن تصاحبنا إلى هناك .
- ٢٠ الأمير : لا ، لا أجلس هنا وأسهر إلى جانب الملك
(يخرجون من الباب الأيسر) لماذا يرقد التاج هنا فوق
وسادته
- وهو رفيق جلد متعب مؤرق لصاحبه في الفراش ؟
إليه أيها القلق البراق . . إليه أيها الهم الذهبي .
يا من تنفي الرقاد من العيون وتسبدها
مفتحة الجفون مؤرقة ليالى طوالا ، أينام أبي وأنت
جانبه ؟
- ولكنه نوم على أية حال ليس في نصف حلاوة نوم الخلى

الذى غطى رأسه

واستغرق فى نوم هنىء طوال الليل . إيه يا تاج الملك !

إنك حين تشقى وتعذب حاملك

تحل فوق رأسه كدرع سميك يلبس فى حر النهار .

٣٠

فيشوى صاحبه بلظاه وإن ضمن له الحماية والأمن

(يقترب من فراش الملك) إن بالقرب من شفتيه ومخرج

أنفاسه زغب ريشة ولكنها ساكنة لا تتحرك : ترى

هل يتنفس ؟ لو كان يتنفس لتحركت بالضرورة

هذه الخفيفة التى لا وزن لها (يصرخ) مولاي الكريم ..

أبتاه ..

هذا هو النوم العميق بحق ،

٣٥

هذا هو النوم السرمدى الذى أخرج عدداً كبيراً من

ملوك إنجلترا

من هذه الدائرة الذهبية .

إن حقك على أن أذرف الدموع وأن يملأ الحزن

جوانحي كدأ

وهذا يا أبتاه العزيز ما سأوفيكه بسخاء

بدافع من طبيعتى وحجى وبنوقى الحنونة المخلصة لك

٤٠

أما حقى عندك فهو هذا التاج العظيم

الذى ينحدر إلى - لأنى خليفتك الطبيعى وأقرب الناس
إليك مكانة ونسبا .

(بضع التاج على رأسه) انظر أين حل التاج ؟
إنه حيثما حل حرصته عناية الله ! ومهما تجمعت قوى
الدنيا كلها

٤٥

وتركزت فى ذراع مارد جبار فلن تستطيع
أن تغتصب هذا الشرف الموروث أباً عن جد منى .
هذا التاج الذى ورثته عنك سأورثه لخليفتى وأتركه له
سليماً كما تركته لى (يركع على ركبته لحظة فى صلاة وخشوع ثم
ينقلب الأسمى فينسحب فى هدوء من الباب الأيمن . سكون)

الملك : (يتحرك) ورك . . جلوستر . . كلارنس (يعود ورك
والأمراء الصغار على عجل)

كلارنس : أينادى الملك
هـ ورك : ما هى مشيتك يا صاحب الجلالة وكيف حالك
يا مولاي

الملك : لم تركتمونى هنا وحيداً يا سادتى
كلارنس : تركنا الأمير أخى هنا يا مولاي ،
فقد أخذ على نفسه أن يجاس معاك ويسهر إلى جانب
فراشك .

هـ الملك

: أمير ويلز أين هو دعوني أراه

لأنه ليس بينكم هنا

ورك

: (مشيراً إلى الباب الأيمن) إن هذا الباب مفتوح ولا بد أنه خرج منه

جلوسر

: إنه لم يخرج إلى القاعة التي كنا نجلس فيها .

الملك

: وأين التاج ؟ من أخذه من فوق وسادتي ؟

ورك

: حين خرجنا تركناه هنا في موضعه يا مولاي .

٦٠ الملك

: إذن لقد أخذه الأمير اذهب وابحث عنه .

أهو متعجل إلى هذا الحد

حتى ليظن نومي مرئي ؟

ابحث عنه يا لورد ورك وأرسله إلى هنا ، وله على ما فعل

(يخرج ورك) هذه العجلة من جانبه تتحالف مع دأى

وتعجل بآخرتى .

تأملوا يا أبنائي أى شيء أنتم !

٦٥

وانظروا كيف تسارع الطبيعة إلى الثورة والانتفاض

حين يكون الذهب هو الهدف والغاية !

المثل هذا أقص الأباء الحمقى الملهوفون مضاجعهم

بالسهر والضنى

لصالح أبنائهم ، وكدوا أذهانهم بالهموم ،
وهدوا عظامهم في السعى والعمل ؟
ألمثل هذا جمعوا وكسروا أكرام الذهب التي حصلوها
بشق الأنفس

٧٠

وأثقلوا ضمائرهم بخطايا جمعها بشقي الأساليب ؟
والمثل هذا تحملوا هم تثقيف أبنائهم
بالآداب وفنون الحرب ؟

٧٥

إننا كالنحلة التي تشتت الرحيق من كل زهرة ،
حتى إذا امتلأت أفواهنا بالشهد
وأثقلت أفخاذنا بالشمع

عدنا إلى الخلية لنضع حملنا فيها
وجزأؤنا على هذا الكد لا يختلف عن جزاء النحل فنحن
مثله نقتل كي يفوز غيرنا بالشهد ؟

٨٠

إن هذا هو العلم الذي يتجرعه الآباء على فراش الموت
(يمدورك) هيه أين هو ذلك الذي لم يطق صبراً
حتى يقضى صفة المرض أمره في ويسلمني للموت ؟

ورك

: مولاي ! لقد وجدت الأمير في الغرفة المجاورة
يغسل خديه الرقيمتين بدموع الوفاء

٨٥

وقد بدا الحزن المرير على ملامحه بوضوح مؤثر

ترق له قلوب العتاة الظالمين الذين لا يروى غلهم
إلا الدم المراق ،
حتى لا يملكون عند مشاهدته إلا أن تسيل عبراتهم
ويغسلوا بمدراهم مداهم .
إنه قادم إلى هنا يا مولاي .

الملك

: ولكن لم أخذه التاج من هنا ؟

(يدخل الأمير هنرى) انظروا ها هو ذا قادم . تعال

٩

هنا يا هنرى اقرب منى ،

اخرجوا من هذه الغرفة ودعونا وحدنا (يخرج ريك والآخرون)

: ما ظننت قط أن أعود فأسمعك تتكلم ثانية .

الأمير

: هذا الظن من بنات رغباتك يا هنرى !

الملك

لقد أطلت البقاء إلى بجانبك حتى أملتك

هل أنت متعطش إلى هذا الكرسي لا تطيق صبراً

٩٥

على بعده

حتى لتتعجل باللباس نفسك أمارة ملكي وتاجي

قبل أن تحين ساعتى ؟ يا لحماقة الشباب !

أتسعى إلى العظمة التى ستهلكك ؟

تمهل قليلاً فإن سحابة عظمتى

لما تزل تمسكها أنفاس ضعيفه

١٠٠

لن تلبث أن يتساقط ماؤها وتنقضي سريعاً إن نهاري
قد أظلم ،
لقد سرقت التاج الذى سيصبح بعد ساعات معدودات
ملكاً لك دون حاجة إلى أن ترتكب إثماً
وهأنت ذا قد أثبت ساعة موتى أن ظنى فيك كان
حقاً !

١٠٥

فقد كانت حياتك تشهد بأنك لا تحبى ،
وأنتك أردتني على أن أموت متيقناً من هذه الحقيقة .
لقد كنت تخفى على العداوة والقتل وتضممر لى الشر فى أفكارك
وتشجذ خناجر بغضك على قلبك الحجري
لتكيل لى الطعنات قبل أن أقضى بنصف ساعة . .

١١٠

ألم يكن فى طوقك أن تمهلنى نصف ساعة ؟
إذن هيا عجل لى واحفر قبرى بيديك
ومر الأجراس أن تدق دقات الفرح والسرور بدلا
من دقات الحزن والأسى على موتى ،
ليمتلىء سمعك بأنك توجت لا بأننى مت .
واجعل الدموع التى ستبلل شاهد قبرى
كأنها قطرات الزيت المقدس الذى تضمخ به رأسك
وتبارك به تاجك .

١١٥

واكتف بأن تدفن رفاى مع رفات من سبقونى إلى
الموت بأجيال من أسلافى ،

وأتى بهذا الذى نفخ فيك الحياة طعمة للديدان .
وانزع من السلطان كل رجلى ، واخرق كل أوامرى ،
فقد حان الوقت الذى تسخر فيه من كل نظام وقانون .

لقد توج هارى الخامس ، إذن فليحى الغرور !
وليستقط نظام الملك ! وليخرج كل المستشارين الحكماء
من القصر

١٢٠

وليحل محلهم وليجمع فى أروقة القصر
كل الحمقى المتحذلقين الذين لا يحسنون شيئاً إلا التفاهة
ولغو الكلام من كل إقليم ومكان !
والآن يا أبناء البلاد المجاورة لقد سنحت الفرصة
لستخلصوا من كل تافه داخل حدود بلادكم .

أليس لديكم وغد أثم يستطيع أن يلعن ، ويشرب
ويرقص ،

١٢٥

وأن يعربد طول الليل ، ويسرق ، ويقتل .
ويرتكب الآثام القديمة والجديدة ؟
إن يكن لديكم مثل هذا الوغد فقرؤا عيناً فإنه لن يعود
إلى إقلاقكم ،

فإنجلترا ستتستر على خطاياها وتخفى معاملها مرتين ،
 لإنجلترا ستهيئ له العمل ، وتمنحه الشرف وتعطيه القوة ،
 ولا غرو فهنرى الخامس قد انتزع كمامة القمع من فم
 الإباحية

١٣٠

وأطلق لهذه الكلية المسعورة العنان
 لترضى شهواتها وتتناش بأسنانها الأبرياء .
 واهأ لك أى مملكتى المسكينة يا من مزقتك الحروب
 الأهلية

١٣٥

حين لم تستطع رعايتى أن تجنبك الثورات
 فكيف بك حين يصبح الفساد راعيك وهاديك ؟
 إذن لتعودين برية قاحلة
 أناسيك الذئاب الجائعة ، سكانك من قديم .
 : (وهو راجع) أسألك العفو يامولاي . فلولاً دموعى
 التى عطل تدفقها لغة الكلام

الأمير

لبادرت بوقف هذه الحملة من التقريع العزيز الشديد
 ولكفيتك مثونة هذا الكلام المحزون ، ولكفيت نفسى
 ألم الاستماع لما به إلى هذا الحد .
 هذا هو تاجلك (يفسه على الوسادة مرة أخرى)
 وليحرسه عليك إلى الأبد رب السموات الذى لا يموت

١٤٠

وإذا كنت قد أحبيت تاجك
فما أحبيته لذاته وإنما أحبيته لأنه يمثل شرفك ومجده ،
وإن كذبتك فلا وعيت أن أقوم من ركوعي
هذا الذي هو مظهر لولائي وإخلاصي القلبي لذاتك ،
هذا الولاء العميق الذي علمني هذا الخضوع .
فأنا حين دخلت إلى هنا ، والله شهيد على ما أقول
ولم أجد في جلالكم حساً ولا نفساً
جمد قلبي في صدري .

وإذا كنت أفترى أو أتمحل كذباً فذرني أمت وأنا على
هذه الحال الشعثة ،
ولا تدعني أعش أبداً لأُرى هذه الدنيا الكذوب ،
التغير النبيل الذي قصدت إليه ،

وحين اقتربت لأطل عليك ، وظننتك ميتاً ،
كدت أموت كمدأ يا مولاي لمجرد التفكير في أنك مت ،
وتحدثت إلى هذا التاج كأنما هو شخص يسمع
ويعي ،

ووجهت له اللوم العنيف هكذا : « إن الموم التي
لا بد تصاحبك

أوهت جسم أبي وأكلته ،

ولذلك صرت يا أفضل الذهب أحسن الذهب .
 إن هناك ذهباً أقل منك نقاء ولكنه أنفوس منك وأعظم
 قيمة ،

لأنه يحفظ الحياة حين يمزج في جرعات الدواء
 أما أنت الأشد نقاوة والأعظم شرفاً والأكثر شهرة
 فقد أكلت حاملك . . وهكذا يا مولاي المعظم
 بعد إذ اتهمته وضعمته على رأسى

١٦٥

لأقتص منه حقل كما أقتصه من عدو
 بطش بأبى أمام عيني ،
 وضعمته على رأسى لأقتص منه حقل بوصنى الوريث
 الشرعى المخلص فى ولائه لك ،

ولكنى إذا كنت أحسست بالفرحة تسرى فى عروقى
 أو بالزهو يخالج أفكارى ويدفعنى للتعالى والغطرسة ،
 وإذا كانت أية خالجة من خوالج نفسى مهما تكن
 متمردة أو مغرورة

١٧٠

قد أبدت جانب الميل إليه
 أو اهترت للحفاوة بهذا السلطان الذى يخلعه عليها
 التاج

فادع الله أن يحرم رأسى منه إلى الأبد ،

١٧٥

وأن يجعلنى كأقفر تابع من عبيد الأرض
الذين يركعون له خوفاً وفرقاً .
: أى ولدى !

الملك

لقد وجهك الله لتأخذ هذا التاج فوراً
لستطيع أن تنال المزيد من أبيك
بهذا الدفاع الحسن عن أخلك التاج .

١٨٠

اقرب منى يا هارى واجلس إلى جانب فراشى ، واستمع
إلى نصيحتى الأخيرة فيما أظن ؛ إن الله وحده هو
الذى يعلم يا بنى
كم بذلت من جهد وكم سلكت من طرق جانبية وكم
قطعت من سبل ملتوية

١٨٥

لأفوز بهذا التاج ؛ وأنا أعلم حق العلم
كيف حل قلقاً على رأسى وكم أثار على من متاعب
أما أنت فسينحدر إليك أكثر استقراراً وأشد اطمئناناً
وأجلى سمعة وأوطد مركزاً أمام الناس والقانون .
ذلك أن كل الأوشاب التى صاحبت اقتناصى له
قد دفنت معى فى لحدى

١٩٠

لقد كان مظهر التاج على جبينى مذكراً للناس بالشرف
الذى انتزعته يد جبارة

وكان إلى جانبي كثرة تقاسمى الحياة
ولا تفتأ تمن على بالعون الذى قدمته لى كىما أفوز بهذا التاج .
وكثيراً ما كان العتاب يتحول إلى شعجار وينتهى إلى
قتال وسفك دماء

١٩٥

يشوه جمال السلام الذى كان يبدو فى الظاهر أنه
ناشر ظله على بلادى .
هذه المخاوف الشديدة التى تراها فزعاً قلقاً قد واجهتها
بنفسى وتغلبت عليها ،

فقد كانت أيام حكمى كلها مسرحاً

لهذا الخلاف وتلك الحروب ،

ولكن موقى قلب الصورة الآن وغير المنظر ،

٢٠٠

فالذى كان يبدو فوق رأسى غنيمة منتزعة غير موروثه
انتقل إليك وحل على رأسك فى وضع أكثر قبولاً
فى عيون الناس ،

فأنت تلبس هذا الإكليل الملكى بحق الوراثة الشرعى ،
غير أنك وإن تكن أثبت قدماً وأظهر حقاً مما استطعت
أن أبلغه ،

فإن الملك لم يصف لك بعد ، فما زالت الجراح والكلام
غصة لم تلثم .

ولا يزال أصدقائي الذين أعانني على أمرى والذين
لا يد لك من أن تتخذهم أصدقاء ،
حديثي عهد بما فعلت فيهم من استئصال إبرهم
وانتزع أسنانهم حتى آمن شرهم ،
هؤلاء الأصدقاء هم الذين أدين بقرشى لتدايبرهم
العنيفة ،

وهم الذين أخشى بحق أن أتعرض بسعيهم لفقده .

ولكني أردت أن آمن جانبهم

وأتجنب هذه المخاوف فقلمت أظفارهم ،

وإنه ليدور بخلدى الآن لأمر في نفسى ، أن أوجه

عدداً منهم إلى الأراضى المقدسة

خشية أن تحملهم الدعة ويدفعهم السكون

إلى أن ينقبوا من جديد ويبحثوا وجوه الرأى فى الحق

الذى تسنمت بمقتضاه العرش .

لذلك فليكن سيبلك أى ولدى هارى أن تشغل .

هذه العقول الغادرة الماكرة عن تقليب الأمور بالحملات

الخارجية

كى يمحوا انتقال المغازى إلى خارج إنجلترا آثار

أياى الماضية وينسى الناس أحداثها .

ولقد كان بودى أن أسمعك المزيد من القول ، ولكن
رثى كلتا وأنفاسى تقطعت
حتى لقد عجزت كل العجز عن الكلام .

أما كيف لبست التاج فهذا ما أسأل الله فيه المغفرة !
كما أسأله أن يثبت عرشك وأن يحيط بالأمن والسلام
دعائهم ملكك . ٢٢٠

الأمير

: مولاي الكريم ،

لقد فزت بالتاج ، وليسته ، وحافظت عليه وأعطينى
إياه ،

فحقى فيه ما من بد حق شرعى واضح
وسأحتفظ به وأمسكه بحق

ولو تألبت ضدى قوى العالم كله ، وسأبدل فى صيانه
كل مرتخص وغال . ٢٢٥
(يدخل لورد جون ولا فكستروورك وغيرهما)

الملك

: انظر ها هو ذا ابني جون دوق لانكستر قد عاد .

جون

: الصحة والسلامة والسعادة لجلالة الملك أبى !

الملك

: لقد جئت لى بالسعادة والسلام يا ابني جون ،

أما الصحة فورا أسفاه قد طارت بأجنحة شابة خفيفة
من فوق هذا الجزع المتغصن ، ٢٣٠

والآن وقد رأيتك فقد انتهت رسالتى فى هذه الدنيا
وختمت أعمالى ،

أين لورد ورك ؟

: يا لورد ورك .

(يقدم لورد ورك)

الأمير

: هل هناك اسم بعينه

الملك

يطلق على القاعة التى فاجأنى بها الإغفاء أول الأمر ؟ .

: أجل يا مولاي ، إنها تسمى قاعة أورشليم

٢٣٥ ورك

: الحمد لله ، فى هذه القاعة بالذات يجب أن تنتهى

الملك

حياتى

فقد تنبئنى من عدة سنوات

أننى لن أموت إلا فى أورشليم ،

وقد ظننت غروراً منى أنها الأرض المقدسة ،

فاحملونى إلى تلك القاعة حيث أرقد

إذ لا مفر من أن يقضى هارى نحبى فى أورشليم

٢٤٠

(يحملونه ويخرجون به)

دافى : بحق العذراء سأفعل يا سيدى ؛ هذه التعليمات لا يمكن تنفيذها ؛ وأسألك أخرى يا سيدى هل نزرع حوافى الحقول بالقمح ؟ ١٦

شالو : ازرعوها بالقمح الأحمر^(١) يا دافى ولكن فيما يختص بوليم الطاهى أليس لدينا حمام صغير ؟
دافى : أجل يا سيدى . هاك حساب الحداد يا سيدى ثمناً لحدوى الخيل وقواطع المحارث .

شالو : فلترجع وتجمع ثم تدفع ؛ يا سير جون لن يقبل عذرك

دافى : سيدى نحن فى حاجة إلى شراء رشاء جديد للدلو ؛ وباسيدى هل فى نيتك أن تخصم شيئاً من مرتب ولیم عقاباً له على الزكينة التى أضاعها فى سوق هنكل فى ذلك اليوم ؟ ٢٦

شالو : فليلزم بقيمة الحسارة . . نريد بضعة أزواج من الحمام ، وزوجين من اللدجاج قصير الأجل ، وفخذة من الضأن ، وبعض أشياء أخرى صغيرة مشبهة ، أبلغ ذلك إلى ولیم الطاهى .

دافى : (جافياً) هل يمضى المحارب ليلته هنا يا سيدى

(١) ويسمى أيضاً باللاما الأحمر ويزرع فى جو أغسطس الرطب فى كسمولا .

شالو : أجل يا دافى وسأبالغ فى إكرامه ، فصديق فى القصر
خير من قرش فى الكيس ، احتف برجالہ يا دافى
وبالغ فى إكرامهم فهم أوغاد مشهورون وأستهم
تلدغ وتشهر . ٣٦

دافى : لن تلدغنا بأسوأ مما هم ملدوغون . فقد أكلتهم البراغيث
يا سيدى لأن ملاسهم الداخلية فى منبى القدرة .

٤ شالو : هذه نكتة بارعة يا دافى ، فهيا أسرع إلى عملك يا دافى .

دافى : أتوسل إليك يا سيدى أن تظاهر وتعين ولیم فيزور
من وفكوت^(١) على كليمنت بركر^(٢) من التل .

شالو : لدى شكایات كثيرة يا دافى ضد هذا الفيزور ،
فهذا الفيزور وغد مشهور ، أقولها عن علم : ٤٦

دافى : أنا أسلم لك يا صاحب الساحة بأنه وغد . ولكن حاشا
لله ألا يلقى وغد عوناً وتأيداً فى قضيته تحت تأثير رجاء
صديقه . إن الرجل الأمين الشريف يا سيدى يستطيع
أن يدافع عن نفسه ولكن الوغد لا يستطيع . وأنا قد
خدمت سماحتك بصدق وإخلاص طوال هذه السنوات
الثمان . فإذا أنا لم أستطع مرة أو مرتين كل ثلاثة

أشهر أن أحابي وغداً وأعينه على رجل شريف فمالى من
وزن فى حسابك يا سيدى . لذلك أتوسل إليك أن
تمنحه عونك يا سيدى .

٥٧

شالو : لا عليك ، وأقول لك إنه لن يصيبه مكروه ؛ اهتم
براحة الضيوف وأسرع بإعداد العشاء .

(يخرج دافى)

أين أنت يا سير جون ، تعال يا سيدى ، اخلعوا
نعالكم ، وهات يدك يا سيدى باردولف .

٦٢

باردولف : إني ليسرني أن أرى سماحتك

شالو : أشكرك من كل قلبى أيها السيد الطيب باردولف ،
موجباً بك أيها الغلام الفارع . (إلى الغلام) تعال

يا سير جون

٦٦

فولستاف : سأتابعك أيها السيد الطيب شالو ، وأنت يا باردولف

عليك بخيولنا (يخرج باردولف والغلام) لو أنى قطعت
قطعاً صغيرة لأمكن أن أصنع من هذه القطع ثمانية
وأربعين من العصى المحلاة برؤوس نساك ملتحين فى
حجم شالو . وأنه من عجب الأشياء أن يلاحظ الإنسان
التطابق الذى بين مسلك السيد ومسلك أتباعه ؛
لأنهم صورة طبق الأصل من سيدهم ، فهم من كثرة

مخالطتهم له واعتمادهم عليه قد انطبعوا بطابعه ووضعوا
على وجوههم سم القضاة الحمقى ؛ وهو من كثرة
حديثه معهم تحول إلى خادم في مظهر القضاة ، وكلهم
لطول الصحبة قد تماثلت طباعهم وتشابهت مشاربهم ،
فهم على اتفاق بالغريزة كسرب البط البرى . ولو
أن لى قضية عند السيد شالو لأغويت رجاله بادعائى
أنهم أقرب الناس إلى سيدهم ، أو كان لى طلب عند
رجالهم لتملقت السيد شالو بقولى له إن أحداً لا يمكن
أن يباريه فى سيطرته على خدمه . ولا جدال فى أن المراءى
يتأثر بمن حوله . فالحكمة والجهالة كلتاهما معدية
للخلفاء كما يعدى المرض سواء بسواء . ولذلك فليحسن
الناس تخير أصدقائهم ؛ لأستخرجن من قصة هذا
الشالو مادة تكفى لحمل الأمير هارى على الضحك
المستمر طيلة المواسم الستة للأزياء ، وهى أربعة فصول
بائى عشر شهراً ، أو المدة التى تستغرقها المحاكم
للفصل فى قضيتين ، وسيضحكها هارى بلا توقف
أو عطلة . أوه . . إن كذبة واحدة يؤيدها قسم خفيف ،
ونكتة تقال بوجه جاد ، لكافية أن تدخل السرور
على رجل فتى لم تعرف أطرافه بعد آلام النقرس .

٧٥

٨٠

٨٥

٩٠

ولسوف ترونه يضحك حتى يتغضن وجهه من فرط
الضحك كعباءة مبللة لم يحسن طيها بعد غسلها .

٩٥

: يا سير جون

شالو

: إني قادم يا سيد شالو إني قادم يا سيد شالو .

فولستاف

(يدخل)

المنظر الثاني

وستمنستر . حجرة في القصر . يلتق ورك بقاضي القضاة .

- ورك : مرحى يا سيدى كبير القضاة إلى أين أنت ذاهب ؟
كبير القضاة . كيف حال الملك ؟
ورك : على أحسن حال ، لقد انتهى من متاعبه وهمومه كلها .
كبير القضاة : أرجو ألا يكون قد مات .
ورك : سلك الطريق الذى كتبته الطبيعة على كل حى ،
أما بالنسبة لنا فهو لم يعد فى عداد الأحياء .
كبير القضاة : ليت صاحب الجلالة دعانى لمرافقته
فإن الخدمات التى قدمتها مخلصاً للجلالته فى حياته
تركتنى هدفاً مكشوفاً تصوب إليه سهام الحقد والكراهية .
ورك : هذا حق فالملك الشاب فيما أعتقد لا يجبك .
١٠ كبير القضاة : أعرف أنه لا يحبى ، ولذلك وطدت نفسى
على أن أتقبل بنفس راضية صروف الزمان
التي لن يكون عدوانها على
أبشع مما جرى به خيالى .
(يدخل جون لانكستر وجلوستر وكلايس وستمورلند وغيرهم)

ورك : ها هم ذرية هارى الراحل يقدمون وقد أثقلتهم الأحزان
 إليه . . ليت لهارى الحى مزاجاً
 ولو كمزاج أسوأ واحد من هؤلاء السادة الثلاثة النبلاء ،
 إذن لاحتفظ كثرة من النبلاء بمراكزهم ،
 بدلا من أن يخفضوا شراعتهم ويحنوا رؤوسهم للعصبة
 الآئمة !

كبير القضاة : أواه يا رباه إني لأخشى أن يتقلب الحال كله .
 ٢٠ جون : سعدت صباحاً يا ابن العم ورك ، سعدت صباحاً
 جلوسر وكلاونس : عمت صباحاً يا ابن العم
 (وقفه)

جون : إننا نلتقى كما يلتقى الناس الذين نسوا القدرة على الكلام .
 ورك : إننا لم ننس القدرة على الحديث ،
 ولكنها الأحزان التى ننوء بها هى التى تمسك ألسنتنا عن
 الكلام الكثير فظروفنا لا تسمح به .

جون : حسنا فليكن السلام رفيق هذا الذى تركنا محزونين !
 رئيس القضاة : بل ليكن السلام رفيقنا نحن، فنحن أخرج ما نكون
 إليه وإلا زادت أحزاننا ثقلا .
 جلوسر : أواه يا سيدى العليب لقد فقدت صديقاً بحق ،

وإني لأقسم أنك لا تتصنع هذا الحزن الذى يبدو على وجهك ،

فهو حزن صادق نابع من قلبك .

٣٠ جون

: إنك يا سيدى أقلنا أملاً فى عطف الملك

وإن كان أحد منا لا يستطيع أن يقطع بما سيلقاه من عطفه

وإني لشديد الأسف لهذا ولوددت أن كان الأمر على خلافه .

كلارنس

· إليه إن واجبك الآن يقتضيك أن تتكلم بخير عن سير جون فلستاف ؛

وهو الأمر الذى يتنافى مع طبيعتك .

٣٥ كبير القضاة : سادقى الأمراء المحبوبين ، إن ما فعلته فعلته لغاية شريفة

وقد اهتمت فيه بروح العدل والإنصاف التى أملاها على ضميرى

ولن ترونى أبداً أرجو وأترسل

من أجل غفران مذل مهين .

وإذا خذلنى الصديق ولم تشفع لى استقامتى ،

فسألتق بسيدى ومولاى الملك الراحل

لأقول له من الذى ألحقنى به .

ورك

: هذا هو الأمير قادم .

(يدخل الأمير هنرى (١) وبلنت)

كبير القضاة : أسعدت صباحاً يا مولاي وحفظ الله جلالتك !

الملك

. إن تلك الجلالة الجلديدة الفخمة الضخمة

لم تستقر على كتفى فى يسر كما تظنون . . .

٤٥

أيها الأشقياء، إنكم لتخلطون حزنكم على أبيكم بشيء

. من الخوف منى .

ولكننا هنا فى البلاط الإنجليزى لا فى البلاط التركى :

وقد خلف هارى أباه هارى .

ولم يخلف مراد أباه مراداً

ولكن أظهروا الحزن أيها الإخوة الصادقون فإنه وأيم الحق

. بكم جد خليق .

٥٠

وتالله إنكم لتبدون آية فى الجلال الملكى فى لباس

. حدادكم .

وليحملنى هذا على أن أحذو حذوكم جاداً

وأحمل حزنى إلى أعماق قلبى . إذن فاحزنوا أيها الإخوة

. البررة .

ولكن لا توغلوا فيه

إلا على أنه فسمة مشتركة بيننا نحمل عبثه متكاتفين .
وكونوا على ثقة أيها الإخوة الصادقون أني سأكون لكم
بحق السماء

أباً وأخاً أيضاً ،

فأولوني محبتكم أحمل عنكم همومكم
بيد أن هذا لا يمنعكم ولا يمنعني من أن نذرف الدمع
حزناً على هاري الراحل .

وإن يكن هاري قد مات فما هنا هاري حي يعيش
بينكم ليبدلكم من بعد حزنكم سعادة وأمناً

وليجزىكم عن كل دمة ذرفتوها ساعة من هناة .

جون وإخوته : هذا أملنا فيك يا صامح الجلالة ولسنا نأمل سواه .

الملك : إنكم جميعاً تحلجونني بنظرات منكرة واجفة ، وأنت

يا كبير القضاة أشدهم في هذا

لأنك فيما أظن متأكد من أني لا أحبك .

٦٥ كبير القضاة : إني متأكد ، لو أني وزنت بميزان الإنصاف ،

أن جلالتك لن تجدوا سبباً يرر كراهيتكم لي .

: لا سبب ! . .

الملك

كيف يمكن لأمبر مثلي له آماله العظيمة في وراثة
العرش

أن ينسى الإساءات والإهانات التي هلتها على رأسى ؟
 كيف ينسى التعنيف واللوم والخشونة في المعاملة
 وإرسال ولي عهد إنجلترا ووريث عرشها إلى السجن ؟
 أكان هذا أمراً هيناً على النفس سهلاً تناسيه ؟
 أيمكن أن تغمر كل هذه الإساءات في نهر النسيان
 فيغسلها جميعاً وتنسى ؟

٧

كبير القضاة : كنت حينئذ أمثل شخصية أبيك

وأصدر عن إرادته ، فقد خلع على سلطانه ،
 وأنا بنى في أن أجرى أحكام القانون باسمه ،

٧٥

وفيا أنا مشغول بتحرى مصالح الدولة
 حلاً لسموك أن تناسى مكانتى بوصفى نائباً للملك ،
 وأن تتجاهل جلال القانون وسطوته وأن تسخر من العدالة ،
 ومن ظل الملك الذى أمثله ،

وأن تعتدى على بالضرب وأنا فى مجلس القضاء .

٨٠

فلما اسأت بذلك إلى أبيك لم أتردد فى استخدام سلطتى ،
 وأمرت بسجنك فإن يك ما فعلت لإجراء غير مديد
 وما أخاله ،

فهل يرضيك الآن وأنت صاحب التاج
 أن يكون لك ولد يخرق قوانينك ؟

ويلغى أوامرك ؟

وينتزع العدالة من مجلس قضائك المهيب ؟

ويعترض سير القاذون ؟ ويثلم سيف الحق

الذى يرعى سلامتك وأمنك ؟

بل وأكثر من ذلك أن يمتن ويحقر ظلك القريب منك

ونائبك ؟

وأن يسخر من الأحكام التى يصدرها نوابك باسمك ؟

استخر ضميرك الملكى فى كل هذا ، وأقم نفسك

مقام أبيك عندئذ ، واقض فى الأمر على أنك صاحبه .

اجعل نفسك فى مكان الأب وتخيّل أن لك ولداً من

عقبك ،

وأنك سمعت أنه استباح حماك وجدف فى حقك ،

ورأيت أنه استهان واستهتر بقوانينك المهيبة ،

تصور يا مولاي أن ولدك فعل كل هذا وبالغ فى

الزراية بك

وتصور هذا ثم تصورنى بوصفى نائباً عنك

أستخدم سلطانك فى تأنيب ابنك فى رفق ولين ،

تدبر موقفى يا مولاي على هذا الضوء وانظر فيه فى هدوء

ثم اقض فى أمرى ما أنت قاض ،

وقل كلمتك في شأني كما يقربها ملك في سلطانه ،
 قل ماذا فعلت مما يشين مكاني ويحط من رفعة شأني
 ويمس سيادة مليكي وسلطانه

١٠٠

الملك : أنت على حق يا كبير القضاة ، وقد أحسنت وزن
 الأمور

فاستمر في مكانك ممسكاً بالميزان والسيف .
 وإني لأرجو لك مزيداً من الحسنات والأجساد ،
 وأن تعيش لترى ولداً من عقبى

١٠٥

يذنب في حقلك ويطيعك كما أطعتك ،
 وأن أعيش أنا الآخر لأردد كلمات أبي :
 « ما أسعدني أن يكون بين رجال رجل مقدام شجاع

١١٠

يقدم على أن يقيم حد القانون على ابني ،
 وما أسعدني أن يكون لي ابن
 يخضع جلاله على هذا النحو
 لحكم القانون » . لقد أسلمتني للسجن ،
 ومن أجل هذا أسلمك من جديد

سيف العدالة الذي لم يدنس ، والذي اعتدت حمليه ،
 وأن آمرك أن تستخدمه

١١٥

بنفس الشجاعة والعدل وروح الإنصاف

التي استخدمتها ضدى . . . وهذا يدى أضافحك بها .
والعهد بيننا أن تكون لشبابى أباً ،

وعهدى لك أن يرجع لسانى الكلمات التي تلقها أذنى
وأنحنى وأخضع رغباتى

١٢٠

لتوجيهاتك السديدة التي حنكتها التجارب .
أما أنتم أيها الأمراء فأقول لكم ، وأرجو أن تصدقوني
جميعاً ،

إن نزواتي الجاحدة قد وسدتها التراب مع جثمان أبى ،
وفارقتها منذ مات ،

وأنا اليوم أعيش متقمصاً روحه الجادة وشخصيته المترنة ،
لأسخر من كل ما يتوقعه العالم .

١٢٥

وأخرس التنبؤات ، وأكذب التخرصات ،
وأمحو السمعة السيئة التي ألصقت بى وأنقصت من قدرى
وكان مردها إلى مظاهر حياتى التي تبدت للناس . ولقد

كانت فورة شبابى ودمائى

تنصب كلها حتى الآن ويا للعار فى مجال الغرور .
وتتجه إلى الأمور التافهة الهينة .

١٣٠

أما الآن فقد غيرت مجراها وانحسرت عن طريقها
واتجهت إلى البحر

حيث تختلط بجلال المحيط الأعظم ،
وتتسم بجلال الملك ووقاره .
والآن لقد حان الوقت لدعوة مجلس البرلمان ،
فدعونا نختر أعضاء مجلسنا الخاص من المستشارين
ذوى رأى الحصيف

١٣٥

لتسير هيئة الحكم فى دولتنا سيرا منسقاً
وتخطو قدماً لتنافس أرقى الحكومات فى العالم ،
كى يكون الحرب والسلام أو كلاهما معاً
أموراً نعرفها حق المعرفة ،
(مخاطبا كبير القضاة)

١٤٠

وسيكون لك فى هذا كله يا أبى اليد العليا .
وحين ننتهى من التتويج فسادعو
كما أشرت من قبل كل أهل الرأى فى البلاد
والله أسأل أن يؤيدنى بعونه ليحقق أمانى الطيبة ،
حتى لا يكون لأمير أو نبيل يوماً ما تعلقة مقبولة
تدفعه إلى أن يدعو الله أن يقصر من أيام هارى يوماً
واحداً .

١٤٥

(يخرجون)

المنظر الثالث

جلوس شير . بستان خلف منزل القاضى شالو . موائد وكراسى تحت
خميلة من الشجر ، والوقت ليلة من ليالى الصيف الجميلة . يدخل شالو
وفولستاف يتبعهما سيلنس والغلام ودافى قادمين من البيت فى مشية مترنحة

شلو : أجل لترون بستانى ، نتناول العشاء فى خميلة منه ،
ولأقدمن لكم فى العشاء تفاحاً من محصول العام الماضى
زرعته ييدى ومعه طبق من الحلوى وأشياء أخرى من
هذا القبيل ، مهلا يا ابن العم سيلنس ،
(يستده ييده ليمنعه من السقوط)

وبعد ذلك سآوى إلى الفراش .

فولستاف : أشهد الله أن لك سكناً عظيماً وفخماً ينطق بالغبى
شالو : لا تقل ذلك يا سير جون فالمكان أجرد قاحل لا شىء
فيه فكلنا فقراء يا سير جون وبحق العذراء لا شىء عندنا
إلا الهواء ، الهواء الطيب . انشر الخوان يا دافى ومد الطعام
يا دافى لقد أحسنت صنعاً يا دافى
١٠
(دافى يضع النبيذ وأطباق الفاكهة على الموائد)

فولستاف : إن هذا الدافى يحسن القيام على خدمتك يا سيدى ؛ فهو

يعد مائدتك ويرعى شئون مزارعك وحديقتك ويوفر
عليك أشياء كثيرة .

شالو : إنه خادم طيب .. خادم طيب يا سيدى .. خادم
طيب جداً .. يا سير جون
(يأخذه الفواق)

١٦ تا لله لقد أسرفت فى الشراب مع العشاء . إنه خادم
طيب ؛ هيا اجلسوا ، تفضلوا ، تعال يا ابن العم
(يجلس فولستاف وشالو أمام مائدة)

سيلنس : (محضوا)

٢٠ قال هيه هيه يا غلام ههنا اليوم طعام ونعيم
فاحمد المولى على عام كريم رخيص اللحم غال فى الجريم
وانظر الفتية تغدو وتقيم تنشد الأنعام والالحن النظيم
فى سرور وابتهاج مستديم

فولستاف : هذا قلب من خلى يا سيدى سيلنس - لأشربن
٢٤ فى الحال نخب صحتك شكراً لك على هذه الأغنية .

شالو : قدم للسيد باردولف بعض النبيذ يا دافى
(يجلس باردولف والغلام على مائدة أخرى)

دافى : اجلس يا سيدى العزيز سأؤافيك - على الفور - اجلس
يا أعز الناس - اجلس أيها السيد الغلام الطيب ،

أيها الغلام اجلس ، مرحباً بك : إن ما ينقصك من
الحم سنعرضه من الشراب ، وأرجو أن تغفروا أى
تقصير أو نقص والأعمال بالنيات
(يدخل إلى البيت)

شالو : ابتج وامرح يا سيدى باردولف : وأنت يا جنلى
الصغير ، اضحك وامرح
(يغنى)

افرح افرح افرح زوجى أفنت مالى
فالنسوة هن النسوة ذات ألسنة طوال
كلهن فى ذلك سواء صغارهن والطوال
وما أكثر المرح حين تهتز اللحى فى
البهو ، مرحباً بالسكر أيام الصيام

فولتاف : ما ظننت السيد سيلنس قط له سابقة عهد بمثل هذا
المرح .

سيلنس : من أنا ؟ لقد كنت مرحاً مرة أو مرتين قبل ذلك .
(يدخل دافى ويبيته طبق من التفاح الأحمر)

دافى : هذا طبق من التفاح الجاف لكما يا سادة
(يضع الطبق أمام باردولف)

٤٥ شالو : اسمع يا دافى .

دافى

: لييك يا صاحب السباحة ، قادم على الفور
(إلى باردولف)

سيلنس

أتريد كأساً من النبيذ يا سيدى ؟ (بملا كأساً)
: (يغنى) كأس من نبيذ ، صاف ولذيذ ،
أشربه فى نخبك ، يا فتاتى الحرة . .
القلب الفرحان ، يجلى الأحزان ،
ويفيد الإنسان . ويطيل العمر . . .

فولتاف

: أجدت يا سيدى سيلنس

سيلنس

: وما دمننا قد اتفقنا على أن نلهو ونمرح فهذا هو الوقت
للمرح والسرور . . فقد حلا الليل وطاب السهر

٥٥ فولتاف

: (يشرب) الصحة والعمر المديد لك يا سيدى سيلنس

سيلنس

: (يغنى) هات الكأس واملأ لى . ودرها بيمين وشمال .

ولأشربها حتى الثمالة .

شالو

: مرحباً بك يا باردولف الأمين (يشرب نخبه) إذا كنت

تريد شيئاً ولا تتطلبه فأنت المعلوم يا سيدى . مرحباً بك

أيها الخبيث الصغير (إلى الغلام) وأهلاً بك . وسهلاً ،

سأشرب نخب السيد باردولف ونخب كل الشجعان

والفتيان فى لندن .

٦٢

دافى

: أرجو أن أرى لندن مرة قبل أن أموت .

باردولف

: وأرجو أن ألقاك هناك يا دافى .

شالو

: تا لله لنشربن عندئذ نصف زجاجة من نبيذ معاً

تحية لهذا اللقاء ؛ ها ! ها ! أليس كذلك يا سيد

باردولف ؟

٦٨ باردولف

: بل زجاجة كاملة يا سيدى .

شالو

: أنا شاكر لك والله وليمكن بك الوغد ولا يفلتك أبداً .

أؤكد لك أنه لن يتركك أبداً . إنه لن يتظاهر بالسكر

ويقع على الأرض ويهرب منك فهو أصيل .

(يسمع طرق على الباب)

٦٢ باردولف

: وأنا لن أتركه أبداً يا سيدى

شالو

: هذا كلام ملوك ألا ينقصك شيء ؟ اشرب وامرح

يا سيدى (طرق من جديد) انظر من هذا الذى يطرق

الباب ، من هناك ؟ من الطارق ؟

(يدخل دافى ، سيلنس يشرب كأساً كبيرة مملوءة إلى الحافة فى صحة فولستاف)

٧٦ فولستاف

: لقد بالغت فى إكراي ، وسأرد جميلك بنخب مثله .

سيلنس

: (يغنى) رد جميلى واشرب كأسك . . واجعل منى

فارس طاسك ، يا سمنجوا^(١) . أليست القصيدة هكذا

- ٨٠ : كما أروها ؟
فولستاف : أجل هي كذلك
- سيلنس : أهى كذلك ؟ . . إذن فقل إن الرجل المسن لا يزال يصلح لشيء
(يعود دافى ووراءه بيستول)
- دافى : إن أذنت يا صاحب السباحة ، هنا رجل يدعى بيستول
٨٥ جاء من القصر يحمل أنباء .
- فولستاف : من القصر ؟ دعه يدخل ، مرحباً يا بيستول .
بيستول : سيدى سير جون حفظك الله
- ٨٩ فولستاف : أى ريح طوحت بك إلى هنا يا بيستول ؟
بيستول : ليست ريح السوء التى لا توجه الإنسان إلى خير أبداً ؛
يا فارسى العزيز لقد أصبحت الآن أحد عظماء هذه
المملكة
- سيلنس : بحق العذراء أعتقد أنه أضخم رجل فى المملكة إذا
استثنينا فتى يارسون السيد بف^(١)
- بيستول : ريح فى حلقك يا أشد الناس جبناً وحقارة !
يا سير جون أنا بيستول ورجلك وصديقك ،

(١) Puff of Parson . وفى اسم الرجل تورية لأن معناها هب من ريح .

فقد ركبت إليك يشق الأنفس السهل والوعر
 لأسبق بحمل الأنباء الطيبة إليك لقد حملت لك معى
 أطيب الأخبار
 وبشريات الأيام الذهبية والأنباء السعيدة التى تسترعى
 الانتباه وتستأهل السماع .

١٠٠

فولستاف : أرجو أن تنفض جعبة أخبارك بأسلوب الرجل العادى
 فى هذه الدنيا !

بيستول : تباً لهذه الدنيا وسحقاً للذنوبيين الحقراء
 لأننى أتحدث عن أفريقيا مصدر الذهب وعن الأفراح
 الذهبية .

فولستاف . ويل لك أيها الفارس الأشورى الحقيق ما وراءك من
 أنباء ؟

دع الملك كوفيتيا^(١) يعلم النبأ اليقين فى هذا الأمر .

١٠٦

سيلنس : (يغنى) « روبن هود وسكارلت وجون »

بيستول : أتواجه الكلاب القذرة التى تلغ فى مزابل الشعراء الذين
 يستلهمون الوحي من هليكون ؟

أو تدنس الأنباء الطيبة على هذا . النحو ؟

(١) Go phetua : ملك من ملوك أفريقيا ورد ذلك فى بعض الأغاني .

إن يكن ذلك فآلق بمواهبك يا بيستول في أحضان

الشيطان .

١١٠

: أيها السيد الأمين لم أتشرف بعد بمعرفة من تكون ؟

شالو

: إذن فلتحزن على ما فاتك .

بيستول

: أسألك المخذرة يا سيدى . . وياسيدى إن كنت تحمل

شالو

أنباء من القصر فأنت مخير بين أمرين إما أن تلقى بها

وإما أن تخفيها ، وأنا أحد رجال الملك وفي مركز له

نفوذه ومكانته .

١١٨

: من رجال أى ملك أنت ؟ انطلق أيها الغر الجهول

بيستول

أو تذوق الموت .

: من رجال الملك هارى

شالو

: هارى الرابع أو هارى الخامس ؟

بيستول

: هارى الرابع

شالو

: إذن فسلام على مركزك .

بيستول

يا سير جون ! إن حملك الوديع أصبح الآن ملكاً

١٢٢

أصبح صاحبك الملك هارى الخامس ، والحق أقول

وإن يك بيستول كاذباً فافعل به هذا واغمزه بأصبعك

كما يفعل الأذعياء من الأسبان .

: أمات الملك العجوز ؟

١٢٦ فولستاف

بيستول : مات واستقر في قبره كما يستقر المسمار في الباب .
 إن الذي أقوله لكم حق لا مرية فيه .

فولستاف : أسرع يا باردولف وأسرج حصاني ، وأنت يا سيد
 روبرت شالو تخير ما شئت من المناصب تكن طوع
 بنافك ، وأما أنت يا بيستول فسأضعف شحتك
 من المفاخر والمكارم .

١٣١

باردولف : يا لليوم السعيد البهيج !
 إن رتبة فارس لن تكفيني ! بل لايد من مزيد من
 المكافأة

١٣٤ بيستول : ما هذا ؟ أجنث بالأنباء السارة الطيبة ؟
 فولستاف : (لداني) احمل السيد سيلنس إلى فراشه ، سيدي
 شالو ، لورد شالو ، أو ما شئت من ألقاب السيادة ،
 تمن على فأنا خادم إله الحظ ، انتعل حذاءيك فإننا
 سنركب طول الليل . مرحباً بك أيها العزيز بيستول
 (يتعانقان) أسرع بالخروج يا باردولف ! (يخرج
 باردولف) وتعال يا بيستول زدني من حديثك وفي
 أثناء ذلك فكر فيما تريد من خير سابق أسبغه عليك
 في الحال .. انتعل حذاءيك .. انتعل حذاءيك
 يا سيد شالو ! فأنا أعرف أن الملك الشاب مشوق

لرؤيتي متطلع للقائى . استول على خيول أى إنسان
فقوانين إنجلترا كلها رهن بمشيئتي . النعمة والمجد لكل
من كانوا أصدقائى ، والنعمة والويل لكبير القضاة !
: فلتعصر العقبان الكاسرة رثتيه أيضاً وليحشر فى نار
الجحيم !

سيقول الناس فى أسى وحسرة « أين أيام سعدنا
الحوالى » ؟
أما نحن فالسعد وأفانا وباتت الأيام الحلوة أمامنا ،
مرحباً بأيام هنا والسرور
(يصرعون إلى الداخل وقد حمل دافى والخدم السيد سيلنس)

المنظر الرابع

شارع في لندن . يدخل القواصون وهم يجرون كويكلى صاحبة الحانة
ودول قرشيت .

صاحبة الحان : (وهي تقاوم للإفلات) : لا أيها الوغد الأثيم ، تمنيت
على الله أن أموت حتى تشنق بسببي ، لقد خلعت كتفى

ونزعت مفصلي

القواص الأول : لقد أسلمنى إياها رجال الحفظ ، وسأكرم وفادتها
بكثير من السياط فقد قتل رجل أو رجلان مؤخراً

في صحبتها أو بسببها

دول : أيها الخطاف إنك تكذب . . تكذب أيها الخطاف

(يضربها) ويحك ماذا يكفيني في سبك ولعنك لو أنك

أجهضت الطنمل الذى في بطنى أيها الوغد ذو الوجه

الأصفر اللعين ؟ كان أحرى بك أن تضرب أمك

التي ولدتك أيها الخبيث الناحل الوجه .

١٢

صاحبة الحان : آه يا إلهى ! لو أن سير جون عاد لجعل هذا اليوم أسود

على رؤوس بعض الناس ، ولكنى أدعو الله ألا يصيب

مولودها مكروه

القواص الأول : وماذا لو أصابه ؟ لو أنه سقط لوضعت اثنتي عشرة
وسادة أخرى لتظاهري بالحمل بدلا من إحدى عشرة
وسادة تضعيها الآن .

ما علينا هيا أمامى . فأنا أنهمكما أنتم الاثنين بالقتل ،
فقد مات الرجل الذى اشتركتما مع يستول فى ضربه .
هيا اذهبي معى .

١٩

دول : بماذا أسبك أيها الرجل المهزول القمىء كصورة المسخ
التي تحلى به علب البخور ؟ لأتسبين فى جلدك جلداً
مرّاً جزاء لك على قحتك أيها الشقى ، ذا الرداء
الأزرق ، يا جلاد

البغايا الملوكة القدر ، تالله لئن لم تجلد لأهجرن لبس
الإزار .

٢٤

القواص الأول : دحك من هذا يا بنت الليل أيها المذنبة المتجولة الخاطئة
دحك من هذا .

صاحبة الحان : يا إلهى كيف تغلب القوة الحق على هذا النحو ! ومع
ذلك فلا بأس فإن بعد العسر يسراً

٣٠ دول : رويدك أيها الشقى رويدك هيا خذنى إلى القاضى .

صاحبة الحان : أجل هيا إلى القاضى أيها الكلب المتعطش إلى الدماء .

دول : أيتها الجمجمة النخرة والعظام العارية .
 صاحبة الحان : هيا أيها التافه الناحل ، هيا أيها الوغد الهزيل !
 القواص الأول : حسن جدا .
 (يأخذهما إلى السجن)

المنظر الخامس

مكان عام بالقرب من كنيسة وستمنستر . تجمعات من الناس وحرس مصطفون على جانبي الطريق . يدخل حاملو الحصص .

حامل الحصص(١): افرشوا مزيداً من الحصص ، مدوا مزيداً من الحصص .

حامل الحصص(٢): لقد نفخت الأبواق مرتين .

حامل الحصص(٣): لن يخرجوا من حفلة التتويج قبل الساعة الثانية ،
فهيا عجلوا ..

عجلوا .

(يمرن . صوت الأبواق يرتفع . يصعد الملك وحاشيته في موكب
ويدخلون إلى الكنيسة وبعد برهة يقترب فولستاف وشالو ويستول
وباردولف والغلام ويتخذون لهم أمكنة وسط الجموع المحتشدة)

فولستاف : قف هنا إلى جانبي أيها السيد وروبرت شالو ؛ وسأجعل
الملك يحبك في عطف وبشاشة ، سأطلع إليه في
ود ومحبة وهو يمر بنا ، وأرجو أن تلاحظ العطف الذي
سيغمرنى به .

٩ يستول : فليبارك الله رثيتك أيها الفارس الطيب ١

فولستاف : تعال هنا يا يستول وقف ورائي (إلى شالو) إليه لو ،

أن الوقت فيه سعة لتفصيل أزياء رسمية جديدة محلاة
بشعار الملك ، إذن لصرفت الألف جنيه التي اقترضتها
منك في حياكة هذه الحلل ، ولكن هذا لا يهم ،
إن هذا المظهر الأشعث الأغبر سيكون له أحسن الوقع
عنده ، فسيعلم منه كيف كنت حريصاً ومتعجلاً
لرؤيته .

١٦ شالو : سيكون له هذا الأثر .

فولستاف : سيكشف هذا عن صادق حبي ،

شالو : سيكون كذلك .

فولستاف : ويكشف عن ولائى وإخلاصى .

٢٠ بيستول : أجل ليكونن له هذا الأثر وليكشفن عن ولائك

فولستاف : ويكشف عن حقيقة الأمر كما وقعت ، مواصلة للسفر

بالليل والنهار ؛ وسعى إليه بلا تمهل أو تفكير ،

وبغير صبر ، حتى على تغيير ملابس السفر .

٢٤ شالو : هذا خير بالتأكيد .

فولستاف : ومسارة إلى مشاهدته بوعثاء السفر ، متصبباً عرقاً

من نار الالهة للقائه ، صارفاً النظر عن التفكير فى أى

شئ آخر ، صاحباً ذيل النسيان على كل الشئون

- ٢٩ الأخرى ، كأنما ليس ورأى ما يشغلنى إلا أن أراه .
 يستول : هذا هو حالك دائماً ، ففيما عدا هذا ليس وراءك
 من شيء يشغلك^(١) فهو شغلك الشاغل دائماً .
 شالو : هذا هو الواقع .حقاً
 يستول : سيدى الفارس سأحرق كبذك النبيل كهداً
 وأثير حفيظتك وغضبك .
 إن حظيتك دول ومحوبتك التى تحل فى قلبك كما تحل
 هيلين فى قلب اليونانيين
 ترقد الآن فى سجن حقير ومحبس عفن ينشر العدوى
 جربها إلى هناك
 يد عتل حقيرة قدرة ،
 أيقظ الانتقام من مضجعه الأسود فى نار الحميم ،
 متشجاً يجلد الكتو ذى الثعابين ،
 لأن دول فى السجن . ويستول لا يقول شيئاً إلا الحق .
 فولستاف : سأخلصها من محبسها . (يسمع صوت الأبواق وهتاف غال)
 يستول : لقد بدأ البحر يزخر وعلا صوت الأبواق
 (يخرج الملك وحاشيته ومعهما كبير القضاة من الكنيسة) .

(١) باللاتينية "for obscure hoc nihil ert" "semperidem" Tis

٤٤ فولستاف : حفظ الله جلالك أيها الملك هارى . . أى سيدى

ومليكى هال .

بيستول : فلتحرسك عناية السماء وترعاك يا سليل المجد المعظم .

الملك : (جانبا) سيدى كبير القضاة ، تحدث إلى هذا

الرجل الأحمق .

كبير القضاة : أأنت فى كامل وعيك أتدرى ما تقول ؟

فولستاف : (يندفع تاركاً إياه) مليكى ، إلهى ، جوبيتر إنى

أتحدث إليك يا مليكى المحبوب .

٥٠

الملك : لست أعرفك أيها الرجل العجور . اعكف على

صلواتك .

فما أقبح أن يصبح العجائز حتمى ومهرجين

لقد رأيت منذ أمد بعيد فى الحلم رجلاً مثل هذا ،

شديد انتفاخ البطن ، متقدماً فى السن ، بذىء اللسان ،

ولكن ما أن استيقظت حتى احتقرت هذا الحلم

٥٥

ومن الآن فصاعداً خفف وزنك يا رجل وزد مكانتك .

واهجر البطنة واعلم أن القبر متفتح لآلهاماك

وسع ثلاث مرات مما يتفتح لأى إنسان آخر

وكف عن إجابتي بنكت ساخرة يملها الطيش والثرق .

ولا تفترض أبداً أننى الشئ الذى كنته ،

٦٠

فالله يعلم والعالم كله سيشهد
 إننى عدلت عن مسلكى السابق فى الحياة
 وهجرته كما هجرت كل صحبى السابقة .
 فإذا سمعت ولن تسمع أنى عدت سيرتى القديمة
 فاقترب منى وستكون منى كما كنت ،
 المعلم والمهيئ لفرص اللهو والعبث .

٦٥

وإلى أن يحدث ذلك فإنى أمر بنفيك كما فعلت بكل
 الآخرين
 الذين أضلوني سواء المبيل ، والموت جزاؤك إن عصيت
 أمرى

أو اقتربت منى ولو على مبعدة عشرة أميال .
 ولأعينك على العيش سأرتب لك معاشاً يكفيك قوتك ،
 لعل هذا الكفاف يملك على الابتعاد عن الآثام
 وحينما نسمع أنكم أصلحتم أنفسكم .
 سنمنحكم رضانا ونقربكم منا بقدر ما تبرهنون على
 أنكم أهل له

٧٠

(إلى اللورد كبير القضاة)

وخذ على عاتقك يا سيدى
 مراعاة تنفيذ أوامرى بدقة . .

ولنواصل السير . .

(عمر الموكب)

- فولستاف : أيها السيد شالو أنا مدين لك بألف جنيه .
- شالو : أجل وحق العذراء يا سير جون . وإني لأرجوك أن
٨٠ تسمح لي أن أعود بها إلى البيت .
- فولستاف : هذا غير مستطاع يا سيد شالو . لا تأس يا سيدي
على ما حدث ، فسيستدعيني الملك للقائه سرا ،
إلا أن مكانته تضطره إلى أن يبدو أمام أعين العالم
على هذا النحو من التزمت الشديد
يا سيد شالو . ولا تخش بأساً على ترفيتك إلى منصب
رفيع ، فسأظل أنا الرجل الذي يجعلك فخماً ضخماً .
- شالو : لست أتصور كيف أصبح ضخماً ، اللهم إلا إذا
٨٥ ألبستني حلتك ، وحشوتني بالقش ، أتوسل إليك
يا سير جون الطيب أن تعيد إلى خمسمائة جنيه من الألف
التي أعطيتك إياها .
- ٩١ فولستاف : سيدي سأكون عند كلمتي ، وما هذا الذي رأيت
ألا تظاهراً وطلاء .
- شالو : ولكنه طلاء أخشى أن يصيبك ويخمد أنفاسك
ياسير جون .

فولستاف : لا تخشى طالباً ولا عدوا وتعال معي نتناول العشاء .
تعال أيها الملازم بيستول وهيا يا باردولف ، ليبيعن
في طلبي هذه الليلة فوراً . ٩٦

(يعود الأمير جون ومعهم اللورد كبير القضاة وبعض الضباط) .
كبير القضاة : (إلى الضباط) اذهبوا واحملوا سير جون فولستاف إلى
سجن فليت ، وخذوا كل صحابه وجماعته معه
(يقبضون على فولستاف وجماعته)

فولستاف : سيدى اللورد . . سيدى
١٠٠ كبير القضاة : لا أستطيع الكلام الآن ، سأسمعك في التحقيق حالا ،
خذوهم من هنا .

بيستول : إن تخلى عنى الحظ فلن يتخلى عنى الأمل (١)
(يقودهم الضباط إلى الخارج)

الأمير : لقد سررتنى هذه البداية الطيبة من الملك ،
فقد أبدى رغبته فى أن أوفر أسباب العيش الرغد
لكل أتباعه المقربين ١٠٥
ولكنه أمر بإبعادهم جميعاً
حتى يصلحوا من سلوكهم فى هذه الحياة ، ويبدو

في أعين الناس أكثر رزاة وتواضعاً .

كبير القضاة : وهذا هو ما حدث لهم
الأمير جون : لقد دعا الملك البرلمان للاجتماع يا سيدى .
١١٠ كبير القضاة : نعم دعاه .

الأمير جون : أنا مستعد للرهان على أننا قبل أن ينتهى هذا العام ،
سنحمل سيوفنا التي استخدمناها في حروبنا الأهلية
ونزاعنا الداخلى
وننتجه بها إلى فرنسا فقد سمعت طائراً يهتف فى أذنى بهذا
النبأ

وأعتقد أنه استهوى الملك
هيا ألا تذهب من هنا ؟
(يخرجان)

خاتمة

أبدأ أولاً بذكر مخاوفي ثم أثني بالتحية وأخيراً أقول كلمتي . فأما مخاوفي فهي من رأيكم في هذه المسرحية ، أما التحية فيقتضيها واجبي ، أما الكلام فأستمحىكم المغفرة فيما أقول ، فإن كنتم تتوقعون مني الآن خطبة جيدة فقد ظلمتوني ، فما يقتضي المقام أن أقوله هو من وضعي وتأليفي ؛ وما أنا ملتزم بقوله أخشى أن يبرهن على عجزى . ولكن على أن أؤدى واجبي وأتحمل المغامرة مهما تكن نتائجها . وليكن معلوماً لديكم ، وما أشك أنكم تعرفون هذا حق المعرفة ، أنني أقف موقفي هذا في هذه الساعة المتأخرة في أعقاب المسرحية التي شاهدتموها والتي لا نعرف رأيكم فيها ، لأسألكم الصبر عليها وأعدكم إن لم تكن راقتمكم أن أقدم لكم أخرى خيراً منها . وقد قصدت بهذا حقاً . أن أستمهلكم في الوفاء حتى تجيء هذه المسرحية ، فإن جاءت ، لسوء الحظ ، كما تجيء سفينة تجارية فيما وراء البحار ،

جانبا التوفيق فقد أفلست وخسرتم أنتم ديونكم يا دائي الكرام . فقد وعدتكم هاهنا أني شديد الرغبة في الوفاء ، ولذلك أضع نفسي تحت رحمتكم . ، فإن شتمت ساعتموني في جزء من الدين وقبلتم مني هذه الرواية على علاقتها علي أنها قسط أوفيه لكم . . ولكم بعد هذا أن أعدكم بالوفاء وعوداً لا تنتهي كما يفعل معظم المدنيين . وتأكيذاً لذلك هأنذا أركع على ركبتي لا خضاعة لكم بل إلى الله أن يحفظ الملكة .

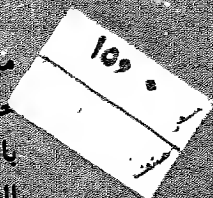
وإذا كان لساني قد عجز عن التوسل إليكم لتغفروا لي فهل لي أن أستأذنكم في أن ألبأ إلى ساقى . ومع ذلك فقد يكون هذا الوفاء غير كاف لتحلوني من ديونكم . ولكني أبذل غاية وسعي وأنا ذو ضمير حي يستنفد كل الوسائل ليحوز الرضا وهو ما أحرص عليه . لقد أرضيت السيدات النبيلات اللاتي هنا فصفحن عني جميعهن ، فإن لم يصفح عني الرجال النبلاء فعني هذا أن الرجال ليسوا على وفاق مع السيدات ، وهو ما لم نشهده قط من قبل في مثل هذا الجمع .

١٩٩٣ / ٨٤٨٨	رقم الإبداع
ISBN 977-02-4224-1	الترقيم الدولي

١ / ٩١ / ٤٣٥

طبع بمطابع دار المعارف (ج.م.ع.)

تتاز مسرحيات شكسبير الخالدة بأنها نتاج عبقرية
مسرحية وعبقرية شعرية معاً، فقد جمع شكسبير بين
حسن درامي قد وشاعرية فائقة بالإضافة إلى معرفة
بالنفس الإنسانية والسلوك الإنساني بدرجة من
العمق والإتساع جعلت من كل مسرحياته صوراً
فنية رائعة للحياة الإنسانية. حلوها ومرها..
ودار المعارف يشعدها أن تقدم للقارئ العربي
أعمال شكسبير مترجمة بقلم نخبة من عمالقة الفكر
والآدب في العالم العربي لتكتمل بذلك روعة
التأليف ودقة الترجمة ومتعة القراءة.



١٣٩٨